الفيض الرحماني شرح

كتاب الطب الروحاني

لأبي الفرج ابن الجوزي

كتاب يبحث في أمراض الأرواح وأوصافها وعلاجها

تأليف

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان

الفيض الرحماني

شرح

كتاب الطب الروحاني

لأبي الفرج ابن الجوزي

كتاب يبحث في أمراض الأرواح وأوصافها وعلاجها

تأليف

الشيخ علي أحمد عبد العال الطهطاوي
رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

قرأت كتاب الطب الروحاني للإمام الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي رحمه الله تعالى، كما سبق لي أن حققت له كتابه تلبيس إبليس ط. مكتبة الصفا بالقاهرة فأعجبتني المادة العلمية النافعة، وهو في حدود اثنتين وثلاثين ورقة، نعم في حجم صغير، ولكنه كبير في قيمته العلمية.

بل إنه يعالج أمراض الروح وهي كالآتي:

فضل العقل، ذم الهوى، الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى، دفع الفسق عن النفس، دفع الشره، رفض رياسة الدنيا، دفع البخل، النهي عن التبذير، بيان مقدار الاكتساب والإنفاق، ذم الكذب، دفع الحسد، دفع الحقد، دفع الغضب، دفع الكبر، علاج العجب، علاج الرياء، دفع فضول

الفكر، دفع الحزن، دفع الهم والغم، دفع الخوف والحذر من الموت، دفع فضول الفرح، دفع الكسل، تعريف الرجل عيوب نفسه، تنبيه الهمة الذاتية، ذكر رياضة النفس، رياضة الأولاد، رياضة الزوجة ومداراتها، رياضة الأهل والمماليك، معاشرة الناس ومداراتهم، ذكر السيرة الكاملة.

المؤلف رحمه الله تعالى، ذكر هذه الأفعال مختصرة فقمت بشرحها حسب الترتيب الوارد في أصل الكتاب.

لذلك استعنت بالله تعالى وأسميته الفتح الرباني، شرح كتاب الطب الروحاني وجعلته في خمسة فصول:

الفصل الأول: ويشمل التمهيد والزيادات.

الفصل الثاني: ويشمل بحوثاً في أمراض الروح.

الفصل الثالث: ويشمل بيان الرياء وحقيقته وأقسامه وذمه ونحو ذلك.

الفصل الرابع: ويشمل نص الرسالة (الطب الروحاني) للحافظ ابن الجوزي رحمه الله تعالى، وبدأته بترجمة تليق بالعالم الجليل.

الفصل الخامس: ويشمل ذكر الدواء الشافي لكل أمراض الأرواح والقلوب.

لذلك أرجوك عزيزي القارئ الفاضل بأن تقرأ بتدبر وعلى مهل ثم قدمه استعارة للأصدقاء والجيران لكي تعم الفائدة ولله الحمد والمنة.

الشيخ/ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

الفصل الأول
التمهيد والزيادات

١ – ذكر الروح في القرآن الكريم.

٢– بحث في لفظ الروح.

٣– كلام مفصّل خاص بالروح.

ذكر الروح في القرآن الكريم

يقول الله سبحانه وتعالى في الروح: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢]، ويقول الحق في محكم كتابه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢]، وأيضًا قال الله عز وجل ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم: ١٢]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾ [مريم: ١٧]، وقال عز وجل أيضًا: ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٩]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]، كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧٢].

بحث في لفظ الروح(١)

راح: رواحًا: سار في العشي، ويستعمل الرواح للمسير في أي وقت كان من ليل أو نهار. وكذلك الغدو، ويقال: راح القوم، وراح إليهم، وعندهم، روحًا، ورواحًا: ذهب إليهم. راحة: أخذته له خفة ونشاط.

أراح: تنفس، واستراح.

---

(١) المعجم الوسيط، صـ ٤٠٥ .

أروح الشيء: أنتن.

رواح: بين الشيئين والعملين: تناول هذا مرة وهذا مرة. يقال راوح بين جنبيه: انقلب من جنب إلى آخر. ورواح بين رجليه: قام على كل منهما مرة ويقال: أنا أغاديه وأراوحه: أذهب إليه في الغداة والرواح.

الرواح: الراحة. واسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل. ويقابله الصباح.

الروح: ما به حياة النفس يذكر ويؤنث.

الروحاني: ما فيه الروح. ونسبة إلى الروح. والطب الروحاني: ضرب من علاج النفس.

الروح(١)

«ما هي الروح؟ وأين تكون قبل دخولها الجسد؟ وأين تسكن بعد خروجها منه؟ وهل تظل في عالمنا هذا؟ وما هي حقيقة تحضير الأرواح؟ وهل هو صحيح»؟

ما هي الروح؟

الروح هي القوة التي تحدث الحياة في الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان، وقد غلبت على ما به حياة الحس والحركة، والعقل والتفكير، وأضيفت إلى الحيوان والإنسان.

ولم يرد في الدين نص واضح صريح يشرح حقيقتها ويحدد وجودها، وكانت في نظر الدين كغيرها من سائر الحقائق الكونية، تركت للبحث البشرى يبحث عنها، ويصيب أو يخطئ على حد سواء.

اختلاف الباحثين في حقيقة الروح:

ولقد خاض الإنسان قديمًا وحديثًا مليا وغير ملي في البحث عن حقيقتها، وأثرت عنه فيها أقوال وآراء، قال فيها الإمام الألوسي بعد أن ذكر جملة منها:

(١) الفتاوى للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

(وقيل وقيل إلى نحو ألف قول) ثم قال: والمعول عليه عند المحققين قولان ذكرهما واختار أولهما، وهو (أن الروح جسم نوراني علوي حي، مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، سار فيه سريان الماء في الوارد، لا يقبل التحلل ولا التفرق، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها مادام الجسم صالحًا لقبول الفيض)، وقد أيده ابن القيم، وقال: إنه الصواب ولا يصح غيره، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة، وبرهن عليه بما يزيد عن مائة دليل.

ونرى مع ذلك أن هذا الرأي لم يشرح حقيقة الروح، وإنما ذكر خواص ولوازم أكثرها سلبي لا يفيد الحقيقة، ولا يدل على الكنه.

الروح قبل اتصالها بالجسد:

وكما اختلف العلماء في حقيقتها هكذا، اختلفوا أيضًا في قدمها وحدوثها، وفي مستقرها قبل اتصالها بالأجسام، والقائلون بحدوثها اختلفوا أيضًا في زمن حدوثها، هل حدثت قبل الأجسام أو بعد الأجسام؟ وليس في النصوص أكثر من أن نفخها في الجسم يكون بعد تسويته، والمفهوم من نفخها تحصيل آثارها في الجسم.

الروح بعد مفارقتها للجسد:

وكما اختلفوا في هذا اختلفوا أيضًا في موتها وبقائها، وفي مستقرها بعد مفارقة الأبدان.

والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان فيكون الموت، وأنها تبقى ذات إدراك، تسمع السلام عليها، وتعرف من يزور قبر صاحبها، وتدرك لذة النعيم وألم الجحيم، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله.

لا مانع من البحث عن حقيقتها:

وعلى رغم كل هذا فلا تزال حقيقتها من الغيب الذي لم يكشفه الله للإنسان، وهي في ذلك ككثير مما ينتفع الإنسان بآثاره دون أن يعرف كنهه.

وباب البحث عن حقيقتها مفتوح لم يمنع منه نص ديني.

ولا حجة للقائلين بحرمة البحث عنها في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فقد رجح بعض العلماء أن المراد منها في الآية القرآن نفسه، وقد سماه الله روحا ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: ٥٢] وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي.

وإذن فلا يتعين أن يكون المسئول عنه هو روح الحياة، على أنه لو كان هو روح الحياة فليس في الآية أكثر من أنها من أمر الله، وهو لا يمنع البحث عن حقيقتها.

تحضير الأرواح:

وكما لم يرد نص في شيء من ذلك كله، لم يرد شيء فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان، كما لم يدل عليه حس موثوق به، أو تجربة صادقة، وكل ما نسمعه في ذلك لا يخرج عن مظاهر خداع وإلهاء بالخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره.

وإذن فنحن في حل من رفضه إلى أن يقوم الدليل على صدقه.

وحسب المؤمن في إيمانه أن يقف عندما أخبر الله به، وصح عن رسوله، وليس عليه أن يحمل نفسه عقيدة أو رأيا لا يتوقف عليه صحة الإيمان.

هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟[١]

قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه، حتى يرد عليه السلام**»، فهذا نص في أنه يعرف بعينه، ويرد عليه السلام.

وفي الصحيحين عنه ﷺ، من وجوه متعددة، أنه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم، وناداهم بأسمائهم: «**يا فلان ابن فلان، ويا**

(١) كتاب الروح للإمام ابن القيم وكتابنا الأنبياء وملك الموت.

فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا» فقال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا، فقال: «**والذي بعثني بالحق، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون جوابًا**».

وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه[1] وقد شرع النبي ﷺ لأمته؛ إذا سلموا على أهل القبور، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونهم فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**»[2]، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل، ولولا ذلك، لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد.

والسلف[3]، مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به.

قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا في كتاب القبور: باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء. حدثنا محمد بن عون، حدثنا يحيى بن يمان، عن عبد الله بن سمعان، عن زيد بن أسلم، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه، حتى يقوم**».

حدثنا محمد بن قدامة الجوهري، حدثنا معن بن عيسى القزاز، أخبرنا هشام بن سعد، حدثنا زيد بن أسلم، عن أبي هريرة، ﵁ قال: إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه، فسلم عليه، رد عليه السلام، وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام.

حدثنا محمد بن الحسين، حدثني يحيى بن بسطام الأصغر، حدثني مسمع

---

(١) رواه البخاري في باب الجنائز/٦٨.

(٢) رواه مسلم، والنسائي وابن ماجة في الجنائز والإمام أحمد في مسنده.

(٣) السلف: الصحابة، والتابعون وتابعو التابعين وزاد بعضهم: هم أهل القرون الثلاثة بدءا من قرن النبي ﷺ والسلفي: من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة، ولا يلتزم بمذهب معين.

حدثني رجل من آل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قال: قلت: أجسادكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح، قال: قلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعم، نعلم بها عشية الجمعة كله، ويوم السبت إلى طلوع الشمس، قال: قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

وحدثنا محمد بن الحسين حدثني بكر بن محمد، حدثنا حسن القصاب، قال: كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأتي الجبان، فنقف على القبور، فنسلم عليهم، وندعو لهم، ثم ننصرف، فقلت ذات يوم: لو صيرت هذا اليوم يوم الإثنين، قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويومًا قبلها ويومًا بعدها.

حدثني محمد، حدثنا عبد العزيز بن أبان قال: حدثنا سفيان الثورى، قال: بلغني عن الضحاك أنه قال: من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته، فقيل له وكيف ذلك؟ قال لمكان يوم الجمعة.

حدثنا خالد بن خداش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي التياح قال: كان مطرف يغدو، فإذا كان يوم الجمعة أدلج(١)، قال: وسمعت أبا التياح يقول: بلغنا أنه كان ينور له في سوطه، فأقبل ليلة، حتى إذا كان عند مقابر القوم وهو على فرسه، فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالسًا على قبره، فقالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة، قلت: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما يقول فيه الطير، وما يقولون؟ قالوا: يقولون: سلام سلام.

---

(١) أدلج: سار ليلاً.

حدثني محمد بن الحسين، حدثني يحيى بن أبي بكر، حدثني الفضل بن موفق ابن خال سفيان بن عيينة، قال: لما مات أبي جزعت عليه جزعًا شديدًا، فكنت آتي قبره في كل يوم، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله، ثم إني أتيته يومًا، فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت، فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج، وكأنه قاعد في قبره متوشحًا أكفانه، عليه سحنة الموتى[1]، قال: فكأني بكيت لما رأيته، قال: يا بني ما أبطأ بك عني؟ قلت: وإنك لتعلم بمجيئي؟ قال: ما جئت مرة إلا علمتها، قد كنت تأتيني فآنس بك، وأسر بك، ويسر من حولي بدعائك، قال: فكنت آتيه بعد ذلك كثيرًا.

حدثني محمد، حدثني يحيى بن بسطام، حدثني عثمان بن سودة الطفاوي، قال: وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها راهبة قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ومن عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري، قال: فماتت، فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها، وأستغفر لها ولأهل القبور، فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها يا أماه كيف أنت؟ قالت أي بني، إن للموت لكربة شديدة، وإني بحمد الله لفي برزخ محمود نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، فقلت لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم، قلت: وما هي؟ قالت: لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك يقال لي يا راهبة هذا ابنك قد أقبل فأسر، ويسر بذلك من حولي من الأموات.

حدثني محمد بن عبد العزيز بن سليمان، حدثنا بشر بن منصور، قال: لما كان زمن الطاعون، كان رجل يختلف إلى الجبان، فيشهد الصلاة على الجنائز، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم،

---

(١) السحنة: الهيئة واللون.

وتجاوز عن مسيئكم، وقيل حسناتكم، لا يزيد على هؤلاء الكلمات، قال: فأمسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلي و لم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، قال: فبينا أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاءوني، فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر، قلت: ما حاجتكم؟ قالوا: إنك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك، فقلت، وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو بها، قال: قلت: فإني أعود لذلك، قال: فما تركتها بعد.

حدثني محمد، حدثني أحمد بن سهل، حدثني رشدين بن سعد، عن رجل، عن يزيد بن أبي حبيب، أن سليم بن عمير، مر على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول، فقال له أصحابه: لو نزلت إلى هذه المقابر فبلت في بعض حفرها، فبكى، ثم قال: سبحان الله! والله إني لأستحي من الأموات كما أستحي من الأحياء، ولولا أن الميت يشعر بذلك لما استحيا منه.

وأبلغ من ذلك أن الميت يعلم بعمل الحي من أقاربه وإخوانه، قال عبد الله ابن المبارك: حدثني ثور بن يزيد، عن إبراهيم، عن أبي أيوب؛ قال: تعرض أعمال الأحياء على الموتى، فإذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا، وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع به.

وذكر ابن أبي الدنيا عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني محمد أخي، قال: دخل عباد بن عباد على إبراهيم بن صالح، وهو على فلسطين، فقال: عظني، قال: بم أعظك أصلحك الله، بلغني أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى إبراهيم حتى اخضلت لحيته.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن الحسين، حدثني خالد بن عمرو الأموي، حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري، قال: كانت لي شرة سمجة، فمات أبي، فأنبت وندمت على ما فرطت، قال: ثم زللت أيما زلة، فرأيت أبي في المنام فقال: أي بني ما كان أشد فرحي بك! أعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال

الصالحين، فلما كانت هذه المرأة استحييت لذلك حياء شديدًا، فلا تخزني فيمن حولي من الأموات، قال: فكنت أسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان جارًا لي بالكوفة: أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور(١)، يا مصلح الصالحين، ويا هادي المضلين، ويا أرحم الراحمين.

وهذا باب في آثار كثيرة عن الصحابة، وكان بعض الأنصار من أقارب عبد الله بن رواحة يقول: اللهم إني أعوذ بك من عمل أخزى به عند عبد الله ابن رواحة، كان يقول ذلك بعد أن استشهد عبد الله.

ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرًا، ولولا أنهم يشعرون لما صح تسميته زائرًا، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال، وقد علم النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية(٢).

وهذا السلام، والخطاب، والنداء، لموجود يسمع، ويخاطب، ويعقل، ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى الرجل قريبًا منهم شاهدوه، وعلموا صلاته، وغبطوه على ذلك.

قال يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أن ابن ساس خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف، فانتهى إلى قبر.

قال: فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه، فوالله إن قلبي ليقظان إذ سمعت

---

(١) حور: حار حورًا وحئورًا: رجع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [الانشقاق: ١٤].

(٢) رواه مسلم في الجنائز (١٠٣)، والنسائي في الجنائز (١٠٣)، وابن ماجه في الجنائز (٣٦) وأحمد في مسنده (٢/٣٠٠).

صوتًا من القبر: إليك عني لا تؤذني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل، ولأن يكون لي مثل ركعتيك أحب إلي من كذا وكذا، فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن علي العجلي، حدثنا محمد بن الصلت، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثابت بن سليم، حدثنا أبو قلابة قال: أقبلت من الشام إلى البصرة، فنزلت منزلاً، فتطهرت وصليت ركعتين، بليل، ثم وضعت رأسي على قبر، فنمت، ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: قد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرًا، أقرئهم منا السلام، فإنه يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

وحدثني الحسين العجلي: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا مالك بن مغول عن منصور عن زيد بن وهب قال: خرجت إلى الجبانة فجلست فيها فإذا رجل قد جاء إلى قبر فسواه، ثم تحول إلى مجلس، فقلت: لمن هذا القبر؟ قال: أخ لي مات، فقلت: أخ لك؟ فقال: أخ لي في الله رأيته فيما يرى النائم، فقلت: فلان عشت الحمد لله رب العالمين، قال: قد قلتها، لأن أقدر على أن أقولها أحب إليّ من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنوني، فإن فلانًا قام فصلى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها.

حدثني أبو بكر التيمي، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث بن سعد، حدثني حميد الطويل، عن مطرف بن عبد الله الحرشي، قال: خرجنا إلى الربيع في زمانه فقلنا: ندخل يوم الجمعة لشهودها، وطريقنا على المقبرة، قال: فدخلنا، فرأيت جنازة في المقبرة، فقلت: اغتنمت شهود هذه الجنازة فشهدتها، قال: فاعتزلت ناحية قريبًا من قبر، فركعت ركعتين خففتهما لم أرض إتقانهما، ونعست، فرأيت صاحب القبر يكلمني، وقال: ركعت ركعتين لم ترض إتقانهما؟ قلت: قد كان ذلك، قال: تعلمون ولا تعملون، ولا نستطيع أن نعمل، لأن أكون ركعت مثل

ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها؟ فقلت: من ههنا؟ فقال: كلهم مسلم، وكلهم قد أصاب خيرًا، فقلت: من ههنا أفضل؟ فأشار إلى قبر، فقلت في نفسي: اللهم ربنا أخرجه إلي فأكلمه، قال: فخرج من قبره فتى شاب، فقلت: أنت أفضل من ههنا؟ قال: قد قالوا ذلك، قلت: فبأي شيء نلت ذلك؟ فوالله ما أرى لك ذلك السن فأقول: نلت ذلك بطول الحج، والعمرة، والجهاد في سبيل الله والعمل، قال: قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها، فبذلك فضلتهم.

وهذه المرائي وإن لم تصح بمجردها لإثبات مثل ذلك فهي على كثرتها وأنها لا يحصيها إلا الله قد تواطأت على هذا المعنى، وقد قال ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأت على أنها في العشر الأواخر**»[(١)]، يعني ليلة القدر، فإذا تواطأت رؤيا المؤمنين على شيء كان كتواطؤ روايتهم له، وكتواطؤ رأيهم على استحسانه واستقباحه، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه قبيحًا فهو عند الله قبيح، على أنا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من الحجج وغيرها.

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه، فروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهري، قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت، فبكى طويلاً، وحول وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإني كنت على أطباق ثلاث، لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلا أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي لقيني رسول الله ﷺ فقلت: ابسط يدك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: فقال: مالك يا عمرو؟ قال:

---

(١) رواه البخاري في ليلة القدر (٣) ومسلم في الصيام (٢٠٥) ومالك في الموطأ- باب الاعتكاف (١٤) وأحمد في مسنده (٦/٢).

قلت: أردت أن اشترط، قال تشترط ماذا؟

قلت: أن يغفر لي، قال أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها، فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة، ولا نار، فإذا دفنتموني فسنوا عَلَيَّ التراب سنا(١)، ثم أقيموا حول قبر قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي، فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم.

وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن قال عبد الحق: يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة، وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولاً حيث لم يبلغه فيه أثر، ثم رجع عن ذلك.

وقال الخلال في الجامع، كتاب القراءة عند القبور، أخبرنا العباس بن محمد الدوري، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا مبشر الحلبي، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه، قال: قال أبي: إذا أنا مت فضعني في اللحد، وقل: باسم الله، وعلى سنة رسول الله، وسن علي التراب سنا، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة، فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك(٢).

قال عباس الدوري سألت أحمد بن حنبل، قلت: تحفظ في القراءة على القبر شيئًا؟ فقال: لا، وسألت يحيى بن معين فحدثني بهذا الحديث.

---

(١) سن التراب سنًا: صبه صبًا سهلاً.

(٢) الحديث لا يكون حديثًا إلا إذا روي عن النبي ﷺ والقرآن لا يصل بنا للأموات لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك.

قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق، حدثني علي بن موسى الحداد- وكان صدوقًا قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة، فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد ابن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال: ثقة قال: كتبت عنه شيئًا؟ قال: نعم، فأخبرني مبشر، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج، عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد، فارجع وقل للرجل يقرأ.

وقال الحسن بن الصباح الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس بها.

وذكر الخلال عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرءون عنده القرآن، قال: وأخبرني أبو يحيى الناقد، قال سمعت الحسن ابن الجروي، يقول: مررت على قبر أخت لي، فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها، فجاءني رجل فقال: إني رأيت أختك في المنام تقول: جزى الله أبا علي خيرًا فقد انتفعت بما قرأ.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: سمعت أبا بكر بن الأطروش ابن بنت أبي نصر بن التمار يقول: كان رجل يجيء إلى قبر أمه يوم الجمعة، فيقرأ سورة يس، فجاء في بعض أيامه فقرأ سورة يس، ثم قال: اللهم إن كنت قسمت لهذه السورة ثوابًا فاجعله في أهل هذه المقابر، فلما كان يوم الجمعة التي تليها جاءت امرأة فقالت: أنت فلان ابن فلانة؟ قال: نعم قالت: إن بنتًا لي ماتت، فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها، فقلت: ما أجلسك ههنا؟ فقالت: إن فلان ابن فلانة جاء إلى قبر أمه فقرأ سورة يس، وجعل ثوابها لأهل المقابر(١)، فأصابنا من

---

(١) قولهم مردود وليس معهم دليل لأن النبي ﷺ لم يفعل ذلك و لم يأمر به.

روح ذلك، أو غفر لنا، أو نحو ذلك.

وفي النسائي وغيره من حديث معقل بن يسار المزني، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اقرءوا يس عند موتاكم**»[١]، وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٢]، ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر، والأول أظهر لوجوه:

الأول: أنه نظير قوله: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله.

الثاني: انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد، والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد، وغبطة من مات عليه بقوله: ﴿ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، فتستبشر الروح بذلك، فتحب لقاء الله، فيحب الله لقاءها، فإن هذه السورة قلب القرآن[٣]، ولها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر.

وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي[٤]، قال: كنا عند شيخنا أبي الوقت عبد الأول وهو في السياق، وكان آخر عهدنا به أنه نظر إلى السماء وضحك وقال: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) وقضى.

الثالث: أن هذا عمل الناس وعادتهم قديمًا وحديثًا يقرءون (يس) عند المحتضر[٥].

---

(١) حديث ضعيف، فلا حجة لمن يقول به في جواز قراءة القرآن عند القبر أو عند الاحتضار، لأن النبي ﷺ لم يقرأ قرآنا للأموات أبدًا.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه في الجنائز وأحمد في مسنده (٣/٣).

(٣) حديث (إن لكل شيء قلبًا وقلب القرآن يس) لا يصح عن النبي ﷺ.

(٤) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت٥٩٧ هـ) مشهور بكثرة تصانيفه في اللغة والدين، وهو أحد كبار أئمة السلف، من كتبه (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) مخطوطة في المكتبة التيمورية برقم (٢٢٢) تفسير، وصاحب كتاب الطب الروحاني الذي نشرحه الآن.

(٥) عمل الناس وليس عمل رسول الله ﷺ.

الرابع: أن الصحابة لو فهموا من قوله ﷺ: «**اقرءوا يس عند موتاكم**»[١]، قراءتها عند القبر، لما أخلوا به، وكان ذلك أمرًا معتادًا مشهورًا بينهم.

الخامس: أن انتفاعه باستماعها، وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها في آخر عهده بالدنيا هو المقصود، وأما قراءتها عند قبره فإنه لا يثاب على ذلك لأن الثواب إما بالقراءة أو بالاستماع وهو عمل وقد انقطع من الميت.

وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي على هذا فقال: ذكر ما جاء أن الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم قال: ذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ: «**ما من رجل يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»، ويروى هذا من حديث أبي هريرة مرفوعًا، قال: «**فإن لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام**».

قال: ويروي من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم**».

واحتج الحافظ أبو محمد في هذا الباب بما رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**» قال: وقال سليمان بن نعيم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه منهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم، قال: وكان ﷺ يعلمهم أن يقولوا إذا دخلوا المقابر: «**السلام عليكم أهل الديار**»... الحديث. قال: وهذا يدل على أن الميت يعرف سلام من يسلم عليه، ودعاء من يدعو له.

---

(١) النبي ﷺ لم يقل ذلك ولا يوجد حديث صحيح في فضل سورة يس أبدا.

قال أبو محمد: ويذكر عن الفضل بن الموفق، قال: كنت آتى قبر أبي المرة بعد المرة، فأكثر من ذلك، فشهدت يومًا جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي و لم آته، فلما كان من الليل رأيته في المنام، فقال لي: يا بني لم لا تأتيني؟ قلت له: يا أبت وإنك لتعلم بي إذا أتيتك؟ قال إي والله يا بني لا أزال أطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل إليَّ، وتقعد عندي، ثم تقوم، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إبراهيم بن بشار الكوفي قال: حدثني الفضل ابن الموفق، فذكر القصة.

وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وأنهم ليغسلونه ويكفنونه، وإنه لينظر إليهم.

وصح عن مجاهد أنه قال: إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده.

الفصل الثاني

بحوث في أمراض الروح التي ذكرها
المؤلف رحمه الله

ذم الدنيا

الآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤ — ١٥].

وقوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

وقوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقوله: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٥].

وقوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

وأما الأحاديث، ففي «**الصحيحين**» من رواية المسور بن شداد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟**».

وفي حديث آخر: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» رواه مسلم، وفي حديث آخر: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء**»، رواه الترمذي وصححه. وفي حديث آخر: «**الدنيا ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها**» (١).

وروى أبو موسى، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحب دنياه، أضر بآخرته، ومن أحب آخرته، أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**»(٢).

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتابًا طويلاً فيه: (أما بعد فإن الدنيا دار طعن ليست بدار مقام، وإنما أنزل إليها آدم عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة، وكن أسر ما تكون فيها، أحذر ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا، ولم يضرب

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ورواه ابن ماجه والترمذي عن طريق أبي هريرة بلفظ آخر.
(٢) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وفيه انقطاع.

لها مثلا لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجره، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن، ولا نظر إليها منذ خلقها.

ولقد عرضت على نبينا ﷺ مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، زواها الله عن الصالحين اختيارًا، وبسطها لأعدائه اغترارًا، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها؟ ونسى ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد، فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا نقص عقله وعجز رأيه).

وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء، يعني الدنيا.

ومن أمثلة الدنيا: قال يونس بن عبيد: شبهت الدنيا كرجل نائم، فرأى في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه.

ومثل هذا قولهم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

والمعنى أنهم ينتبهون بالموت وليس في أيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به.

وقيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء[1] عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحدًا

---

(١) ليس لها أسنان، وفي نسخة: صماء وهي الداهية.

بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر.

وروي عن ابن عباس ﷺ قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء[١] زرقاء، أنيابها بادية، مشوه خلقها، فتشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم، فتقول: يا رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وعن أبي العلاء، قال: رأيت في النوم عجوزًا كبيرة عليها من كل زينة، والناس عكوف عليها متعجبون، ينظرون إليها، فقلت لها: من أنت ويلك؟ قالت: أما تعرفني؟ قلت: لا، قالت: أنا الدنيا. فقلت: أعوذ بالله من شرك. قالت: إن أحببت أن تعاذ من شري فأبغض الدرهم. وقال بعضهم: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة الخلقة حدباء[٢].

مثال آخر: اعلم أن أحوالك ثلاث:

حال لم تكن فيها شيئًا؛ وهي قبل أن توجد.

وحال أخرى، وهي في ساعة موتك إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدي، فإن لنفسك وجودًا بعد خروجها من بدنك، إما في الجنة أو النار، وهو الخلود الدائم.

وبين **هاتين الحالتين حالة متوسطة، وهي أيام حياتك من الدنيا**، فانظر إلى مقدار ذلك، وانسبه إلى الحالتين، تعلم أنه أقل من طرفة عين في مقدار

---

(١) الشمط في الشعر: اختلافه بلونين من سواد وبياض، أو بياض شعر الرأس يخالط سواده.

(٢) الحدب هو كل مرتفع عن الأرض والمعنى هنا أن خلقتها غير مستقيمة بخروج ظهرها ودخول بطنها وصدرها وهو منظر في غاية القبح.

عمر الدنيا.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه بها في ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله ﷺ لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة. وقال: «**ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال**(١) **تحت شجرة ثم راح وتركها**»(٢).

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها. هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخر القنطرة.

ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلابد من العبور، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو في غاية الجهل والحمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه:انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

مثال آخر: روي عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء، حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي، أنفذوا الزاد وخسروا الظهر، وبقوا بين ظهراني**

---

(١) من القيلولة، وهي النوم في نصف النهار.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه، ورواه أحمد والحاكم وصححه من حديث ابن عباس.

المفازة، لا زاد ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رجلٌ في حلة يقطر رأسه، فقالوا: إن هذا قريب عهد بريف، وما جاء هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء، علام أنتم؟ قالوا: على ما ترى قال أرأيتكم إن هديتكم إلى ماء رواء، ورياض خضر ما تعلمون؟ قالوا: لا نعصيك شيئًا. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله. قال: فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئًا. قال: فأوردهم ماء ورياضًا خضرًا، فمكث فيهم ما شاء الله، ثم قال: يا هؤلاء، الرحيل. قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم. فقال أكثر القوم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده، وما نصنع بعيش خير من هذا؟ وقالت طائفة قليلة: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه؟ وقد صدقكم في أول حديثه، فوالله ليصدقنكم في آخره. قال: فراح فيمن اتبعه، وتخلف بقيتهم، فنزل عدو، فأصبحوا بين أسير وقتيل»[(١)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وأنا النذير العريان، فالنجاة، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبته طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش في مكانهم، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به. ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق».

بيان حقيقة الدنيا والمذموم منها والمحمود

قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقًا، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت

---

(١) حديث مرسل نسبه الحافظ العراقي لابن أبي الدنيا.

منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول: اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف[١] الشره ووقع في الذم، فإنه ليس للشره في تناول الدنيا وجه، لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الأخرى فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضًا للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير لا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى، وهى أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليها من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما

---

(١) الكنف الحصن وجانبا للشيء واكتنفه يعنى أحاط به من جانبيه. والمعنى هنا يكتنف الشره كأنه بشيء سمين يحتاج إلى رعاية وليس كذلك.

يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون.

ذكر الدنيا في القرآن الكريم.

يقول المولى سبحانه وتعالى عن الدنيا في كتابه العزيز: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦].

ويقول أيضًا: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤].

ويقول أيضًا: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ويقول أيضًا: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

ويقول أيضًا: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وأيضًا: ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

ويقول أيضًا: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

كما يقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤].

كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ويقول عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

ويقول أيضًا المولى عز وجل في كتابه الحكيم: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

ويقول أيضًا: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ

ﵟٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَﵞ [الأنعام: ١٣٠].

ويقول: ﵟٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَﵞ [الأعراف: ٥١].

كما يقول أيضًا: ﵟمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞﵞ [الأنفال: ٦٨].

ويقول: ﵟوَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَﵞ [التوبة: ٨٥].

ويقول سبحانه وتعالى عن الدنيا أيضًا: ﵟمَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَﵞ [يونس: ٧٠]، ويقول أيضًا: ﵟوَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖﵞ [هود: ٦٠].

ويقول: ﵟرَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَﵞ [يوسف: ١٠١].

ويقول: ﵟٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞﵞ [الرعد: ٢٦].

ويقول: ﵟٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖﵞ [إبراهيم: ٣].

ويقول في محكم تنزيله أيضًا: ﵟذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَﵞ [النحل: ١٠٧].

ويقول: ﵟوَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ويقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

أيضًا: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٢٢].

ويقول: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣].

وأيضًا: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

ويقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٢٨].

ويقول: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

ويقول أيضًا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

ويقول: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان:١٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى

ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

ويقول: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

ويقول: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

كما قال أيضًا: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

كما قال: ﴿ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [فاطر: ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

ويقول: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم: ٢٩].

أيضًا يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

ذكر البخل في القرآن

﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ [الليل: ٩٢].

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ [آل عمران: ١٨٠].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦﴾ [التوبة: ٧٦].

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

بحث في لفظ البخل

بخل: البُخل والبَخل: لغتان وقرئ بهما[1]. والبخل والبخول: ضد الكرم، وقد بخل يبخل بُخلاً، وبَخلاً، فهو باخل: ذو بخل، والجمع بخال، وبخيل والجمع بخلاء. ورجل بخل: وصف بالمصدر، عن أبي العميثل الأعرابي، وكذلك بخال ومبتخل. والبخال: الشديد البخل؛ قال رؤبة:

فــــذاك بخــــال أروز الأرز وكــــرز يمشــــي بطــــين الكــــرز

ورجال باخلون. والبخلة: بخل مرة واحدة، وبخله: رماه بالبخل ونسبه إلى البخل. وأبخله: وجده بخيلاً؛ ومنه قول عمرو بن معد يكرب: يا بني سليم، لقد سألناكم فما أبخلناكم؛ وقال الشاعر:

ولا معد بخله عن إبخال

ويروى أبخال، فإن كان كذلك فهو جمع بُخل أو بَخَل، لأنه قد جاءت مصادر مجموعة كاللحوم والعقول، وفسر ابن الأعرابي وجه جمعه قال: معناه بعد بخل منك كثير؛ وعن ههنا بمعنى بعد، كما قال:

وتصــبح عن غب الضباب، كأنما تــروح قين الهضب عنها بمصقله

والمبخلة: الشيء الذي يحملك على البخل. وفي حديث النبي ﷺ: «**الولد مجبنة مجهلة مبخلة**» وهو مفعلة من البخل، ومظنة لأن يحمل أبويه على البخل،

---

(١) قوله «وقرئ بهما» يؤخذ من القاموس وشرحه: أنه قرئ باللغات الأربع وهي البُخل والبَخل. كقفل وعتق والبُخل والبَخل كنجم وجبل.

ويدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله ومنه الحديث «**أنكم لتبخلون وتجبنون**».

البخل وذمه(١)

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا**»(٣).

وفي أفراد مسلم، عن النبي صلى الله علي وآله وسلم أنه كان يقول: «**إني أعوذ بك من الجبن والبخل**».

وروى جابر ، قال: قال النبي ﷺ لبني سلمة: «**من سيدكم؟** قالوا: جد ابن قيس على أننا نبخله. **قال: وأي داء أدوى من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور**» وهي أصح من ذكر عمرو بن الجموح. وغلط بعض الرواة، فقال: البراء بن معرور، والبراء مات قبل الهجرة(٤).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(٥).

قال الخطابي: الشح في المنع أبلغ من البخل.

وقال سلمان الفارسي: إذا مات السخي، قالت الأرض والحفظة رب تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة، كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي في سننه من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف.

(٣) رواه النسائي وفي مسنده اختلاف.

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم بلفظ يا بني سلمة وقال سيدكم بشر بن البراء.

(٥) رواه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف.

وقال بعض الحكماء: من كان بخيلاً ورث ماله عدوه.

ووصف أعرابي رجلاً فقال: لقد صغر في عيني لعظم الدنيا في عينه.

وذم أعرابي قومًا فقال: يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش.

من حكايات البخلاء

روي عن ابن عباس ﷺ قال: كان الحاجب رجلاً من أجل العرب، وكان بخيلاً، وكان لا يوقد نارًا بليل كراهة أن يراها راء فيستنفع بضوئها، فإذا احتاج إلى إيقادها فأوقد ثم بصر بمستضيء بها أطفأها.

وقيل: كان مروان بن أبي حفصة من أبخل الناس، فخرج يريد المهدي، فقالت له امرأته: مالي عليك إن رجعت بالجائزة؟

قال: إن أعطيت مائة ألف درهم، أعطيتك درهمًا، فأعطي ستين ألف درهم، فأعطاها أربعة دوانق.

وقيل: كان بعض البخلاء موسرًا كثير الأموال، وكان ينظر في دقائق الأشياء، فاشترى شيئًا من الحوائج، ودعا حمالاً وقال: بكم تحمل هذه الحوائج؟ قال: بحبة. قال: أبخس(١). قال ما أقل من حبة؟ لا أدري ما أقول. قال: نشري بالحبة جزرًا، فنجلس جميعًا فنأكله.

فضل الإيثار وبيانه

اعلم أن السخاء والبخل درجات.

فأرفع درجات السخاء الإيثار(٢)، وهو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.

وأشد درجات البخل، أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال، ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل.

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين من يؤثر على نفسه مع

---

(١) أبخس: قلل.

(٢) الإيثار هو التفضيل وفي سورة يوسف الآية ٩١: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بمعنى فضلك علينا.

الحاجة فالأخلاق عطايا يضعها الله عز وجل حيث يشاء.

وليس بعد الإيثار درجة من السخاء. وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإيثار، فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] [الحشر: ٩]، وكان سبب نزول هذه الآية قصة أبي طلحة، لما آثر ذلك الرجل المجهود بقوته وقوت صبيانه، وحكايته مشهورة.

واستشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل[2] بن عمرو، والحارث ابن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه.

أتي عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، ونظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا، وكل منهم يؤثر الآخر على نفسه الشربة، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

وأهدي إلى رجل من الصحابة ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي أحوج إليه مني، فبعث به إلى رجل، فبعث به ذلك إلى آخر، حتى تداولته سبع أبيات فرجع إلى الأول.

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على نخل لقوم فيها غلام أسود يعمل فيها، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب، فدنا من الغلام فرمى إليه قرصًا فأكله، ثم رمى إليه قرصًا آخر فأكله، ثم رمى إليه الثالث فأكله، وعبد الله ينظر فقال: يا غلام! كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب، جاء من مسافة بعيدة جائعًا فكرهت رده. قال: فما أنت صانع؟ قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء وهذا أسخى مني، فاشترى الحائط وما فيه من الآلات، واشترى الغلام وأعتقه ووهبه له.

---

(١) الخصاصة هو الفقر وسوء الحال.

(٢) في المطبوع سهل بن عمرو وهو تحريف.

واجتمع جماعة من الفقراء في موضع لهم وبين أيديهم أرغفة معدودة لا تكفيهم فكسروا الرغفان، وأطفئوا السراج، وجلسوا للأكل، فلما رفع الطعام، إذا هو بحاله، لم يأكل أحد منهم شيئًا إيثارًا لأصحابه.

حد البخل والسخاء

وقد تكلم الناس في حد البخل والسخاء، فذهب قوم إلى أن حد البخل منع الواجب، وأن من أدى ما يجب عليه، فليس ببخيل، وهذا غير كاف، فإن من لم يسلم إلى عياله إلا القدر الذي يفرضه الحاكم، ثم يضايقهم في زيادة لقمة أو تمرة فإنه معدود من البخلاء، فالصحيح أن البراءة من البخل تحصل بفعل الواجب بالشرع، واللازم بطريق المروءة مع طيب القلب بالبذل.

فأما الواجب بالشرع، فهو الزكاة، ونفقة العيال وأما اللازم بطريق المروءة، فهو ترك[(١)] المضايقة، والاستقصاء[(٢)] عن المحقرات، فإن ذلك يستقبح، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، فقد يستقبح من الغني ما لا يستقبح من الفقير ويستقبح من الرجل المضايقة لأهله وأقاربه وجيرانه ما لا يستقبح من الأجانب، فالبخيل الذي يمنع ما لا ينبغي أن يمنع، إما بحكم الشرع أو لازم المروءة.

ومن قام بواجب الشرع، ولازم المروءة، فقد تبرأ من البخل، لكن لا يتصف بصفة الجود ما لم يبذل زيادة على ذلك.

قال بعضهم: **الجواد: هو الذي يعطي بلا من.** وقيل: هو الذي يفرح بالإعطاء. فأما علاج البخل. فاعلم أن سبب البخل حب المال، ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، وإن كان قصير الأمل وله ولد، فإنه يقوم مقام طول الأمل[(٣)].

الثاني: أن يحب عين المال. فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره لو

---

(١) في المطبوع: «طريق»، وهو خطأ.

(٢) الاستقصاء هنا بمعنى طلب البعد فالقص هو البعيد قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٤٢: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ .

(٣) الجملة من قوله: «وإن كان .... إلى قوله: طول الأمل» لم ترد في المطبوع.

اقتصر على ما جرت عادته به، ويفضل معه آلاف، ويكون شيخًا لا ولد له، ثم لا تسمح نفسه بإخراج الواجب عليه، ولا بصدقة تنفعه، ولم يعلن أنه إذا مات أخذه أعداؤه، أو ضاع إن كان مدفونًا، وهذا مرض لا يرجى علاجه.

ومثال ذلك مثل رجل أحب شخصًا، فلما جاء رسوله، أحب الرسول ونسى محبوبه واشتغل بالرسول، فإن الدنيا رسول مبلغ إلى الحاجات، فيحب الدنانير لذاتها، وينسى الحاجات، وهذا غاية الضلال.

واعلم أن علاج كل علة بمضادة سببها، فيعالج حب الشهوات بالقناعة، والصبر، وطول الأمل بكثرة ذكر الموت.

ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن من خلقه خلق معه رزقه، وكم ممن لم يرث شيئًا أحسن حالاً ممن ورث.

فليحذر أن يترك لولده الخير، ويقدم على الله بشر، فإن ولده إن كان صالحًا فالله يتولاه، وإن كان فاسدًا فلا يترك له ما يستعين به على المعاصي، وليردد على سمعه ما ذكرناه في ذم البخل ومدح السخاء.

واعلم أنه إذا كثرت المحبوبات في الدنيا، كثرت المصائب بفقدها، فمن عرف آفة المال لم يأنس به، ومن لم يأخذ منه إلا قدر حاجته، وأمسك ذلك لحاجته فليس ببخيل، والله أعلم.

ذكر التبذير في القرآن

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

بحث في التبذير(١)

بذر المال: فرقه إسرافًا وفي التنزيل العزيز:﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ

(١) انظر: المعجم الوسيط، صـــ ٦٦.

ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، وفلانًا: جربه، يقال: لو بذرت فلانًا لوجدته رجلاً.

تبذر الشيء: انتثر وتفرق، استبذر السحاب: أسرع وفرق ماءه، البذارة: الذرية. والنماء والبركة، البذر: كل حب يزرع في الأرض. و النبات أول ما يبدو والنسل، ومنه إن هؤلاء لبذر سوء. والجمع بذور، وبذار.

البذرة: واحدة البذر وفي علم النبات: ما تتكون في الثمرة وتحوي الجنين النباتي.

البذور: النمام، والجمع بُذر.

ذكر الكسب في القرآن الكريم

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤١].

وقال الله عز وجل: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقال أيضًا: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

أيضًا قال الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقال سبحانه أيضًا: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ

ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣].

ويقول عز وجل: ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥١].

كما يقول الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

والله سبحانه وتعالى يقول أيضًا: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧].

كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال الله أيضًا: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢].

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨].

كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ

وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والله تعالى يقول: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢].

كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البقر: ٢٦٤].

كما يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال الله تعالى أيضًا: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

والله عز وجل يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ١٠].

كما يقول الله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨].

والله عز وجل يقول: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨].

ويقول المولى في محكم تنزيله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾ [فاطر: ٤٥].

كما يقول: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الزمر: ٤٨].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر: ٥١].

كما يقول الله تعالى: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢].

كما قال: ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٤].

ويقول الله أيضًا: ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الجاثية: ١٠].

والله تعالى يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

كما يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]..

كما يقول: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

ويقول أيضًا: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٤٢].

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ

وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

كما يقول: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ، [الأنعام: ٣].

ويقول أيضًا: ﴿ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٣].

ويقول: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢].

كما قال: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤].

ويقال: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١١، ١١٢].

كما قال: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

والله تعالى يقول: ﴿ وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

كما يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [لأعراف: ٩٦].

والمولى عز وجل يقول في محكم تنزيله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا

جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [التوبة : ٨٢].

كما قال أيضًا: ﴿ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩٥].

ويقول الله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [يونس: ٨].

كما يقول: ﴿ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٤].

وقال أيضًا: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

ويقول الله تعالى أيضًا: ﴿ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٥٠].

كما يقول: ﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [غافر: ٨٢].

ويقول أيضًا: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧].

والله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الجاثية: ١٤].

والله تعالى يقول: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤].

كما يقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ١١١].

ويقول أيضًا: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

كما يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾

[الأنعام: ١٢٩].

ويقول أيضًا: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

كما يقول أيضًا: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢].

كما يقول أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١].

وقال الله أيضًا: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢].

كما يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ذكر الكذب في القرآن الكريم

يقول المولى عز وجل في محكم تنزيله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [هود: ٩٢].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

كما يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾ [الحج: ٤٢].

كما يقول الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

كما يقول المولى عز وجل: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴾ [ص: ١٢].

تحريم الكذب[1]

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[2] [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

(١/١٥٤٣) وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ومسلم في كتاب البر (باب قبح الكذب وحسن الصدق).

لغة الحديث:

الصدق: هو الإخبار على وفق ما يعلم وهو ضد الكذب. البر: اسم جامع لكل خير. صديقًا: الصديق هو من تعود الصدق. الكذب: هو الإخبار بخلاف الواقع. الفجور: هو الفسق والانغماس في المعاصي والمجاهرة بها، وهو اسم جامع لكل شر.

أفاد الحديث:

الحث على تحري الصدق والاعتناء به، فإنه إذا اعتنى به أكثر منه وعرف به.

التحذير من الكذب والتساهل فيه، والكذب أشد الأشياء ضررًا، والصدق أشدها نفعًا.

الصدق يدل على الشجاعة في مواجهة الواقع والكذب يدل على الجبن

---

(١) نزهة المتقين ودليل المسلمين شرح رياض الصالحين. ط دار الكتب العلمية.

(٢) ولا تقف: ولا تتبع.

والتردد وعدم الثقة في مواجهة الواقع.

الاعتياد على أمر وملازمته يصبح سجية في المرء يعرف بها.

(١٥٤٤/٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**». متفق عليه، وقد سبق بيانه مع حديث أبي هريرة بنحوه في (باب الوفاء بالعهد).

الحديث رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب علامات المنافق) ومسلم في كتاب الإيمان (باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) وقد تقدم الحديث في باب الوفاء بالعهد رقم ٦٨٦.

لغة الحديث:

أربع: أي أربع من الخصال، يدعها: يتركها. فجر: بالغ في الخصومة والأيمان الكاذبة.

أفاد الحديث:

وجوب الابتعاد عن هذه الخصال لأنها من خصال المنافقين.

هذه الخصال الأربع إذا اجتمعت في إنسان كان منافقًا تام النفاق.

(١٥٤٥/٣) وعن ابن عباس عنهما عن النبي ﷺ قال: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**». رواه البخاري.

«**تحلم**»: أي قال: إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

و«**الآنك**» بالمد وضم النون ، وتخفيف الكاف: وهو الرصاص المذاب.

الحديث رواه البخاري في كتاب التعبير (باب من كذب في حلمه).

لغة الحديث:

بحُلم: الحلم في هذا الحديث المنام خيرًا كان أو شرًا والأصل فيه أن يكون في الشر لقول النبي ﷺ: «**الرؤية من الله والحُلم من الشيطان فمن تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل**» قال ابن حجر في الفتح وذلك ليطول عذابه في النار لأن عقده بين طرفي الشعيرة غير ممكن.

أفاد الحديث:

- الوعيد الشديد لمن يكذب في المنام، لأن ذلك كذب على الله تعالى وعلى الناس.
- الترهيب من التجسس واستراق السمع، لمعرفة ما يتحدث به الناس.
- الجزاء من جنس العمل.
- الوعيد الشديد للمصورين، لأنهم ينازعون الخالق في قدرته.

(١٠٤٦/٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تريا**». رواه البخاري. ومعناه يقول: «رأيت» فيما لم يره.

الحديث رواه البخاري في التعبير (باب من كذب في حلمه).

لغة الحديث:

أفرى: أكذب – الفرى: جمع فرية: الكذبة.

أفاد الحديث:

التحذير من اختلاف الصور الكاذبة في اليقظة أو المنام.

(١٠٤٧/٥) وعن سمرة بن جندب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا؟**» فيقص عليه من شاء أن يقص؛ وإنه قال لنا ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ههنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود**

عليه، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى»! (قال): «قلت لهما: سبحان الله! ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه؛ ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان؛ ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى. (قال): قلت: «سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور». فأحسب أنه قال: «فإذا فيه لغط، وأصوات، فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضووا. قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على نهر» حسبت أنه كان يقول: «أحمر، مثل الدم» «وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة؛ وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه، فيلقمه حجرًا، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا. قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة – أو كأكره ما أنت راء رجلاً مرأى. فإذا هو عنده نار يحشها ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط! قلت: ما هذا؟ وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا إلى دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن! قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها، فتلقانا رجال، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء! وشطر منهم كأقبح ما أنت راء! قال لهم:

اذهبوا فقعوا في ذلك النهر؛ وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه. ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة». (قال) «قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك؛ فسما بصري صُعُدًا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالا لي: هذاك منزلك؟ قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني فأدخله. قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله!

قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا؟ فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة. وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني. وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر، ويلقم الحجارة، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار، يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن النار، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة» وفي رواية البرقاني: «**ولد على الفطرة**»، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وأولاد المشركين**». «وأما القوم الذين كانوا، شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم قوم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم». رواه البخاري.

وفي رواية له: «رأيت الليلة رجلين أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدسة»، ثم ذكره، وقال: «فانطلقنا إلى نقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع؛ يتوقد تحته نارًا، فإذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا، وإن خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة».

وفيها: «حتى أتينا على نهر من دم»، ولم يشك «فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل، وبين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي

في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج جعل يرمي في فيه بحجر، فيرجع كما كان».

وفيها: «فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب».

وفيها: «الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة».

وفيها: «الذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل، ولم يعمل فيه بالنهار، فيفعل به إلى يوم القيامة. والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملته! فلو أتيت منزلك!». رواه البخاري.

قوله: «يثلغ رأسه» هو بالثاء المثلثة والغين المعجمة: أي يشدخه ويشقه.

قوله: «يتدهده» أي يتدحرج. و«الكلوب» بفتح الكاف، وضم اللام المشددة، وهو معروف.

قوله: «فيشرشر»: أي يقطع.

قوله: «ضوضؤوا» وهو بضادين معجمتين: أي صاحوا.

قوله: «فيعقر» هو بالفاء والغين المعجمة: أي يفتح.

قوله: «المرآة» هو بفتح الميم: أي المنظر.

قوله: «يحشها» هو بفتح الياء وضم الحاء المهملة والشين المعجمة: أي يوقدها.

قوله: «روضة مُعْتَمّة» هو بضم الميم وإسكان العين وفتح التاء وتشديد الميم: أي وافية النبات طويلته. قوله: «دوحة» وهي بفتح الدال وإسكان الواو بالحاء المهملة: وهي الشجرة الكبيرة.

قوله: «**المحض**» هو بفتح الميم وإسكان الحاء المهملة وبالضاد المعجمة، وهو اللبن. قوله: «**فسما بصري**» أي ارتفع. «**وصعدا**» بضم الصاد والعين: أي مرتفعًا. و «**الربابة**» بفتح الراء، وبالباء الموحدة مكررة: وهي السحابة.

الحديث رواه البخاري في التعبير (باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح).

لغة الحديث:

ذات غداة: أي صبح يوم و «**ذات**» زائدة، من إضافة الشيء إلى نفسه. حتى يصبح رأسه كما كان: أي حتى يرجع صحيحًا، كما كان قبل أن يشدخ. «**شدقه**»: جانب فمه. «التنور»: ما يخبز فيه، ويكون حفيرة في الأرض، أو على وجه الأرض.

«**لغط**»: قال في المصباح: هو كلام فيه جلبة واختلاط ولا يتبين.

«**نور الربيع**»: زهره. «شطر»: نصف. «المحض». الخالص.

«**جنة عدن**»: من عدن بالمكان إذا قام، أي جنة خالدة وباقية.

«**فذراني**»: تركاني. «**يأخذ القرآن**»: يحفظه.

«**فيرفضه**»: يهمل تعهده بالمذاكرة فينساه.

«**الآفاق**»: النواحي والجهات.

«**تجاوز الله عنهم**»: غفر لهم وعفا عنهم. «**نقب**»: خرق.

أفاد الحديث:

الترهيب من نسيان القرآن بعد حفظه، والتحذير من ترك العمل به.

الوعيد الشديد لمن يتكاسل عن الصلاة المفروضة، والترهيب من الكذب وبيان عذابه الشديد، والتحذير من الزنا وأكل الربا.

بيان مكانة الرسول ﷺ، وبيان فضل الشهداء ومنزلتهم عند الله.

بيان أن العذاب في النار والنعيم في الجنة حق لا ريب فيه، وأفاد الحديث أن النبي ﷺ شاهد أكثر أمور الآخرة.

بيان ما يجوز من الكذب

اعلم أن الكذب، وإن كان أصله محرمًا، فيجوز في بعض الأحوال بشروط قد أوضحتها في كتاب «**الأذكار**»[١]، ومختصر ذلك: أن الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه. وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب[٢].

ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا كان الكذب مباحًا، وإن كان واجبًا كان الكذب واجبًا: فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله، وأخفى ماله، وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه؛ وكذا لو كان عنده وديعة، وأراد ظالم أخذها وجب الكذب بإخفائها. والأحوط في هذا كله أن يوري. ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا في ظاهر اللفظ، وبالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب. ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب فليس بحرام في هذا الحال.

واستدل العلماء بجواز الكذب في هذا الحال بحديث:

(**١٥٤٨/٦**) أم كلثوم رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا**» متفق عليه.

زاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

الحديث رواه البخاري في كتاب الصلح (باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس) ومسلم في البر (باب تحريم الكذب وبيان المباح منه).

لغة الحديث:

أم كلثوم: بنت عقبة بن أبي معيط بن عبد شمس القرشية، انظرها في باب

---

(١) انظر باب النهي عن الكذب وبيان أقسامه من كتاب الأذكار للإمام النووي.

(٢) جاز الكذب: أي لا يمتنع، وليس المراد به الجواز بمعنى الإباحة.

التراجم، ليس الكذاب: ليس المذموم شرعًا، فينمي: فيبلغ. حديث الرجل إلى امرأته: أي وعده لها بما يسرها ويفرحها.

أفاد الحديث:

أن من الكذب ما هو جائز شرعًا، لأن النبي ﷺ رخص فيه.

الحث على التثبت فيما يقوله ويحكيه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[1] [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١٥٤٩/٧) وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في المقدمة (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

أفاد الحديث:

التثبت في الأخبار، وعدم تصديق كل ما يقال، قال ابن علان: معنى الحديث والآثار المذكورة في الباب: الزجر عن التحدث بكل ما سمع، فإنه يسمع الصدق والكذب، فإن حدث بكل ما سمع فقد كذب، لإخباره بما لم يكن.

(١٥٥٠/٨) وعن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في المقدمة (باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين).

لغة الحديث:

فهو أحد الكاذبين: بالجمع وفي رواية: «**أحد الكاذبَين**» بالتثنية.

أفاد الحديث:

التثبت من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، والتأكد من صحتها قبل روايتها، إن صفة الكذاب تطلق على كل من اخترع الكذب وعلى من قام بنقله

---

(١) ولا تقف: ولا تتبع.

ونشره بين الناس.

(١٥٥١/٩) وعن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله ﷺ، إن لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**»! متفق عليه.

«**المتشبع**» هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان. ومعناه هنا أن يظهر أنه حصل له فضيلة وليست حاصلة. «**ولابس ثوبي زور**»: أي ذي زور، وهو الذي يزور على الناس: بأن يتزيا بزي أهل الزهد والعلم أو الثروة ليغتر به الناس، وليس هو بتلك الصفة. وقيل غير ذلك، والله أعلم.

الحديث رواه البخاري في النكاح (باب المتشبع بما لم ينل) ومسلم في اللباس والزينة (باب النهي عن التزوير في اللباس).

لغة الحديث:

ضرة: بفتح الضاد وتشديد الراء: امرأة الزوج، والجمع ضرات وضرائر.

جناح: إثم.

أفاد الحديث:

أن تظاهر الإنسان بما ليس فيه يجعله من الكذابين المزورين.

الحض على موافقة الظاهر للباطن ما أمكن.

بيان غلظ تحريم شهادة الزور

قال الله تعالى: ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠](1). وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾(2) [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾(3)[الفجر: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ

---

(١) قول الزور: قول الباطل والكذب.

(٢) ولا تقف: ولا تتبع.

(٣) لبالمرصاد: أي يرقب أعمالهم ويجازيهم عليها.

﴿ٱلزُّورَ﴾[١] [الفرقان: ٧٢]. (**١٥٥٢/١٠**) وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**»، وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور! وشهادة الزور! فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**»! متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب الشهادات (باب ما قيل في شهادة الزور) ومسلم في كتاب الإيمان (باب بيان الكبائر وأكبرها).

لغة الحديث:

أنبئكم: أخبركم وأعلمكم. الإشراك بالله: الكفر بأنواعه. عقوق الوالدين: إيذاؤهما وعدم طاعتهما. وكان متكئًا فجلس: لينبه على أهمية ما سيقوله.

أفاد الحديث:

كما أفاد في باب تحريم عقوق الوالدين: التحذير الشديد من قول الزور وشهادة الزور. وإن تكراره ﷺ لقوله: «**ألا وشهادة الزور**» لبيان عظيم خطرها على الأمة، وشدة عذاب صاحبها يوم القيامة.

أن أبغض الذنوب إلى الله تعالى الإشراك بالله، ثم عقوق الوالدين، ثم قول الزور وشهادة الزور، وفي إدراجها مع الإشراك بالله تدل على مدى ما فيها من قبح وتنفير، لما يترتب عليها من مفاسد وأضرار جسيمة في المجتمع.

باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ[٢]

واعلم – وفقك الله تعالى – أن الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه. وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع.

---

(١) لا يشهدون الزور: أي لا يشهدون الشهادة الباطلة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي.

والدليل على أن الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] وقال جل ثناؤه ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال عز وجل ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [الطلاق: ٢] فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول وأن شهادة غير العدل مردودة.

والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في أعظم معانيهما إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم كما أن شهادته مردودة عند جميعهم. ودلت السنة على نفي رواية المنكر من الأخبار كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق، وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ **«من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»**.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سمرة بن جندب وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة أيضًا حدثنا وكيع عن شعبة وسفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة ابن شعبة قالا: قال رسول الله ﷺ ذلك.

والستارة في ناقله. وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع. الستارة بكسر السين وهي ما يستتر به، وكذلك السترة، وهي هنا إشارة إلى الصيانة.

وقوله: (وأن يتقي منها) ضبطناه بالتاء المثناة فوق بعد المثناة تحت وبالقاف من «الاتقاء»، وهو الاجتناب. وفي بعض الأصول (وأن ينفي) بالنون والفاء وهو صحيح أيضًا وهو بمعنى الأول.

وقوله: (صحيح الروايات وسقيمها وثقات الناقلين لها من المتهمين) ليس هو من باب التكرار للتأكيد، بل له معنى غير ذلك، فقد تصح الروايات لمتن، ويكون الناقلون لبعض أسانيده متهمين، فلا يشتغل بذلك الإسناد.

وأما قوله: «إنه يجب أن يتقي ما كان منها عن المعاندين من أهل البدع»

فهذا مذهبه.

قال العلماء من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول: المبتدع الذي يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق، وأما الذي لا يكفر بها فاختلفوا في روايته، فمنهم من ردها مطلقًا لفسقه ولا ينفعه التأويل، ومنهم من قبلها مطلقًا إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه، سواء كان داعية إلى بدعته و غير داعية، وهذا محكي عن إمامنا الشافعي (رحمه الله) لقوله: « أقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة لكونهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم».

ومنهم من قال: تقبل إذا لم يكن داعية إلى بدعة، ولا تقبل إذا كان داعية. وهذا مذهب كثيرين – أو الأكثر – من العلماء وهو الأعدل الصحيح. وقال بعض أصحاب الشافعي رحمه الله: اختلف أصحاب الشافعي في غير الداعية، واتفقوا على عدم قبول الداعية. وقال أبو حاتم بن حبان بكسر الحاء: لا يجوز الاحتجاج بالداعية عند أئمتنا قاطبة لا خلاف بينهم في ذلك.

وأما المذهب الأول فضعيف جدًا، ففي الصحيحين وغيرهما من كتب أئمة الحديث الاحتجاج بكثيرين من المبتدعة غير الدعاة، ولم يزل السلف والخلف على قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم وإسماعهم من غير إنكار منهم والله أعلم.

قال رحمه الله: «والخبر وإن فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه فقد يجتمعان في معظم معانيهما» هذا من الدلائل الصريحة على عظم قدر مسلم وكثرة فقهه.

اعلم أن الخبر والشهادة يشتركان في أوصاف، ويفترقان في أوصاف، فيشتركان في اشتراط الإسلام والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وضبط الخبر والمشهود به عند التحمل والأداء، ويفترقان في الحرية والذكورية والعدد والتهمة وقبول الفرع مع وجود الأصل[1]، فيقبل خبر العبد والمرأة والواحد ورواية الفرع

---

(١) أي في أداء الشهادة بالتحمل.

مع حضور الأصل الذي هو شيخه، ولا تقبل شهادتهم[١] إلا في المرأة في بعض المواضع مع غيرها[٢]، وترد الشهادة بالتهمة كشهادته على عدوه، وبما يدفع به عن نفسه ضررًا أو يجر به إليها نفعًا ولولده ووالده، واختلفوا في شهادة الأعمى، فمنعها الشافعي وطائفة، وأجازها مالك وطائفة، واتفقوا على قبول خبره، وإنما فرق الشرع بين الشهادة والخبر في هذه الأوصاف، لأن الشهادة تخص فيظهر فيها التهمة، والخبر يعمه وغيره من الناس أجمعين، فتنتفي التهمة. وهذه الجملة[٣] قول العلماء الذين يعتد بهم وقد شذ عنهم جماعة في أفراد بعض هذه الجملة، فمن ذلك شرط بعض أصحاب الأصول أن يكون تحمله الرواية في حال البلوغ، والإجماع يرد عليه، وإنما يعتبر البلوغ حال الرواية لا حال السماع، وجوز بعض أصحاب الشافعي رواية الصبي وقبولها منه في حال الصبا. والمعروف من مذهب العلماء مطلقًا ما قدمناه، وشرط الجبائي المعتزلي وبعض القدرية العدد في الرواية، فقال الجبائي: لابد من اثنين عن اثنين كالشهادة، وقال القائل من القدرية: لابد من أربعة عن أربعة في كل خبر.

وكل هذه الأقوال ضعيفة ومنكرة مطروحة. وقد تظاهرت دلائل النصوص الشرعية والحجج العقلية على وجوب العمل بخبر الواحد، وقد قرر العلماء في كتب الفقه والأصول ذلك بدلائله وأوضحوه أبلغ إيضاح، وصنف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنفات مستكثرات مستقلات في خبر الواحد ووجوب العمل به، والله أعلم.

ثم إن قولنا: تشترط العدالة والمروءة، يدخل فيه مسائل كثيرة معروفة في كتب الفقه يطول الكلام بتفصيلها.

---

(١) أي لا تقبل شهادة العبد والمرأة، وشهادة الواحد، وشهادة الفرع مع وجود الأصل الذي رأى بنفسه وسمع بنفسه.

(٢) كالشهادة في الأموال وما يختص بالنساء.

(٣) أي هذه الجملة من الأحكام السابقة في التفرقة بين الخبر والشهادة.

وقال رحمه الله: (وهو الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن سمرة بن جندب ح وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة أيضًا حدثنا وكيع عن شعبة وسفيان عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة قالا: قال رسول الله ﷺ ذلك)

أما قوله: (الأثر المشهور عن رسول الله ﷺ) فهو جار على المذهب المختار الذي قاله المحدثون وغيرهم واصطلح عليه السلف وجماهير الخلف وهو الأثر يطلق على المروي مطلقًا سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي.

وقال الفقهاء الخراسانيون: الأثر هو ما يضاف إلى الصحابي موقوفًا عليه. والله أعلم.

وأما «المغيرة» فبضم الميم على المشهور وذكر ابن السكيت وابن قتيبة وغيرهما أنه يقال بكسرها أيضًا. وكان المغيرة بن شعبة ﵁ أحد دهاة العرب — كنيته أبو عيسى — ويقال: أبو عبد الله وأبو محمد مات سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين أسلم عام الخندق، ومن طرف أخباره أنه حكي عنه أنه أحصن في الإسلام ثلاثمائة امرأة، وقيل: ألف امرأة.

وأما (سمرة بن جندُب) فبضم الدال، وفتحها، وهو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري — كنيته أبو سعيد — ويقال أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان: مات بالكوفة في آخر خلافة معاوية رحمهم الله.

وأما (سُفيان) المذكور هنا فهو الثوري أبو عبد الله وقد تقدم أن السين من سفيان مضمومة وتفتح وتكسر.

وأما «الحكم» فهو ابن عتيبة بالمثناة من فوق وآخره باء موحدة ثم هاء وهو من أفقه التابعين وعبادهم ﵁ .

وأما «حبيب» فهو ابن أبي ثابت، قيس التابعي الجليل. قال أبو بكر بن عياش: كان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع حبيب بن أبي ثابت، والحكم، وحماد

وكانوا أصحاب الفتيا، ولم يكن أحد إلا ذل لحبيب، وفي هذين الإسنادين لطيفتان من علم الإسناد.

إحداهما أنهما إسنادان رواتهما كلهم كوفيون الصحابيان وشيخا مسلم ومن بينهما، إلا شعبة فإنه واسطي ثم بصري، وفي صحيح مسلم من هذا النوع كثير جدًا ستراه في مواضعه حيث ننبه عليه إن شاء الله تعالى.

واللطيفة الثانية: أن كل واحد من الإسنادين فيه تابعي روى عن تابعي وهذا كثير وقد يروي ثلاثة تابعين بعضهم عن بعض وهو أيضًا كثير، لكنه دون الأول وسننبه على كثير من هذا في مواضعه وقد يروي أربعة تابعين بعضهم عن بعض وهذا قليل جدًا وكذلك وقع مثل هذا كله في الصحابة ﷺ صحابي عن صحابي كثير وثلاثة صحابة بعضهم عن بعض وأربعة بعضهم عن بعض، وهو قليل جدًا وقد جمعت أنا الرباعيات من الصحابة والتابعين في أول شرح صحيح البخاري بأسانيدها وجمل من طرقها.

وأما (عبد الرحمن بن أبي ليلى) فإنه من أجل التابعين، قال عبد الله بن الحارث: ما شعرت أن النساء ولدت مثله، وقال عبد الملك بن عمير، رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى في حلقة فيها نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون لحديثه وينصتون له فيهم البراء بن عازب، مات سنة ثلاث وثمانين واسم أبي ليلى يسار وقيل بلال وقيل: بليل بضم الموحدة وبين اللامين مثناة من تحت، وقيل: داود وقيل: لا يحفظ اسمه، وأبو ليلى صحابي قتل مع علي ﷺ بصفين.

وأما ابن أبي ليلى الفقيه المتكرر في كتب الفقه والذي له مذهب معروف فاسمه محمد وهو ابن عبد الرحمن هذا وهو ضعيف عند المحدثين. والله أعلم.

وأما (أبو بكر بن شيبة): فاسمه عبد الله، وقد أكثر مسلم من الرواية عنه وعن أخيه عثمان، ولكن عن أبي بكر أكثر، وهما أيضًا شيخا البخاري. وهما منسوبان إلى جدهما واسم أبيهما محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم ألف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق

ثم ياء من تحت، ولأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة أخ ثالث اسمه القاسم ولا رواية له في الصحيح،كان ضعيفًا وأبو شيبة هو إبراهيم بن عثمان وكان قاضي واسط وهو ضعيف متفق على ضعفه.

وأما ابنه محمد والد بني أبي شيبة فكان على قضاء فارس وكان ثقة. قاله يحيى بن معين وغيره. ويقال لأبي شيبة وابنه وبني ابنه: عبسيون بالموحدة والسين المهملة.

وأما أبو بكر وعثمان فحافظان جليلان واجتمع في مجلس أبي بكر نحو ثلاثين ألف رجل. وكان أجل من عثمان وأحفظ. وكان عثمان أكبر منه سنًا وتأخرت وفاة عثمان فمات سنة تسع وثلاثين ومائتين. ومات أبو بكر سنة خمس وثلاثين. ومن طرف ما يتعلق بأبي بكر من ذكره أبو بكر الخطيب البغدادي قال: حدث عن أبي بكر محمد بن سعد كاتب الواقدي ويوسف بن يعقوب أبو عمرو النيسابوري، وبين وفاتيهما مائة وثمان أو سبع سنين. والله أعلم.

وأما ذكر مسلم رحمه الله متن الحديث ثم قوله: حدثنا أبو بكر وذكر إسناديه إلى الصحابيين ثم قال: قالا: قال رسول الله ﷺ ذلك، فهو جائز بلا شك، وقد قدمنا بيانه في الفصول السابقة وما يتعلق به. والله أعلم.

فهذا مختصر ما يتعلق بإسناد هذا الحديث ويحتمل ما ذكرناه من حال بعض رواته، وإن كان ليس هو غرضنا لكنه أوَّلَ موضع جري ذكرهم، فأشرنا إليه رمزًا. وأما متنه فقوله ﷺ: «**يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» ضبطناه: يرى بضم الباء والكاذبين بكسر الباء وفتح النون على الجمع وهذا هو المشهور في اللفظتين. قال القاضي عياض: الرواية فيه عندنا الكاذبين على الجمع، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه المستخرج على صحيح مسلم في حديث سمرة الكاذبين بفتح الباء وكسر النون على التثنية واحتج به على أن الراوي له أن يشارك البادئ بهذا الكذب، ثم رواه أبو نعيم من رواية المغيرة الكاذبَين أو الكاذِبِين على الشك في التثنية والجمع. وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء في

يرى وهو ظاهر حسن، فأما من ضم الياء فمعناه يظن، وأما من فتحها فظاهر ومعناه وهو يعلم، ويجوز أن يكون بمعنى يظن أيضًا. فقد حكي رأى بمعنى ظن. وقيد بذلك لأنه؛ لا يأثم إلا بروايته ما يعلمه أو يظنه كذبًا، أما ما لا يعلمه ولا يظنه فلا إثم عليه في روايته وإن ظنه غيره كذبًا، أو علمه، وأما فقه الحديث فظاهر ففيه تغليظ الكذب والتعرض له وأن من غلب على ظنه كذب ما يرويه فرواه كان كاذبًا، وكيف لا يكون كاذبًا وهو مخبر بما لم يكن، وسنوضح حقيقة الكذب وما يتعلق بالكذب على رسول الله ﷺ قريبًا إن شاء الله تعالى فنقول.

باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ [(١)]

١ – وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا غندر عن شعبة ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش أنه سمع عليًا ﷺ يخطب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا عليَّ فإنه من يكذب علي يلج النار»[(٢)].

٢ – وحدثني زهير بن حرب، حدثنا إسماعيل (يعني ابن عُلية) عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن رسول الله ﷺ قال: «من تعمد علي كذبًا فليتبوأ مقعده من النار»[(٣)].

٣ – وحدثنا محمد بن عبيد الغُبري، حدثنا أبو عوانة، عن أبي حصين، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[(٤)].

٤ – وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبي حدثنا سعيد بن عبيد حدثنا علي بن ربيعة قال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة قال: فقال المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد،

---

(١) مسلم بشرح النووي.
(٢) البخاري (١٠٦).
(٣) البخاري (١٠٨).
(٤) البخاري (١٠١).

فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[١].

وحدثني علي بن حجر السعدي، حدثنا علي بن مسهر، أخبرنا محمد ابن قيس الأسدي، عن علي بن ربيعة الأسدي، عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ بمثله ولم يذكر: «إن كذبًا على ليس ككذب على أحد».

باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ

ش: فيه قوله ﷺ: «لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار» وفي رواية «من تعمد علي كذبًا فليتبوأ مقعده من النار» وفي رواية: «من كذب علي متعمدًا» وفي رواية: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد فمن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

أما أسانيده ففيه (**غندر**) بضم الغين المعجمة وإسكان النون وفتح الدال المهملة هذا هو المشهور فيه. وذكر الجوهري في صحاحه أنه يقال: بفتح الدال وضمها واسمه محمد بن جعفر الهذلي مولاهم البصري أبو عبد الله، وقيل أبو عبدالله، وقيل أبو بكر، وغندر لقبه به ابن جريج، روينا عن عبيد الله بن عائشة عن بكر بن كلثوم السلمي قال: قدم علينا ابن جريج البصرة فاجتمع الناس عليه فحدث عن الحسن البصري بحديث، فأنكره الناس عليه، فقال ابن عائشة: إنما سماه غندرًا ابن جريج في ذلك اليوم كان يكثر الشغب عليه، فقال: اسكت يا غندر، وأهل الحجاز يسمون المشغب غندرًا. ومن طرف أحوال غندر رحمه الله أنه بقي خمسين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا ومات في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل سنة أربع وتسعين.

وفيه (ربعي بن حراش) فربعي بكسر الراء وإسكان الموحدة وحراش بكسر الحاء المهملة وبالراء وآخره شين معجمة، وقد قدمنا في آخر الفصول أنه ليس في الصحيحين حراش بالحاء المهملة سواه. ومن عداه بالمعجمة. وهو ربعي ابن حراش بن جحش العبسي بالموحدة الكوفي أبو مريم، أخو مسعود الذي

---

(١) البخاري (١٢٩).

تكلم بعد الموت، وأخوهما ربيع، وربعي تابعي كبير جليل لم يكذب قط وحلف أنه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته، وكذلك حلف أخوه ربيع أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار قال غاسله، فلم يزل مبتسمًا على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا، توفي ربعي سنة إحدى ومائة وقيل: سنة أربع ومائة وقيل: توفي في ولاية الحجاج ومات الحجاج سنة خمس وتسعين.

وأما قوله: (حدثنا إسماعيل يعني ابن علية) فإنما قال: يعني لأنه لم يقع في الرواية ابن علية فأتي بـــ (يعني)، وقد تقدم بيان هذا في الفصول، وأوضحت هناك مقصوده، وعلية هي أم إسماعيل، وأبوه إبراهيم بن سهم بن مقسم الأسدي أسد خزيمة مولاهم، وإسماعيل بصري وأصله من الكوفة كنيته أبو بشر. قال شعبة: إسماعيل بن علية ريحانة الفقهاء وسيد المحدثين وقال محمد بن سعد: علية أم إسماعيل هي علية بنت حسان مولاة لبني شيبان، وكانت امرأة نبيلة عاقلة وكان صالح المري وغيره من وجوه البصرة وفقهائها يدخلون عليها فتبرز تحادثهم وتسائلهم. ومن طرف ما يتعلق بإسماعيل بن علية ما ذكره الخطيب البغدادي قال: حدث عن إسماعيل بن علية بن جريج وموسى بن سهل الوشا وبين وفاتيهما مائة وتسع وعشرين سنة وقيل: سبع وعشرون، قال: وحدث عن ابن علية إبراهيم بن طهمان وبين وفاته ووفاة الوشا مائة وعشر سنين وقيل: مائة وخمس وعشرون سنة. قال: وحدث عن ابن علية شعبة وبين وفاته ووفاة الوشا مائة وثماني عشرة سنة، وحدث عن ابن علية عبد الله بن وهب وبين وفاته ووفاة الوشا إحدى وثمانون سنة. مات الوشا يوم الجمعة أول ذي القعدة سنة ثمان وتسعين ومائتين.

وقوله في الإسناد الآخر: «**حدثنا محمد بن عبيد الله الغبري حدثنا أبو عوانة عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة**». أما «**الغبري**» فبغين معجمة مضمومة ثم باء موحدة مفتوحة منسوب إلى غبر أبي قبيلة معروفة في بكر بن وائل. ومحمد هذا بصري. وأما «**أبو عوانة**» فبفتح العين وبالنون واسمه

الوضاح بن عبد الله الواسطي.

وأما «**أبو حصين**» فبفتح الحاء المهملة وكسر الصاد: وقد تقدم في آخر الفصول أنه ليس في الصحيحين له نظير وأن من سواه حصين بضم الحاء وفتح الصاد إلا حضين بن المنذر فإنه بالضاد المعجمة. واسم أبي حصين عثمان بن عاصم الأسدي الكوفي التابعي.

وأما «**أبو صالح**» فهو السمان ويقال: الزيات واسمه ذكوان، كان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة وهو مدني توفي سنة إحدى ومائة وفي درجته وقريب منه جماعة يقال لكل واحد منهم: أبو صالح.

وأما «**أبو هريرة**» فهو أول من كني بهذه الكنية واختلف في اسمه واسم أبيه على نحو من ثلاثين قولاً وأصحها عبد الرحمن بن صخر. قال أبو عمرو بن عبد البر: لكثرة الاختلاف فيه لم يصح عندي فيه شيء يعتمد عليه إلا أن عبد الله وعبد الرحمن هو الذي يسكن إليه القلب في اسمه في الإسلام. قال: وقال محمد بن إسحاق: اسمه عبد الرحمن بن صخر، قال: وعلى هذا اعتمدت طائفة صنفت في الأسماء والكنى، وكذا قال الحاكم أبو أحمد: أصح شيء عندنا في اسمه عبد الرحمن بن صخر، وأما سبب تكنيته أبا هريرة فإنه كانت له في صغره هريرة صغيرة يلعب بها. ولأبي هريرة ﷺ منقبة عظيمة وهي أنه أكثر الصحابة ﷺ رواية عن رسول الله ﷺ. وذكر الإمام الحافظ بقي بن مخلد الأندلسي في مسنده لأبي هريرة خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا وليس لأحد من الصحابة ﷺ هذا القدر ولا ما يقاربه، قال الإمام الشافعي رحمه الله: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، وكان أبو هريرة ينزل المدينة بذي الحليفة وله بها قبر. مات بالمدينة سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين ودفن بالبقيع وماتت عائشة رضي الله عنها قبله بقليل وصلى عليها، وقيل: إنه مات سنة سبع وخمسين وقيل: سنة ثمان، والصحيح سنة تسع وكان من ساكني الصفة وملازميها. قال أبو نعيم في حلية الأولياء: كان عريف أهل الصفة وأشهر

من سكنها. والله أعلم.

وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية من الصحة وقيل إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن النبي عليه السلام نحو من أربعين نفسًا من الصحابة ﷺ وحكى الإمام أبو بكر الصيرفي في شرحه لرسالة الشافعي رحمهما الله أنه روى عن أكثر من ستين صحابيًا مرفوعًا وذكر أبو القاسم عبدالرحمن بن منده عدد من رواه فبلغ بهم سبعة وثمانين ثم قال: وغيرهم. وذكر بعض الحفاظ أنه روي عن اثنين وستين صحابيًا وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة. قال: ولا يعرف حديث اجتمع على روايته العشرة إلا هذا ولا حديث يروى عن أكثر من ستين صحابيًا إلا هذا. قال بعضهم: رواه مائتان من الصحابة ثم لم يزل في ازدياد وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراجه في صحيحيهما من حديث علي والزبير وأنس وأبي هريرة وغيرهم وأما إيراد أبي عبد الله الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين حديث أنس في أفراد مسلم فليس صواب، فقد اتفقا عليه. والله أعلم.

وأما لفظ متنه فقوله ﷺ: «فليتبوأ مقعده من النار»، قال العلماء: معناه فلينزل: وقيل فليتخذ منزله من النار، وقال الخطابي: أصله من مباءة الإبل وهي أعطانها ثم قيل: إنه دعاء بلفظ الأمر أي بوأه الله ذلك، وكذا فليلج النار، وقيل: هو خبر بلفظ الأمر أي معناه: فقد استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه، ويدل عليه الرواية «يلج النار» وجاء في رواية «بني له بيت في النار». ثم معنى الحديث: أن هذا جزاؤه وقد يجازى به، وقد يعفو الله الكريم عنه ولا يقطع عليه بدخول النار، وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لأصحاب الكبائر غير الكفر، فكلها يقال فيها هذا جزاؤه وقد يجازي وقد يعفي عنه، ثم إن جوزي وأدخل النار فلا يخلد فيها، بل لابد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته ولا يخلد في النار أحد مات على التوحيد. وهذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة وسيأتي دلائلها في كتاب الإيمان قريبًا إن شاء الله والله أعلم.

وأما الكذب فهو عند المتكلمين من أصحابنا: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، هذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: شرطه العمدية ودليل خطاب هذه الأحاديث لنا، فإنه قيده عليه السلام بالعمد لكونه قد يكون عمدًا وقد يكون سهوًا، مع أن الإجماع والنصوص المشهورة في الكتاب والسنة متوافقة متظاهرة على أنه لا اثم على الناسي والغالط، فلو أطلق عليه السلام الكذب لتوهم أنه يأثم الناسي أيضًا فقيده.

وأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة بالعمد. والله أعلم واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد.

إحداها: تقرير هذه القاعدة لأهل السنة أن الكذب يتناول إخبار العامد والساهي عن الشيء بخلاف ما هو.

الثانية: تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله. هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف. وقال الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين أبي المعالي من أئمة أصحابنا: يكفر بتعمد الكذب عليه ﷺ، حكى إمام الحرمين عن والده هذا المذهب وأنه كان يقول في درسه كثيرًا: من كذب على رسول الله ﷺ عمدًا كفر وأريق دمه، وضعف إمام الحرمين هذا القول،وقال: إنه لم يرد لأحد من الأصحاب وإنه هفوة عظيمة. والصواب ما قدمناه عن الجمهور والله أعلم.

ثم إن من كذب على رسول الله ﷺ عمدًا في حديث واحد فسق وردت روايته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها. فلو تاب وحسنت توبته، فقد قال جماعة من أهل العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وصاحب الشافعي وأبو بكر الصيرفي من فقهاء أصحابنا الشافعيين وأصحاب الوجوه منهم ومتقدميهم في الأصول والفروع: لا تؤثر توبته في ذلك ولا تقبل روايته أبدًا، بل يحتم جرحه دائمًا، وأطلق الصيرفي وقال: كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر ومن ضعفنا نقله لم

نجعله قويًا بعد ذلك، قال: وذلك مما افترقت فيه الرواية والشهادة ولم أر دليلاً لمذهب هؤلاء ويجوز أن يوجه بأن ذلك جعل تغليظًا وزجرًا بليغًا عن الكذب عليه ﷺ لعظم مفسدته فإنه يصير شرعًا مستمرًا إلى يوم القيامة بخلاف الكذب على غيره والشهادة، فإن مفسدتهما قاصرة ليست عامة. قلت: وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته في هذا، وقبول رواياته بعدها إذا صحت توبته بشروطها المعروفة، وهي الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود إليها فهذا هو الجاري على قواعد الشرع، وقد أجمعوا على صحة رواية من كان كافرًا فأسلم وأكثر الصحابة كانوا بهذه الصفة، وأجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا. والله أعلم.

الثالثة: أنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع خلافًا للكرامية الطائفية المبتدعة في زعمهم الباطل أن يجوز وضع الحديث في الترغيب والترهيب، وتابعهم على هذا كثيرون من الجهلة الذين ينسبون أنفسهم إلى الزهد أو ينسبهم جهلة مثلهم، وشبهة زعمهم الباطل أنه جاء في رواية: من كذب علي متعمدًا ليضل به فليتبوأ مقعده من النار. وزعم بعضهم أن هذا كذب له عليه الصلاة والسلام لا كذب عليه. وهذا الذي انتحلوه وفعلوه واستدلوا به غاية الجهالة ونهاية الغفلة، وأدل الدلائل على بعدهم من معرفة شيء من أنواع الشرع، وقد جمعوا فيه جملاً من الأغاليط اللائقة بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة الفاسدة فخالفوا قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ، وخالفوا صريح هذه الأحاديث المتواترة والأحاديث الصريحة المشهورة في إعظام شهادة الزور، وخالفوا إجماع أهل الحل والعقد، وغير

ذلك من الدلائل القطعيات في تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي، وإذا نظر في قولهم وجد كذبًا على الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] ومن أعجب الأشياء قولهم هذا كذب له وهذا جهل منهم بلسان العرب وخطاب الشرع فإن كل ذلك عندهم كذب عليه.

وأما الحديث الذي تعلقوا به، فأجاب العلماء عنه بأجوبة أحسنها وأخصرها أن قوله ليضل الناس، زيادة باطلة اتفق الحفاظ على إبطالها وأنها لا تعرف صحيحة بحال.

الثاني: جواب أبي جعفر الطحاوي أنها لو صحت لكانت للتأكيد كقول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ ﴾.

الثالث: أن اللام في (ليضل) ليست لام التعليل بل هي لام الصيرورة والعاقبة، معناه أن عاقبة كذبه ومصيره إلى الإضلال به كقوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ونظائره في القرآن وكلام العرب أكثر من أن تحصر وعلى هذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالاً، وعلى الجملة مذهبهم أرك من أن يعتنى بإيراده وأبعد من أن يهتم بإبعاده وأفسد من أن يحتاج إلى إفساد. والله أعلم.

الرابعة: يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعًا أو غلب على ظنه وضعه فمن روى حديثًا علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته وضعه، فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ، ويدل عليه أيضًا الحديث السابق، «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية حديث أو ذكره أن ينظر فإن كان صحيحًا أو حسنًا قال: قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله أو نحو ذلك من صيغ الجزم وإن كان ضعيفًا فلا يقل: قال أو فعل أو أمر أو نهى وشبه ذلك من صيغ

الجزم بل يقول: روي عنه كذا، أو جاء عنه كذا، أو يروى أو يذكر أو يحكى، أو يقال أو بلغنا وما أشبهه، والله سبحانه أعلم.

قال العلماء: وينبغي لقارئ الحديث أن يعرف من النحو واللغة وأسماء الرجال ما يسلم به من قوله ما لم يقل، وإذا صح في الرواية ما يعلم أنه خطأ فالصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف أنه يرويه على الصواب ولا يغيره في الكتاب، لكن يكتب في الحاشية أنه وقع في الرواية كذا وأن الصواب خلافه وهو كذا. ويقول عند الرواية: كذا وقع في هذا الحديث أو في روايتنا والصواب كذا، فهو أجمع للمصلحة فقد يعتقده خطأ ويكون له وجه يعرف غيره ولو فتح باب تغيير الكتاب لتجاسر عليه غير أهله.

قال العلماء: وينبغي للراوي وقارئ الحديث، إذا اشتبه عليه لفظة فقرأها على الشك أن يقول عقيبه أو كما قال، والله أعلم، وقد قدمنا في الفصول السابقة الخلاف في جواز الرواية بالمعنى لمن هو كامل المعرفة.

قال العلماء: ويستحب لمن روى بالمعنى أن يقول بعده أو كما قال أو نحو هذا كما فعلته الصحابة فمن بعدهم. والله أعلم.

وأما توقف الزبير وأنس وغيرهما من الصحابة ﷺ في الرواية عن رسول الله والإكثار منها، فلكونهم خافوا الغلط والنسيان. والناسي وإن كان لا إثم عليه فقد ينسب إلى تفريط لتساهله أو نحو ذلك. وقد تعلق بالناسي بعض الأحكام الشرعية كغرامات المتلفات وانتقاض الطهارات وغير ذلك من الأحكام المعروفات. والله سبحانه وتعالى أعلم.

الصدق[1]

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ ﴾

(١) نزهة المتقين ودليل المسلمين شرح رياض الصالحين.

[الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢١].

الراجح عند العلماء أن الصدق: مطابقة الخبر للواقع، والكذب عكسه، وقال بعض العلماء: الصدق استواء الظاهر والباطن والسر والعلانية، ويمكن أن نقول: إن الصدق هو موافقة العمل لمقتضى أوامر الشرع.

(٥٤/١) وأما الأحاديث - فالأول عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»** متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب (باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وما ينهى عن الكذب) ومسلم في البر (باب تحريم النميمة) و(باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله).

لغة الحديث:

البر: بكسر الباء: الخير وبر الرجل يبر برًا فهو بر وبار، أي صادق أو تقي، قاله في المصباح. يقال: البر: اسم جامع لكل خير. يهدي: يرشد ويرسل. صديقًا: من أبنية المبالغة وهو من يتكرر منه الصدق، حتى يصير سجية له وخلقًا، الفجور: فجر الرجل يفجر فجورًا:فسق، قاله في المصباح، والفجور: الأعمال السيئة، كذاباً من أبنية المبالغة هو من تكرر منه الكذب حتى يصير سجية له وخلقًا. ومعنى يكتب عند الله صديقًا: يحكم له بذلك ويستحق الوصف به، ويستحق ثواب الصادقين.وكذلك يكتب عند الله كذابًا: أي يحكم له بالكذب ويستحق أن يوصف به، ويستحق عقاب الكذابين.

أفاد الحديث:

الترغيب في الصدق لأنه سبب كل خير، والتحذير من الكذب لأنه سبب كل شر، وأن من اشتهر بشيء صح أن يوصف به.

الثواب والعقاب يترتب على ما يقوم به الإنسان من عمل خير أو شر.

(٥٥/٢) الثاني عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك؛ فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**» رواه الترمذي وقال: حديث صحيح. قوله: «**يريبك**» هو بفتح الياء وضمها: ومعناه اترك ما تشك في حله واعدل إلى ما لا تشك فيه. الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة باب (اعقلها وتوكل) رقم / ٢٥٢٠.

لغة الحديث:

يريبك: بفتح الياء من راب، وضمها من أراب، والفتح أفصح، وقيل: راب لما تيقن فيه الريبة، وأراب لما تتوهم منه. طمأنينة: اطمأن القلب: سكن و لم يقلق، والاسم الطمأنينة.

أفاد الحديث:

استحباب التنزه عن الشبهات والإقدام على ما هو حلال بين، لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.

(٥٦/٣) الثالث عن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه الطويل في قصة هرقل، قال هرقل: فماذا يأمركم - يعني النبي ﷺ - قال أبو سفيان: قلت: يقول: «**اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة، والعفاف، والصلة**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي والصلاة وغيرهما، ومسلم في كتاب الجهاد (باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه للإسلام).

لغة الحديث:

هرقل: بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، هو ملك الروم ولقبه قيصر، وكان ذلك لما كتب إليه ﷺ يدعوه للإسلام سنة ست من الهجرة بعد صلح الحديبية. العفاف: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. الصلة: أي صلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل، وذلك بالبر والإكرام. وهذا الحديث جزء من حديث طويل ذكره البخاري في كتاب بدء الوحي.

أفاد الحديث:

ملازمة الرسول ﷺ للصدق وشهرته به، وشهادة الأعداء له بذلك.

رأس هذا الدين توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، وهو منبع الفضائل. التنفير من التقليد الأعمى وخاصة في أمور الدين.

(٥٧/٤) الرابع عن أبي ثابت، وقيل أبي سعيد، وقيل أبي الوليد، سهل ابن حنيف، وهو بدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في الإمارة (باب استحباب الشهادة في سبيل الله تعالى).

لغة الحديث:

بدري: أي حضر غزوة بدر، الشهادة: في أصلها هي الموت في قتال الأعداء ابتغاء مرضاة الله تعالى، وسميت شهادة لأن صاحبها من شهد له الله وملائكته بالجنة، وقيل لأنه حي لم يمت كأنه شاهد حاضر، وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهد له، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل.
منازل الشهداء: درجاتهم عند الله.

أفاد الحديث:

أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئًا من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتحقق له عمله.

استحباب طلب الشهادة والإخلاص في ذلك.

(٥٨/٥) الخامس عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبني بها، ولا أحد بنى بيوتًا لم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر أولادها. فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت –**

يعني النار – لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غلولاً فليبايعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول. فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضعها فجاءت النار فأكلتها. فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا» متفق عليه.

«**الخلفات**» بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام: جمع خلفة وهي الناقة الحامل.

الحديث رواه البخاري في الجهاد (باب قول النبي ﷺ: أحلت لكم الغنائم) وفي النكاح (باب من أحب البناء قبل الغزو) ومسلم في كتاب الجهاد (باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة).

لغة الحديث:

نبي: هو يوشع بن نون، كما قاله السيوطي، بضع: بضم الباء وسكون الضاد، يطلق على الفرج والنكاح والجماع، يبني بها: يدخل بها، وكانت عادة العرب إذا دخل الزوج على المرأة بنى عليها قبة من شعر أو غيره فأطلق البناء وأراد الدخول. من القرية: هي إريحاء، لم تطعمها: قال الكرماني: عبر بلم تطعمها دون لم تأكلها، للمبالغة، إذ معناه لم تذق طعمها. غلولاً: الخيانة في الغنيمة.

أفاد الحديث:

قال القرطبي: نهى النبي قومه عن اتباعه على أحد هذه الأحوال، لأن أصحابها يكونون متعلقي النفوس بهذه الأسباب، فتضعف عزائمهم وتفتر رغباتهم في الجهاد والشهادة، ومقصود النبي تفرغهم من العوائق والأشغال ليقبلوا على الجهاد بنية صادقة وعزم حازم.

كفاية المجاهدين أمور الدنيا ليتفرغوا للجهاد بصدق.

أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين، وأمر العقلاء أمر تكليف.

ثبوت المعجزات للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كان من علامة قبول الغنائم وعدم وجود الغلول فيها، أن تأتي نار من السماء فتأكلها وهذا فيما مضى، ولكن في الإسلام أباح الله تعالى لأمة سيدنا محمد ﷺ الغنائم، وكان هذا من خصوصياته عليه الصلاة والسلام.

(٦/٥٩) السادس عن أبي خالد حكيم بن حزام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في البيوع (باب: إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا) وغيره، ومسلم في البيوع (باب ثبوت خيار المجلس للمتابعين).

لغة الحديث:

البيعان: البائع والمشترى. بالخيار: اسم من الاختيار والتخيير، وهو طلب خير الأمرين من الفسخ والإجازة، وهذا ما يتسمى خيار المجلس. فإن صدقا: أي فيما يخبران به، البائع في البيع والمشتري في الثمن، بينا: أظهر البائع والمشتري ما في المبيع والثمن من عيب ونحوه. بورك لهما: أي في بيعهما وشرائهما، وذلك بكثرة الخير والبركة، وتسهيل الأسباب المفضية لزيادة الربح. كتما: أخفيا ما في السلعة والثمن من العيوب. محقت بركة بيعهما: ذهبت فلم يحصلا إلا على مجرد التعب.

أفاد الحديث:

ثبوت خيار المجلس للمتابعين، وهذا عند الشافعية، والأحناف لا يثبتون خيار المجلس ويحملون التفرق على التفرق بالأقوال. أي فرغا من الإيجاب والقبول، وقيل: التفرق بالكلام معناه اختلاف القبول عن الإيجاب كأن يقول: بعتك بعشرة فيقول: اشتريت بعشرين.

وجوب إظهار العيب في السلعة وحرمة إخفائها، فإذا ظهر العيب كان له الخيار في فسخ البيع بشروط ذكرها الفقهاء، أن الكذب سبب لمحق البركة.

فائدة: كما أن التاجر إذا صدق في سلعته ولم يغش بورك له في معاملته،

كذلك العبد إذا صدق في معاملته مع ربه ولم يغش في أداء الواجبات برياء أو سمعة، بورك له في تلك المعاملة، وأعطي الأجر والثواب.

المراقبة

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾. [الشعراء: ٢١٨ – ٢١٩][1].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[2] [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[3] [الفجر: ١٤].

وقال تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[4][غافر: ١٩]، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٧/٦٠) وأما الأحاديث فالأول عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد: أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتصوم رمضان،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،**

---

(١) حين تقوم: أي إلى الصلاة. تقلبك: في أركان الصلاة قائمًا وقاعدًا وساجدًا. في الساجدين: مع المصلين، وفسر بعضهم الساجدين بأصلاب آباء النبي من الأنبياء.

(٢) معكم: هذه المعية الله أعلم بها، وفسرها بعض العلماء بأنها معية بعلمه لا بذاته.

(٣) المرصاد: والمرصد، الطريق والموضع الذي يرقب فيه العدو، والمعنى أنه تعالى يراقب عباده لا يفوته أحد منهم.

(٤) خائنة الأعين: العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى المحرمات، وما تخفي الصدور: أي القلوب التي في الصدور

ورسله،واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. رواه مسلم. ومعنى «تلد الأمة ربتها»، أي سيدتها: ومعناه أن تكثر السراري حتى تلد الأمة السرية بنتًا لسيدها، وبنت السيد في معنى السيد، وقيل غير ذلك. و «العالة» الفقراء. وقوله: «مليًا» أي زمانًا طويلاً، وكان ذلك ثلاثًا».

الحديث رواه مسلم في أول كتاب الإيمان.

لغة الحديث:

تشهد: تقر وتبين، تقيم الصلاة: تأتي بها تامة الشروط والأركان، والصلاة لغة الدعاء وشرعًا أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم بشروط خاصة. تؤتي الزكاة: تؤديها، والزكاة لغة النماء والتطهر، وشرعًا اسم لقدر معلوم. الصوم: لغة الإمساك، وشرعًا الإمساك عن المفطرات، ورمضان اسم للشهر سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها. الحج: لغة القصد، وشرعًا قصد البيت الحرام لأداء النسك، السبيل: الطريق.

والمراد هنا ملك الزاد والراحلة كما جاء مفسرًا بالحديث. تؤمن بالله: الله علم الذات المقدسة المتصفة بسائر الكمالات، وقيل هو الاسم الأعظم لم يتسم به أحد غيره. الملائكة: عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قادرون على التشكل، قائمون بوظائف العبودية لله، مخلوقون من نور، الله أعلم بحقيقتهم. اليوم الآخر: يوم القيامة، سمي بذلك لأنه لا يوم بعده. القضاء: لغة الحكم، وشرعا إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال.

القدر: لغة التقدير،وشرعًا إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال وجعل الشيء على مقدار مخصوص، وشرعًا إيجاد الأشياء على وفق ما قضاه الله تعالى. خيره وشره: أي ما يصيب الناس من خير كالخصب، أو شر كالقحط، هذا بالنسبة للناس، وأما عند الله تعالى فكله لحكمة يعلمها.

الإحسان: إتقان العبادة وأداؤها على أكمل وجوهها المشروعة، وإنما أخر الإحسان عما قبله، لأنه غاية كمالها، بل والمقوم لها. أن تعبد: العبادة أقصى درجات الخضوع لله تعالى مع الإذعان والرضا. كأنك تراه: ويراك، فحذف الثاني، لدلالة الأول عليه، وهذا من جوامع كلمه ﷺ، وهذا أقصى درجات المراقبة لله تعالى. فإن لم تكن تراه: أي فلا تفعل ما لا يرضيه، فإنه يراك. الساعة: يوم القيامة، والمسئول عنه زمن وجودها. أماراتها: جمع أمارة، وهي العلامات الدالة على اقترابها. الأمة: القنة وهي المملوكة. رعاء: جمع راع. الشاء: جمع شاة. يتطاولون في البنيان: يتفاخرون بارتفاع المباني، وهذا كناية عن إسناد الأمر إلى غير أهله. يعلمكم دينكم: أي أمور دينكم، وإسناد التعليم إلى جبريل مجاز، إذ المعلم في الحقيقة هو النبي ﷺ.

أفاد الحديث:

إنما نادى جبريل النبي ﷺ باسمه مع أن الله تعالى قال: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ [النور: ٦٣]، زيادة في إخفاء أمره، أو أن الملائكة ليسوا داخلين في مفهوم الآية.

الإيمان هو التصديق بقواعد الدين، والإسلام هو الانقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، فهما مختلفان مفهومًا لكنهما متلازمان، فلا يقبل إيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان، وقد يتوسع الشرع فيهما فيستعمل كل واحد منهما مكان الآخر.

النطق بالشهادتين للقادر على النطق شرط في إجراء أحكام الإسلام على الإنسان في الدنيا.

في محاورة جبريل مع النبي ﷺ توجيه تربوي في طريقة الحوار والاستجواب في التعليم.

في جلوس جبريل أمام النبي ﷺ توجيه إلى الأدب واحترام مجالس العلم.

تحديد يوم الساعة لم يُطلع عليه الله تعالى أحد من خلقه، ولكن للساعة أمارات كثيرة منها: ما ذكره في الحديث، ومنها ما ذكر في غيره.

ظهور عيسى عليه السلام والدجال، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها.

على الإنسان أن يراقب الله تعالى ويشعر دائمًا بأن الله مطلع عليه.

في الحديث إشارة إلى أنه قد يتولى الأمر غير أهله، وإلى كثرة العقوق، وهذا من أمارات الساعة.

على المسلم أن يحافظ على أسس الدين وأركانه، وأن يشعر بالمسئولية أمام الله تعالى فيحسن عمله بدافع الإيمان ومراقبة الله تعالى.

(٦١/٨) الثاني عن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، و خالق الناس بخلق حسن**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في أبواب البر والصلة (باب ما جاء في معاشرة الناس) رقم ١٩٨٨.

لغة الحديث:

اتق الله: أي اجعل بينك وبين عقاب الله وقاية، وذلك بفعل أوامره وترك نواهيه. حيثما كنت: في أي مكان كنت، حيث يراك الناس ولا يرونك، اكتفاء بنظره تعالى. وأتبع: إذا فعلت سيئة فألحقها بحسنة.

أفاد الحديث:

الحسنة تمحو السيئة، أي تزيلها من كتب الحفظة، وقيل هذا كناية عن عدم المؤاخذة بها، وقيل هذا في الصغائر، أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة بشروطها، وهذا في غير المعاصي المتعلقة بحقوق الناس.

من حسن الخلق طلاقه الوجه، وكف الأذى، وبذل المعروف، ومعاملة الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك.

(٩/ ٦٢) الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف!**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية غير الترمذي «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك: واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**».

الحديث رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة (باب: ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) رقم ٢٠١٨ والحديث الذي في ذيل هذا الحديث رواه الإمام أحمد.

لغة الحديث:

يومًا : ساعة من يوم. غلام: الصبي من حين يفطم إلى البلوغ وابن عباس كان سنه يومها نحو عشر سنين. كلمات: جمعت للقلة، لتسهيل حفظها، ونونت إيذانًا بعظيم خطرها. احفظ الله: أي احفظ دينه بملازمة تقواه، واجتناب ما لا يرضاه. تجاهك: معك، ومعية الله الله أعلم بها، وقيل بالحفظ والتأييد والإعانة. استعنت: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا. الأمة: الجماعة واتباع الأنبياء، والمراد جميع المخلوقين. ورفعت الأقلام: تركت الكتابة بها، لفراغ الأمر وانبرامه. جفت: يبست. الصحف: التي فيها تقادير الكائنات كاللوح المحفوظ. الرخاء: النعمة. الفرج: الخروج من الغم، والغم هو الضيق الذي يأخذ النفس.

أفاد الحديث:

تحريم سؤال غير الله تعالى مما لا يقدر عليه إلا هو، كالرزق والشفاء

والمغفرة والنصر وغيرها، أما ما جرت عليه عادة الناس أن يتعاونوا فيه مما يقدرون عليه فلا مانع من سؤالهم، كالاستعارة والاستقراض والاسترشاد وغير ذلك.

ما في علم الله تعالى، أو ما أثبته سبحانه في أم الكتاب، ثابت لا يتبدل ولا يتغير ولا ينسخ، وما وقع وما سيقع كله معلوم لله، ولا يقع شيء إلا بعلمه تعالى.

من لطائف اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وتناهى أيس العبد من جميع المخلوقين، وتعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل.

الحديث يدل على أصل عظيم في مراقبة الله تعالى، ومراعاة حقوقه، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده، وتفرده، وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه.

(٩/٦٣) الرابع عن أنس ﷺ قال: «**إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في عينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات**» رواه البخاري، وقال: «**الموبقات**»: المهلكات.

الحديث رواه البخاري في الرقاق (باب ما يتقى من محقرات الذنوب).

لغة الحديث:

الشعر: بفتح العين ويجوز إسكانها، ويضرب مثلاً للدقة، والقلة.

أفاد الحديث:

الاستخفاف بالذنب يدل على قلة الخشية من الله تعالى، على العكس من استعظامه، فإنه يدل على كمال الخشية وعظيم المراقبة لله تعالى.

أعلم الناس بالله تعالى بعد الأنبياء وأكملهم ورعًا وأشدهم خشية هم أصحاب رسول الله ﷺ، فلقد كانوا يرون الأمور التي استهونها غيرهم مهلكات، لعظم شهودهم جلال الله وكمال معرفتهم له.

(١٠/٦٤) الخامس عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي المرء ما حرم الله عليه**» متفق عليه. «**والغيرة**» بفتح الغين: وأصلها الأنفة.

الحديث رواه البخاري في النكاح (باب الغيرة) ومسلم في التوبة (باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش).

لغة الحديث:

الغيرة في حق الناس تغير حالهم وانزعاجهم، وهذا مستحيل في حق الله تعالى، ومعنى غيرته تعالى: منع الناس من الفواحش وسائر المحرمات، وأنه تعالى لا يرضى بارتكابها.

أفاد الحديث:

التنفير من ارتكاب المحرمات، فإنها تسبب غضب الله تعالى.

(**١١/٦٥**) السادس عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا. فقال فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال البقر – شك الراوي، فأعطي ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملاً وقال: بارك الله لك فيها. فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله بصري فأبصر الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم! ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة. فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا**

فأعطاك الله!؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا. فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي البحال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إليّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فو الله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» متفق عليه.

«**والناقة العشراء**» بضم العين وفتح الشين وبالمد: هي الحامل.

قوله: «**أنتج**» وفي رواية «**فنتج**» معناه: تولى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله «**ولد هذا**» هو بتشديد اللام: أي تولي ولادتها، وهو بمعنى أنتج في الناقة، فالمولد، والناتج، والقابلة بمعنى: لكن هذا للحيوان وذاك لغيره. وقوله «**انقطعت بي الحبال**» هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي الأسباب.

وقوله: «**لا أجهدك**» معناه لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي.

وفي رواية البخاري: «**لا أحمدك**» بالحاء المهملة والميم، ومعناه: لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه كما قالوا: ليس على طول الحياة ندم: أي على فوات طولها.

الحديث: رواه البخاري في الأنبياء (باب ما ذكر عن بني إسرائيل) ومسلم في الزهد في فاتحته.

لغة الحديث:

البرص: مرض، وهو بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج. أقرع: وهو من ذهب شعر رأسه من آفة. يبتليهم: يختبرهم، أي يعاملهم معاملة المختبر،

ليظهر حالهم للناس، وإلا فعلمه أزلي شامل للموجود والمعدوم قبل وجوده. قذرني: كرهني الناس وتباعدوا عني. فلا بلاغ: البلاغ ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب. كابرًا عن كابر: أي أبًا عن جد.

أفاد الحديث: من أقبح الصفات البخل، فإنه حمل ذينك الشخصين على نسيان نعمة الله تعالى عليهما وجحدها.

البخل والكذب موجبان لغضب الله تعالى وسخطه، كما حصل للأبرص والأقرع.

الصدق والكرم من الصفات الحميدة، وقد اتصف بهما ذلك الأعمى، فحملاه على الشكر والجود، فنال بذلك مرضاة الله تعالى.

الجزاء عند الله تعالى على ما يظهر من عمل الإنسان وبحسب نيته.

جواز الإخبار عن بني إسرائيل، وفي ذلك عبرة وعظة لغيرهم.

أفاد الحديث التوجيه والإرشاد بالقصة، لأن تأثيرها أبلغ في النفوس بمجرد الموعظة، على المؤمن أن يتصف بالصدق والكرم، ويبادر إلى شكر نعم الله تعالى بالقول والعمل.

(٦٦/١٢) السابع عن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن. قال الترمذي وغيرهم من العلماء: معنى **«دان نفسه»**: حاسبها.

الحديث: رواه الترمذي في أبواب القيامة (باب الكيس من دان نفسه) رقم ٢٤٦١.

لغة الحديث:

الكيس: العاقل. العاجز: الضعيف التارك لما يجب فعله.

أفاد الحديث:

وجوب الأخذ بالحزم مع النفس ومحاسبتها، والإتيان بواجب العبودية، وعدم الركون إلى الأماني الكاذبة والأوهام الخادعة، فإن الله تعالى يثيب الناس بما

عملوا لا بما تمنوا من غير عمل.

(٦٧/١٣) الثامن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**» حديث حسن رواه الترمذي وغيره.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الزهد (باب ما جاء فيمن تكلم فيما لا يعنيه) رقم ٢٣١٨.

لغة الحديث:

من حسن إسلام المرء: أي من علامة كماله واستقامته. تركه ما لا يعنيه: ما لا يحتاجه ولا ضرورة إليه.

أفاد الحديث:

على الإنسان أن يشتغل بما فيه صلاحه معاشًا ومعادًا، ويعرض عما عدا ذلك بما لا يحتاجه ولا ينتفع به، بل ما يضره ويؤذيه، وألا يتطفل بشئون غيره، فإن ذلك من كمال الاستقامة.

(٦٨/١٤) التاسع عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته**» رواه أبو داود وغيره.

الحديث:

روه أبو داود في النكاح (باب في ضرب النساء).

أفاد الحديث:

أنه ينبغي المحافظة على الأسرار التي تكون بين الزوجين، ولا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته، لأنه قد يكون لأسباب يستحيا من ذكرها، أو مما يجب كتمه، ويترك ذلك إلى الزوج وإلى مراقبته لله تعالى، فإنه مأمور بتأديب زوجته، ولكن إذا رفعت الأمور إلى القضاء واحتيج الأمر إلى السؤال والجواب صح ذلك، لإقامة الحق وإصلاح ذات البين.

ذكر الغضب في القرآن الكريم

قال تعالى في الغضب ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ

عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المجادلة: ١٤].

وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقال أيضًا: ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النور: ٩].

كما قال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

ويقول المولى عز وجل في محكم تنزيله: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [طه: ٨٦].

كما قال أيضًا في كتابه العزيز: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشورى: ١٦].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

كما قال: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ

يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾ [طه: ٨٦].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ [الشورى: ٤٢].

وقال أيضًا: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١].

ذم الغضب والحقد والحسد (١)

اعلم أن الغضب شعلة من النار، وأن الإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢]. فإن شأن الطين السكون، والوقار، وشأن النار التلظي والاشتغال، والحركة والاضطراب.

ومن نتائج الغضب: الحقد والحسد، ومما يدل على ذم الغضب قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له: أوصني. قال: «**لا تغضب** فرد عليه مرارًا قال: **لا تغضب**»(٢). وفي حديث آخر أن ابن عمر ﷺ سأل النبي صلي الله عليه وآله وسلم، ماذا يبعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: «**لا تغضب**»(٣).

وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران: ٣٩] قال: السيد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه. وروينا أن ذا القرنين لقي ملكًا من الملائكة فقال: علمني علمًا أزداد به إيمانًا ويقينًا قال: لا تغضب، فإن

---

(١) مختصر منهاج القاصدين.

(٢) أخرجه البخاري عن حديث أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني في الأخلاق وابن عبد البر في التمهيد.

الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرد الغضب بالكظم، وسكنه بالتؤدة[(١)]، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً لينًا للقريب والبعيد، ولا تكن جبارًا عنيدًا.

وروينا أن إبليس لعنه الله بدا لموسى عليه السلام، فقال يا موسى: إياك والحدة، فإني ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة، وإياك والنساء، فإني لم أنصب فخًا قط أثبت في نفسي من فخ أنصبه بامرأة، وإياك والشح، فإني أفسد على الشحيح الدنيا والآخرة.

وكان يقال: اتقوا الغضب، فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل، والغضب عدو العقل.

وحقيقة الغضب: غليان الدم لطلب الانتقام، فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثورانًا يغلي به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة، وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.

فإن كان الغضب صدر ممن فوقه، وكان معه يأس من الانتقام، تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فصار حزنًا ولذلك يصفر اللون وإن كان الغضب على نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب.

والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال.

فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار.

والتفريط في هذه القوة أيضًا مذموم، لأنه يبقى لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكلية، عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسليط

---

(١) التؤدة هي التأني في الأمر.

الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطريقين.

واعلم أنه متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوفه، وحمى مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه.

ومن آثار الغضب في الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطي فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته في حال غضبه وقبحها لأنف لنفسه من تلك الحال، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم.

بيان الأسباب المهيجة للغضب
وذكر علاج الغضب

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها.

فمن أسبابه: العجب، والمزح، والمماراة، والمضادة، والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعًا، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده فيجهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه.

وأما إذا هاج الغضب فيعالج بأمور.

أحدها: أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو والحلم، والاحتمال، كما جاء في البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً استأذن على عمر ﷺ، فأذن له، فقال: يا ابن الخطاب، والله

ما تعطينا الجزل[١]، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر ﷺ، حتى هم أن يوقع به[٢]. فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين، فو الله ما جاوزها عمر ﷺ حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله عز وجل.

الثاني: أن يخوف نفسه عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي لم آمن أن يمضي الله عز وجل غضبه عليّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو. وقد قال الله تعالى في بعض الكتب: يا ابن آدم؛ اذكرني عند الغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك[٣] فيمن أمحق.

والثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا إن لم يخف من الآخرة، وهذا هو تسليط شهوة على غضب، ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدم، وأنه يشبه حينئذ الكلب الضاري[٤]، والسبع العادي[٥]، وأنه يكون مجانبًا لأخلاق الأنبياء والعلماء في عاداتهم، لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم.

---

(١) أي: كثير العطاء.

(٢) أي ينزل به ما يسوؤه — أي يضر به.

(٣) المحق هو النقصان وذهاب البركة.

(٤) الكلب الضاري هو المعود يقال له ضرى الكلب أو أضرر، صاحبه إذا أغراه بالصيد هكذا قال ابن الأثير في النهاية.

(٥) السبع العادي هو المتعدي الذي يهاجم الناس والشاء.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، مثل أن يكون سبب غضبه أن يقول له الشيطان: إن هذا يحمل منك العجز، والذلة والمهانة، وصغر النفس، وتصير حقيرًا في أعين الناس، فليقل لنفسه: تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة، والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين.

وينبغي أن يكظم غيظه، فذلك يعظمه عند الله تعالى، فماله وللناس؟ أفلا يجب أن يكون هو القائم يوم القيامة إذا نودي: ليقم من وقع أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى، هذا ما يتعلق بالقلب.

وأما العمل، فينبغي له السكون، والتعوذ، وتغيير الحال، وإن كان قائمًا جلس، وإن كان جالسًا اضطجع، وقد أمرنا بالوضوء أيضًا عند الغضب، فهذه الأمور وردت في الأحاديث.

أما الحكمة في الوضوء عند الغضب، فقد بينها في الحديث. كما روى أبو وائل قال: كنا عند عروة بن محمد، فكلمه رجل بكلام فغضب غضبًا شديدًا، فقام وتوضأ، ثم جاء فقال: حدثني أبي عن جدي عطية وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»[1].

وأما الجلوس والاضطجاع، فيمكن أن يكون إنما أمر بذلك ليقرب من الأرض التي منها خلق، فيذكر أصله فيذل، ويمكن أن يكون ليتواضع بذله، لأن

(١) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف.

الغضب ينشأ من الكبر، وبدليل ما روى أبو سعيد، عن النبي ﷺ أنه ذكر الغضب وقال «**من وجد شيئًا من ذلك، فليلصق خده بالأرض**»[(١)]. وقيل: غضب المهدي على رجل، فدعا بالسياط فلما رأى شبيب شدة غضبه، وإطراق الناس، فلم يتكلموا بشيء، قال: يا أمير المؤمنين، لا تغضبن لله بأشد مما غضب لنفسه، فقال: خلوا سبيله.

كظم الغيظ

قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، فذكر ذلك في معرض المدح.

وعن رسول الله ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء**»[(٢)].

وروي عن عمر ﷺ أنه قال: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

في الحلم

روى أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم**»[(٣)] «**اطلبوا العلم، واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، لينوا لمن تعلمون ولمن تعلمون منه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء، فيغلب جهلكم عليكم**»[(٤)].

وقال ﷺ لأشج بن قيس[(٥)]: «**إن فيك خلقين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة**»[(٦)].

---

(١) أخرجه الترمذي في المتن وابن حنبل في مسنده.

(٢) أخرجه أبو داود وابن أبي الدنيا وابن حبان بأسانيد ضعيفة.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي بسند ضعيف.

(٤) قال الحافظ العراقي رواه ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف.

(٥) هذا لقبه، واسمه المنذر بن عمرو وقيل ابن الحارث.

(٦) الأناة: عدم العجلة.

وشتم رجل ابن عباس ﷺ، فلما قضى مقالته، فقال: يا عكرمة، انظر هل للرجل حاجة فتقضيها، فنكس الرجل رأسه واستحى.

وأسمع رجل معاوية كلامًا شديدًا، فقيل له: لو عاقبته؟ فقال: إني لأستحي أن يضيق حلمي عن ذنب أحد من رعيتي.

وقسم معاوية نطعًا[١]، فبعث منها إلى شيخ من أهل دمشق فلم يعجبه، فجعل عليه يمينًا أن يضرب رأس معاوية، فأتى معاوية فأخبره، فقال له معاوية: أوف بنذرك وارفق بالشيخ. وجاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمدًا لأغيظك[٢] فتضربني، فتأثم. فقال: لأغيظن من حرضك على غيظي. فأعتقه.

وشتم رجل عدي بن حاتم وهو ساكت، فلما فرغ من مقالته قال: إن كان بقي عندك شيء فقل قبل أن يأتي شباب الحي، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لسيدهم لم يرضوا.

ودخل عمر بن عبد العزيز ليلة في الظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه وقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فهم به الحرس، فقال عمر: مه[٣]، إنما سألني أمجنون؟ فقلت: لا.

ولقي رجل علي بن الحسين ﷺ، فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال: مهلا، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة[٤]. كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

---

(١) جاء في «القاموس» النطع بالكسر، وبالفتح وبالتحريك: بساط من الأديم ا هـ. وفي نسخة نطقًا قال في المصباح النطاق هو إزار تلبسه المرأة.

(٢) في المطبوع «لأغضبنك» وهو خطأ.

(٣) مه هنا بمعنى حسبك.

(٤) الخميصة: ثياب خزام صوف.

وقال رجل لوهب بن منبه: إن فلانًا شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريدًا غيرك.

العفو والرفق

اعلم أن معنى العفو أن تستحق حقًا فتسقطه، وتؤدي عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم والكظم. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠]، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[١].

الحقد والحسد[٢]

اعلم أن الغيظ إذا كظم لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، فاحتقن فيه فصار حقدًا.

وعلامته دوام بغض الشخص واستثقاله والنفور منه، فالحقد ثمرة الغضب والحسد من نتائج الحقد.

وعن الزبير بن العوام ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء**»[٣].

وفي «**الصحيحين**» عن النبي ﷺ قال: «**لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**». وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «**إن الحسد يأكل الحسنات كم تأكل النار الحطب**»[٤].

وفي حديث آخر أنه قال: «**يطلع عليكم من هذا الفج[٥] رجل من أهل**

---

(١) رواه الترمذي من حديث أبي كبشة ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة.

(٢) مختصر منهاج القاصدين.

(٣) رواه مسلم من حديث جرير دون قوله كله فهي عند أبي داود.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي عن الزبير بن العوام بسند ضعيف.

(٥) الفج بالفتح الطريق الواسع بين الجبلين.

الجنة، فطلع رجل، فسئل عن عمله، فقال: إني لا أجد لأحد من المسلمين في نفسي غشًا ولا حسدًا على خير أعطاه الله إياه»[١].

وروينا أن الله تبارك وتعالى يقول: «**الحاسد عدو نعمتي، متسخط لقضائي، غير راض بقسمتي بين عبادي**»[٢].

وقال ابن سيرين: ما حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيا، لأنه إن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا، وهو يصير إلى الجنة، وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا، وهو يصير إلى النار. وقال إبليس لنوح عليه السلام: إياك والحسد، فإنه صيرني إلى هذه الحال.

واعلم أن الله تعالى إذا أنعم على أخيك نعمة، فلك[٣] فيها حالتان:

إحداهما: أن تكره النعمة وتحب زوالها، فهذا هو الحسد.

والحالة الثانية: أن لا تكره وجودها ولا تحب زوالها، ولكنك تشتهي لنفسك مثلها، فهذا يسمى غبطة.

قال المصنف: رحمه الله: قلت: واعلم أني ما رأيت أحدًا حقق الكلام في هذا كما ينبغي، ولابد لي من كشفه فأقول: اعلم أن النفس قد جبلت[٤] على حب الرفعة، فهي لا تحب أن يعلوها جنسها، فإذا علا عليها، شق عليها وكرهته، وأحبت زوال ذلك ليقع التساوي، وهذا أمر مركوز في الطباع. وقد روى أبو هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن، والطيرة**[٥] **والحسد، وسأحدثكم ما المخرج من ذلك، إذا ظننت فلا تحقق،**

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح وقال على شرط الشيخين.

(٢) لم يستدل له على أصل.

(٣) في المطبوع: فعليك.

(٤) جبلت من الجبلة وهي الخلقة وفي سورة الشعراء الآية ١٨٤ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ .

(٥) الطيرة: التشاؤم.

وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ»[١].

وعلاج الحسد، تارة بالرضا بالقضاء، وتارة بالزهد في الدنيا، وتارة بالنظر فيما يتعلق بتلك النعم من هموم الدنيا وحساب الآخرة، فيتسلى بذلك ولا يعمل بمقتضى ما في النفس أصلاً، ولا ينطق، فإذا فعل ذلك لم يضره ما وضع في جبلته.

فأما من يحسد نبيًا على نبوته، فيجب أن لا يكون نبيًا، أو عالمًا على علمه، فيؤثر أن لا يرزق ذلك أو يزول عنه، فهذا لا عذر له، ولا تجبل عليه إلا النفوس الكافرة أو الشريرة، فأما إن أحب أن يسبق أقرانه، ويطلع على ما لم يدركوه، فإنه يأثم بذلك، فإنه لم يؤثر زوال ما عندهم عنهم، بل أحب الارتفاع عنهم ليزيد حظه عند ربه، كما لو استبق عبدان إلى خدمة مولاهما، فأحب أحدهما أن يستبق. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[٢][المطففين: ٢٦].

وفي «**الصحيحين**» من حديث ابن عمر[٣] رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا حسد إلا في اثنين: رجل أتاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في الحق آناء الليل وآناء النهار**».

والحسد له أسباب:

أحدهما: العداوة، والتكبر، والعجب، وحب الرياسة، وخبث النفس، وبخلها، وأشدها: العداوة والبغضاء، فإن من آذاه إنسان بسبب من الأسباب، وخالفه في غرض، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد.

والحقد يقتضي التشفي والانتقام: فمهما أصاب عدوه من البلاء فرح

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد بسند ضعيف.

(٢) أي يرغب الراغبون.

(٣) في المطبوع من حديث عمر، ولا يعرف من حديثه بل من حديث ابنه.

بذلك، وظنه مكافأة من الله تعالى له، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغى، وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنسانًا فيستوي عنده مسرته ومساءته، فهذا غير ممكن.

وأما الكبر، فهو أن يصيب بعض نظراته مالاً أو ولاية، فيخاف أن يتكبر عليه ولا يطيق تكبره، أو يكون من أصاب ذلك دونه، فلا يحتمل ترفعه عليه أو مساواته. وكان حسد الكفار لرسول الله ﷺ قريبًا من ذلك. قال الله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١]، وقال في حق المؤمنين: ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال في آية أخرى: ﴿ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [يس: ١٥]، وقال: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٤]، فعجبوا وأنفوا من أن يفوز برتبة الرسالة بشر مثلهم فحسدوهم.

وأما حب الرياسة والجاه، فمثاله أن الرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون، إذا غلب عليه حب الثناء، واستفزه الفرح بما يمدح به، من أنه أوحد العصر، وفريد الدهر في فنه، إذا سمع بنظير له في أقصى العالم، ساءه ذلك، وأحب موته، أو زوال النعمة التي بها يشاركه في علم، أو شجاعة، أو عبادة، أو صناعة، أو ثروة، أو غير ذلك، وليس ذلك إلا لمحض الرياسة بدعوى الانفراد.

وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة النبي ﷺ، ولا يؤمنون خوفًا من بطلان رئاستهم.

وأما خبث النفس وشحها على عباد الله، فإنك تجد من الناس من لا يشتغل برئاسة ولا تكبر، وإذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم عليه به، شق عليه ذلك، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم، وتنغيص عيشهم، فرح به، فهو أبدًا يحب الإدبار لغيره، ويبخل بنعمة الله على عباده، كأنهم يأخذون من ملكه وخزانته.

وقد قال بعض العلماء: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة، ولا رابطة، وهذا ليس له سبب إلا خبث النفس ورداءة الطبع، وهذا معالجته شديدة، لأنه ليس له سبب عارض، فيعمل على إزالته، بل سببه خبث الجبلة، فيعسر إزالته، فهذه أسباب الحسد.

الحسد يقع بين الأقران

واعلم أنما يكثر الحسد بين أقوام تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، ويقع ذلك غالبًا بين الأقران[1]، والأمثال، والإخوة، وبني العم، لأن سبب التحاسد توارد الأغراض على مقاصد يحصل التناقض فيها، فيثور التنافر والتباغض.

ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، والإسكاف[2] يحسد الإسكاف، ولا يحسد البزاز[3] إلا أن يكون سبب آخر، لأن مقصد كل واحد من هؤلاء غير مقصد الآخر.

فأصل العداوة التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين، إذ لا رابطة بين شخصين في بلدين، ولا يكون بينهما محاسدة إلا من اشتد حرصه على الجاه، فإنه يحسد كل من في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يفاخر بها.

مفسد ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين وأما الآخرة فلا ضيق فيها، فإن من أحب معرفة الله تعالى، وملائكته، وأنبياءه، وملكوت أرضه وسمائه، لم يحسد غيره إذا عرف ذلك،

---

(١) الأقران جمع قرن وهو الكفء والنظير.

(٢) الإسكاف هو صانع الأحذية.

(٣) البزاز هو بائع الأقمشة والبز هو نوع من القماش.

لأن المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعرفه ألف ألف عالم، ويفرح بمعرفته غيره، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة، لأن مقصودهم معرفة الله سبحانه، وهو بحر واسع لا ضيق فيه، وغرضهم المنزلة عند الله، ولا ضيق فيما عند الله، لأن أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه، وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة. ولا يضيق بعض الناظرين على بعض، بل يزيد الأنس بكثرتهم، إلا أنه إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا.

والفرق بين العلم والمال: أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن يد أخرى، والعلم مستقر في قلب العالم ويحل غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه، ولا نهاية له، فمن عود نفسه الفكر(١) في جلال الله وعظمته وملكه، صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم، لأنه لم يكن ممنوعًا عنه ولا مزاحمًا فيه، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق، لأن غيره لو عرف مثل معرفته لم ينق من لذته، فقد عرفت أنه لا حسد إلا في المتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل.

ولهذا لا ترى الناس يتزاحمون على النظر إلى زينة السماء، لأنها واسعة الأقطار، وافية بجميع الأبصار، فعليك إن كنت شفيقًا على نفسك أن تطلب نعيمًا لا زحمة فيه، ولذة لا تتكدر ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله تعالى وعجائب ملكوته، ولا ينال ذلك في المعرفة أيضًا، فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله سبحانه، ولم تجد لذتها، وضعفت فيها رغبتك، فلست برجل، إنما هذا شأن الرجال(٢)، لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي من المحرومين.

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب، ولا تداوى أمراض

---

(١) لم ترد كلمة الفكر في المطبوع.

(٢) في المطبوع: «الوجل» وهو خطأ.

القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقيقة أن الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا، وأنه لا يضر المحسود في الدين ولا في الدنيا، بل ينتفع به، والنعمة لا تزول عن المحسود بحسدك، ولو لم تكن تؤمن بالبعث لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد، لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع، فكيف وأنت تعلم ما فيه من العذاب في الآخرة.

وبيان قولنا: إن المحسود لا ضرر عليه في الدين ولا في الدنيا، بل ينتفع بحسدك في الدين والدنيا، لأن ما قدره الله له من نعمة لابد أن تدوم إلى أجله الذي قدره، ولا ضرر عليه في الآخرة، لأنه لا يأثم هو بذلك، بل ينتفع به، لأنه مظلوم من جهتك، لا سيما إذ أخرجت الحسد إلى القول والفعل.

وأما منفعته في الدنيا، فهو أن من أهم أغراض الخلق غم الأعداء، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من الحسد.

فإذا تأملت ما ذكرنا، علمت أنك عدو لنفسك، وهو صديق لعدوك، فما مثلك إلا كمثل من يرمى حجرًا إلى عدوه ليصيب مقتله فلا يصيبه، ويرجع الحجر على حدقته اليمنى فيقلعها، فيزيد غضبه، فيعود ويرميه بحجر أشد من الأول، فيرجع الحجر على عينه الأخرى فيعميها، فيزداد غضبه، فيرميه الثالثة، فيعود الحجر على رأسه فيشدخه، وعدوه سالم يضحك به، فهذه الأدوية العلمية، فإذا تفكر الإنسان فيها، أخمدت نار الحسد من قلبه.

وأما العمل النافع فيه، فهو أن يتكلف نقيض ما يأمره به الحسد، فإذا بعثه على الحقد والقدح في المحسود، كلف نفسه المدح له، والثناء عليه، وإن حمله على الكبر، ألزم نفسه التواضع له، وإن بعثه على كف الإنعام عنه، ألزم نفسه زيادة في الإنعام.

وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن شخصًا اغتابهم، أهدوا إليه هدية، فهذه أدوية نافعة للحسد جدًا، إلا أنها مرة، وربما يسهل شربها أن يعلم أنه إذا كان لا يكون كل ما تريد، فأرد ما يكون، وهذا هو الدواء الكلي، والله أعلم.

ذكر الحسد في القرآن الكريم

قال تعالى في الكبر والمتكبرين في كتابه العزيز﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤].

وقال أيضاً في كتابه العزيز: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ذكر الكبر في القرآن الكريم

قال تعالى في الكبر والمتكبرين في كتابه العزيز ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

كما قال: وقال أيضًا:﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ

رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٣٤].

وقال أيضًا: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧]، ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص: ٧٤].

كما قال: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥].

وقال أيضًا في كتابه العزيز: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨].

كما قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢١].

ويقول أيضًا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: ٣١].

وقال: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾.

كما قال أيضًا: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٦].

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم: ٢١].

كما قال: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨].

كما قال أيضًا: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [النحل: ٤٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقال أيضًا: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [السجدة: ١٥].

كما قال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥].

وقال أيضًا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧].

وقال عز وجل أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

بحث في لفظة الكبر

كبر: الكبير في صفة الله تعالى: العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده، والكبرياء عظمة الله، جاءت على فعلياء؛ قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عناء خلقه، والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطي والتكلف.

والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى، وقد تكرر ذكرهما في الحديث، وهما من الكبر، بالكسر، وهو العظمة.

ويقال: كبر بالضم يكبر أي عظم، فهو كبير.

ابن سيده: الكبر نقيض الصغر، كبر كبرا وكبرا فهو كبير وكبار وكبار، بالتشديد إذا أفرط، والأنثى بالهاء، والجمع كبار وكبارون.

واستعمل أبو حنيفة الكبر في البسر ونحوه من التمر، ويقال: علاه المكبر، والاسم الكبرة، بالفتح وكبر بالضم يكبر أي عظم، وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ ﴾ ، أي أعلمهم لأنه كان رئيسهم وأما أكبرهم في السن فروبيل والرئيس كان شمعون، وقال الكسائي في روايته كبيرهم يهوذا. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ [طه: ٧١]، أي معلمكم ورئيسكم. والصبي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه قال: جئت من عند كبيري.

واستكبر الشيء: رآه كبيرًا وعظم عنده؛ عن أبي جني. والمكبوراء: الكبار. ويقال: سادوك كابرًا عن كابر أي كبيرًا عن كبير، وورثوا المجد كابرًا عن كابر، وأكبر أكبر.

وفي حديث الأقرع والأبرص. «**ورثته كابرًا عن كابر**» أي ورثته عن

آبائي وأجدادي كبيرًا عن كبير في العز والشرف. التهذيب: ويقال ورثوا المجد كابرًا عن كابر أي عظيمًا وكبيرًا عن كبير.

وأكبرت الشيء أي استعظمته. الليث: الملوك الأكابر جماعة الأكبر ولا تجوز النكرة فلا تقول ملوك أكابر ولا رجال أكابر لأنه ليس بنعت إنما هو تعجب.

وكبر الأمر: جعله كبيرًا، واستكبره: رآه كبيرًا؛ وأما قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ [يوسف: ٣١]؛ فأكثر المفسرين يقولون: أعظمنه. وروي عن مجاهد أنه قال: أكبرنه، حضن وليس ذلك بالمعروف في اللغة، وأنشد بعضهم:

نأتي النساء على أطهارهن، ولا نأتي النساء إذا أكبرن إكبارًا

قال أبو منصور: وإن صحت هذه اللفظ في اللغة بمعنى الحيض فلها مخرج حسن، وذلك أن المرأة أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر، فقيل لها: أكبرت أي حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي.

وروي عن أبي الهيثم أنه قال: سألت رجلاً من طيء فقلت: يا أخا طيء، ألك زوجة؟ قال: لا والله ما تزوجت وقد وعدت في ابنة عم لي، فقلت: وما سنها؟ قال: قد أكبرت أو كبرت، قلت: ما أكبرت؟ قال: حاضت.

قال أبو منصور: فلغة الطائي تصحح أن إكبار المرأة أول حيضها إلا أن هاء الكناية في قوله تعالى: ﴿ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ تنفي هذا المعنى، فالصحيح أنهن لما رأين يوسف راعهن جماله فأعظمنه.

وروى الأزهري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾، قال: حضن، قال أبو منصور: فإن صحت الرواية عن ابن عباس سلمنا له وجعلنا الهاء في قوله أكبرنه هاء وقفة لا هاء كناية، والله أعلم بما أراد. واستكبار الكفار: أن لا يقول لا إله إلا الله ومنه قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا

قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]، وهذا هو الكبر الذي قال النبي ﷺ: «**إن من كان في قلبه مثقال ذرة كبر لم يدخل الجنة**»، قال: يعني به الشرك، والله أعلم، لا أن يتكبر الإنسان على مخلوق مثله وهو مؤمن بربه.

والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرًا.

ابن بزرج يقال هذه الجارية من كبرى بنات فلان ومن صغرى بناته، يريدون من صغار بناته، ويقولون من وسطى بنات فلان يريدون من أوساط بنات فلان، فأما قولهم: الله أكبر، فإن بعضهم يجعله بمعنى كبير، وحمله سيبويه على الحذف أي أكبر من كل شيء، كما تقول: أنت أفضل، تريد من غيرك.

وكبر: قال الله أكبر. والتكبير: التعظيم. وفي حديث الأذان الله أكبر. التهذيب: وأما قول المصلي الله أكبر وكذلك قول المؤذن ففيه قولان: أحدهما أن معناه الله كبير فوضع أفعل موضع فعيل، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾، أي هو هين عليه، ومثل قول معن بن أوس:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل

معناه إني وجل، والقول الآخر أن فيه ضميرًا، المعنى الله أكبر كبير، وكذلك الله الأعز أي أعز عزيز؛ قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتًا، دعائمه أعز وأطول

أي عزيزة طويلة، وقيل معناه الله أكبر من كل شيء أي أعظم، فحذف لوضوح معناه، وأكبر خبره، والأخبار لا ينكر حذفها، وقيل: معناه الله أكبر من أن يعرف كله كبريائه وعظمته، وإنما قدر له ذلك وأول لأن أفعل فعل يلزمه الألف واللام أو الإضافة كالأكبر وأكبر القوم، والراء في أكبر في الأذان والصلاة ساكنة لا تضم للوقف، فإذا وصل بكلام ضم وفي الحديث: كان إذا افتتح الصلاة قال: «**الله أكبر كبيرًا**»، كبيرًا منصوب بإضمار فعل كأنه قال: أكبر كبيرًا، وقيل: هو منصوب على القطع من اسم الله.

وروى الأزهري عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه: أنه رأى النبي ﷺ، يصلي

قال: فكبر وقال: «**الله أكبر كبيرًا**»، ثلاث مرات، ثم ذكر الحديث بطوله.

قال أبو منصور: نصب كبيرًا لأنه أقامه مقام المصدر لأن معنى قوله الله أكبر أكبر الله كبيرًا بمعنى تكبيرًا، يدل على ذلك ما روي عن الحسن: أن نبي الله ﷺ، كان إذا قام إلى صلاته من الليل قال: «**لا إله إلا الله، الله أكبر كبيرًا**»، ثلاث مرات، فقوله كبيرًا بمعنى تكبيرًا فأقام الاسم مقام المصدر الحقيقي، وقوله: الحمد لله كثيرًا أي أحمد الله حمدًا كثيرًا.

والكبر: في السن، وكبر الرجل والدابة يكبر كبرًا ومكبرًا، بكسر الباء فهو كبير: طعن في السن؛ وقد علته كبرة ومكبرة ومكبرة ومكبر وعلاه الكبر إذا أسن والكبر: مصدر الكبير في السن من الناس والدواب، ويقال للسيف والنصل العتيق الذي قدم: علته كبرة ومنه قوله:

سـلاجم يثـرب اللاتي غلتها بيثـرب، كـبرة بعـد المرون

ابن سيده: ويقال للنصل العتيق الذي قد علاه صدأ فأفسده: علته كبرة. وحكى ابن الأعرابي: ما كبرني إلا بسنة أي ما زاد عليّ إلا ذلك.

الكسائي: هو عجزة ولد أبويه آخرهم وكذلك كبرة ولد أبويه أي أكبرهم.

وفي الصحاح: كبرة ولد أبويه إذا كان آخرهم، يستوي منه الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث في ذلك سواء، فإذا كان أقعدهم في النسب قيل: هو أكبر قومه وإكبرة قومه، بوزن إفعلة، والمرأة في ذلك كالرجل.

قال أبو منصور: معنى قول الكسائي وكذلك كبرة ولد أبويه ليس معناه أنه مثل عجزة أي أنه آخرهم، ولكن معناه أن لفظه كلفظه، وأنه للمذكر و المؤنث سواء، وكبرة ضد عجزة لأن كبرة بمعنى الأكبر كالصغرة بمعنى الأصغر، فافهم.

وروى الإيادي عن شمر قال: هذا كبرة ولد أبويه للذكر والأنثى، وهو آخر ولد الرجل، ثم قال: كثرة ولد أبيه بمعنى عجزة، وفي المؤلف للكسائي:

فلان عجزة ولد أبيه آخرهم، وكذلك كبرة ولد أبيه.

قال الأزهري: ذهب شمر إلى أن كبرة معناه عجزة وإنما جعله الكسائي مثله في اللفظ لا في المعنى.

أبو زيد: يقال هو صغرة ولد أبيه وكبرتهم أي أكبرهم وفلان كبرة القوم وصغرة القوم إذا كان أصغرهم وأكبرهم.

الصحاح: وقولهم هو كبرة قومه، بالضم، أي هو أقعدهم في النسب.

وفي الحديث: «**الولاء للكبر**»، وهو أن يموت الرجل ويترك ابنًا وابن ابن، فالولاء للابن دون ابن الابن. وقال ابن الأثير في قوله الولاء للكبر أي أكبر ذرية الرجل مثل أن يموت عن ابنين فيرثان الولاء، ثم يموت أحد الابنين عن أولاد فلا يرثون نصيب أبيهما من الولاء، وإنما يكون لعمهم وهو الابن الآخر. يقال: فلان كبر قومه بالضم إذا كان أقعدهم في النسب، وهو أن ينتسب إلى جده الأكبر بآباء أقل عددًا من باقي عشيرته.

وفي حديث العباس: إنه كان كبر قومه لأنه لم يبق من بني هاشم أقرب منه إليه في حياته.

وفي حديث القسامة: «**الكبر الكبر**» أي ليبدأ الأكبر بالكلام أو قدموا الأكبر إرشادًا إلى الأدب في تقديم الأسن، ويروى: كبر الكبر أي قدم الأكبر.

وفي الحديث: «**أن رجلاً مات ولم يكن له وارث فقال: ادفعوا ماله إلى أكبر خزاعة أي كبيرهم وهو أقربهم إلى الجد الأعلى**».

وفي حديث الدفن: «**ويجعل الأكبر مما يلي القبلة أي الأفضل، فإن استووا فالأسن**».

وفي حديث ابن الزبير وهدمه الكعبة: فلما أبرز عن ربضه دعا بكبره فنظروا إليه أي بمشايخه وكبرائه، والكبر ههنا: جمع الأكبر كأحمر وحمر. وفلان إكبّره قومه، بالكسر والراء مشددة، أي كبر قومه، ويستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث.

ابن سيده: وكبر ولد الرجل أكبرهم من الذكور، ومنه قولهم: الولاء للكبر. وكبرهم وإكبرهم: ككبرهم. الأزهري: ويقال فلان كبر ولد أبيه وكبرة ولد أبيه، الراء مشددة، هكذا قيده أبو الهيثم بخطه.

وكبر القوم وإكبرهم أقعدهم بالنسب، والمرأة في ذلك كالرجل، وقال كراع: لا يوجد في الكلام على إفعل إكبر.

وكبر الأمر أو كبارة عظم. وكل ما جسم، فقد كبر وفي التنزيل العزيز: ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٠، ٥١]معناه كونوا أشد ما يكون في أنفسكم فإني أميتكم وأبليكم.

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يعني وإن كان اتباع هذه القبلة يعني قبلة بيت المقدس إلا فعلة كبيرة؛ المعنى أنها كبيرة على غير المخلصين فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه.

التهذيب: إذا أردت عظم الشيء قلت: كبر يكبر كبرة كما لو قلت: عظم يعظم عظمًا. وتقول: كبر الأمر يكبر كبارة وكبر الشيء أيضًا: معظمه.

ابن سيده: والكبر معظم الشيء بالكسر، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١١]؛ قال ثعلب: يعني معظم الإفك؛ قال الفراء: اجتمع القراء على كسر الكاف وقرأها حميد الأعرج وحده كبره، وهو وجه جيد في النحو لأن العرب تقول: فلان تولى عظم الأمر، يريدون أكثره؛ وقال ابن اليزيدي: أظنها لغة؛ قال أبو منصور: قاس الفراء الكبر على العظم وكلام العرب على غيره. ابن السكيت: كبر الشيء معظمه، بالكسر وأنشد قول قيس بن الحطيم:

تنام عن كبر شأنها فإذا ... قامت رويدًا تكاد تتغرف

ذم الكبر والعجب(١)

الأول في الكبر: قال الله تعالى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي

(١) مختصر منهاج القاصدين.

﴿ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وفي الحديث الصحيح من أفراد مسلم، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**».

وفي «**الصحيحين**» عنه ﷺ قال: «**قالت النار: أوثرت بالمتكبرين**». وعنه ﷺ أنه قال: «**يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة[1] الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله عز وجل**».

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: من كانت معصيته في شهوة، فارج له التوبة فإن آدم عليه السلام عصى مشتهيًا فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر، فاخش عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبرًا فلعن.

وفي «**الصحيحين**»: أن رسول الله ﷺ قال: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله ! إن أحد شقى إزاري ليسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **لست ممن يصنعه خيلاء**».

واعلم أن الكير خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه، يعني يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال، فعند ذلك يكون متكبرًا.

وبهذا ينفصل عن العجب، فإن العجب لا يستدعي غير المعجب، حتى لو قدر أن يخلق الإنسان وحده تصور أن يكون معجبًا، ولا يتصور أن يكون متكبرًا، إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه، فإن الإنسان متى رأى نفسه بعين الاستعظام، حقر من دونه وازدراه، وصفة هذا المتكبر، أن ينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً واستحقارًا، وآفة الكبر عظيمة، وفيه يهلك

---

(١) في المطبوع: سورة وهو تصحيف.

الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء.

وكيف لا تعظم آفته، وقد أخبر النبي ﷺ: **«أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»**(١).

وإنما صار حجابًا دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين، لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم(٢). فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه.

ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم، وقبول الحق، والانقياد له. وقد تحصل المعرفة للمتكبر، ولكن لا تطاوعه نفسه على الانقياد للحق، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ [إبراهيم: ١٠] وآيات كثيرة نحو هذا، وهذا تكبر على الله وعلى رسوله.

وقد تقدم أن التكبر على العباد هو احتقارهم واستعظام نفسه عليهم، وذلك أيضًا يدعو إلى التكبر على أمر الله تعالى، كما حمل إبليس كبره على آدم عليه السلام أن امتنع من امتثال أمر ربه في السجود.

وقد شرح رسول الله ﷺ الكبر فقال: **«الكبر: بطر الحق وغمط الناس»** ومعنى غمطه الناس الازدراء واستحقارهم ويروى غمص الناس. بمعنى غمص الناس(٣).

آفة الكبر على ثلاث درجات

واعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة.

(٢) وهي في المطبوع اغتيالهم.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن مسعود والترمذي وقال حسن صحيح.

نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر[1] خده للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعش ووجهه كأنه مستقذر لهم؛ وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعر الآية: ٢١٥].

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوي والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، وكذلك التكبر بالمال، والجمال، والقوة، وكثرة الإشباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم.

والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين.

وفي الجملة فلك ما يمكن أن يعتقد كمالاً، فإن لم يكن في نفسه كمالاً، أمكن أن يتكبر به، حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور، لظنه أن ذلك كمال.

---

(١) صعر خده تصعيرًا وصاعره أي أماله من الكبر.

واعلم أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان، كصعر وجهه، ونظره شزرًا[١]، وإطراق رأسه، وجلوسه متربعًا ومتكئًا، وفي أقواله، حتى في صوته ونغمته، وصيغة إيراده الكلام، ويظهر ذلك أيضًا في مشيه وتبختره، وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته.

ومن خصال المتكبر: أن يحب قيام الناس له. والقيام على ضربين:

قيام على رأسه وهو قاعد، فهذا منهي عنه، قال رسول الله ﷺ: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]. وهذه عادة الأعاجم والمتكبرين.

الثاني: قيام عند مجيء الإنسان، فقد كان السلف لا يكادون يفعلون ذلك قال أنس: لم يكن شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك.

وقد قال العلماء: يستحب القيام للوالدين والإمام العادل، وفضلاء الناس، وقد صار هذا كالشعار بين الأفاضل، فإذا تركه الإنسان في حق من يصلح أن يفعل في حقه، لم يأمن أن ينسبه إلى إهانته، والتقصير في حقه، فيوجب ذلك حقدًا، واستحباب هذا في حق القائم لا يمنع الذي يقام له أن يكره ذلك، ويرى أنه ليس بأهل لذلك.

ومن خصال المتكبر: أن لا يمشي إلا ومعه أحد يمشي خلفه.

ومنها: أن لا يزور أحدًا تكبرًا على الناس.

ومنها: أن يستنكف من جلوس أحد إلى جانبه أو مشيه معه.

وقد روى أنس ﷺ قال: كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به في حاجتها.

---

(١) شزرًا بمعنى النظر بشيء من الإعراض كنظر المعادي.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي.

وقال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد(١)، وإن فخذي لتمس فخذه فنحيت نفسي عنه، فأخذ ثيابي فجرني إليه وقال: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة، وإني لا أعرف منكم رجلاً شرًا مني؟!(٢)

ومنها: أن لا يتعاطى بيده شغلاً في بيته، وهذا بخلاف ما كان عليه رسول الله ﷺ.

ومنها: أن لا يحمل متاعه من سوقه إلى بيته، وقد اشترى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا وحمله. وكان أبو بكر ﷺ يحمل الثياب إلى السوق يتجر فيها. واشترى عمر ﷺ لحمًا فعلقه بيده وحمله إلى بيته. واشترى علي ﷺ تمرًا فحمله في ملحفة، فقال له قائل: أحمل عنك؟ قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

وأقبل أبو هريرة ﷺ يومًا من السوق وقد حمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة مروان، فقال لرجل: أوسع الطريق للأمير.

ومن أراد أن ينفي الكبر، ويستعمل التواضع، فعليه بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد سبقت الإشارة إليها في كتاب **«آداب المعيشة»**.

بيان معالجة الكبر واكتساب التواضع

اعلم أن الكبر من المهلكات، ومداواته فرض عين، ولك في معالجته مقامان:

الأول: في استئصال(٣) أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه، ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل

---

(١) في المطبوع: عبد الله بن أبي داود وهو خطأ.
(٢) والمعنى أن التواضع جعله يختلط بإخوانه حتى لا يميز بينهم ولا يعرف من دونهم فيكون ذلك سببًا للكبرياء والترفع ولذلك اتهم نفسه بالتقصير.
(٣) الاستئصال هو قطع الشيء من أصله.

ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة ثم من مضغة، فقد صار شيئًا مذكورًا، بعد أن كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٨، ١٩]، ثم امتن عليه بقوله: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٠]، وبقوله: ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢]، فأحياه بعد الموت، وأحسن تصويره، وأخرجه إلى الدنيا، فأشبعه وأرواه، وكساه وهداه وقواه. فمن هذا بدايته، فأي وجه لكبره وفخره؟

على أنه لو دام له الوجود على اختياره، لكان لطغيانه طريق، بل قد سلط عليه الأخلاط المتضادة، والأمراض الهائلة، بينما بنيانه قد تم، إذ هو قد وهى وتهدم، لا يملك الشيء لنفسه ضرًا ولا نفعًا، بينما هو يذكر الشيء فينساه، ويستلذ الشيء فيرديه[1]، ويروم[2] الشيء فلا يناله، ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة[3].

هذا أوسط حاله، وذاك أول أمره، وأما آخر أمره، فالموت الذي يعيده جمادًا كما كان، ثم يلقى في التراب فيصير جيفة منتنة، وتبلي أعضاؤه، وتنخر عظامه، ويأكل الدود أجزاءه، ويعود ترابًا يعمل منه الكيزان، ويعمر منه البنيان، ثم بعد طول البلى تجمع أجزاؤه المتفرقة، ويحضر عرصة[4] القيامة، فيرى أرضًا مبدلة، وجبالاً مسيرة، وسماء منشقة، ونجومًا منكدرة، وشمسًا مكورة، وأحوالاً مظلمة، وجحيمًا تزفر، وصحائف تنشر، ويقال له: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٤]، فيقول: وما

---

(١) الردى هو الهلاك قال تعالى في سورة طه الآية ١٦ ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾.

(٢) رام الشيء يعني أراد، ورغبه واشتهاه.

(٣) البغتة: المفاجأة قال تعالى في سورة الأنعام (٤٤) ﴿ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾.

(٤) العرصة هي الأرض الواسطة الفضاء التي لا زرع فيها ولا بناء.

كتابي؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل، من قليل وكثير، وقيام وقعود، وأكل وشرب، وقد نسيت ذلك وأحصاه الله تعالى، فهلم إلى الحساب عليه، وأعد جوابًا له، وإلا فأنت تساق إلى النار، فما لمن هذا حاله التكبر؟ فإن صار إلى النار، فالبهائم أحسن حالاً منه، لأنها تعود إلى التراب، ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن أخطائه، كيف يتكبر؟! ومن الذي يسلم من ذنب يستحق به العقوبة، وما مثله إلا كمثل من جنى على ملك جناية استحق أن يضرب لأجلها ألف سوط، فحبس في السجن ليخرج فيعاقب، وهو منتظر أن يدعى به لذلك، أفتراه يتكبر على أهل السجن؟ وهل الدنيا إلا سجن، وهل المعاصي إلا موجبة للعقاب؟

وأما معرفة ربه، فيكفيه أن ينظر في آثار قدرته وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر.

ومن العلاج العملي التواضع بالفعل لله تعالى ولعباده، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين، وقد تقدمت الإشارة إلى طريق رسول الله ﷺ، وما كان عليه من التواضع والأخلاق الجميلة.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأنساب، فمن اعتراه الكبر من جهة النسب فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق، عاد أعجز من كل عاجز، وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا يعود في مدة، وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته، وبقة لو دخلت في أذنه لأقلقته.

ومن تكبر بسبب الغنى، فإذا تأمل خلقًا من اليهود، وجدهم أغنى منه، فأف[1] لشرف تسبق به اليهود، ويستلبه السارق في لحظة، فيعود صاحبه ذليلاً.

---

(١) الأف هو كلمة تقال للتقبيح والمعنى هنا قبحًا لشرف تسبق به اليهود وفي القرآن =

ومن تكبر بسبب العلم، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من الجاهل، وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره.

وليعلم أيضًا أن الكبر لا يليق إلا بالله سبحانه، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله تعالى بغيضًا عنده، وقد أحب الله منه أن يتواضع، وكذلك كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع.

واعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط. فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا. وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسًا، ومذلة.

والوسط يسمى تواضعًا، وهو المحمود، وهو أن يتواضع من غير مذلة، فخير الأمور أوساطها. فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن تأخر عنهم، فهو متواضع، لأنه قد وضع شيئًا من قدره، فأما إذا أدخل على العالم إسكاف أو نحوه، فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، ثم قدم له نعله ومشى معه إلى الباب، فقد تخاسس وتذلل، فذلك غير محمود، بل المحمود العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، لكن تواضعه للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام، وإجابة الدعوة، والسعي في الحاجة، ولا يحقره، ولا يستصغره، والله أعلم.

في العجب

روى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه، خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**».

وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[(١)].

=

في سورة الأنبياء الآية ٦٧ ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى قبحًا لكم ولما تعبدون من دون الله.

(١) رواه البراء والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

وروي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: الهلاك في شيئين: العجب والقنوط. وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير، والقانط لا يطلب، والمعجب يظن[(١)] أنه قد ظفر بمراد فلا يسعى.

قال مطرف رحمه الله: لئن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا، أحب إليّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

واعلم أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، وهذا مع الخلق.

فأما مع الخالق، فإن العجب بالطاعات نتيجة استعظامها، فكأنه يمن على الله تعالى بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفاتها المفسدة لها.

وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون رضيها وأعجب بها.

والعجب أن يكون بوصف كمال من علم أو عمل، فإن انضاف إلى ذلك أن يرى حقًا له عند الله كان إذلالاً، فالعجب يحصل باستعظام ما عجب به.

في علاج العجب

اعلم أن الله سبحانه هو المنعم عليك بإيجادك، وإيجاد أعمالك، فلا معنى لعجب عامل بعمله، ولا عالم بعلمه، ولا جميل بجماله، ولا غني لغناه، إذ كل ذلك من فضل الله تعالى، وإنما الآدمي محل لفيض النعم عليه، وكونه محلاً له نعمة أخرى.

فإن قلت: إن العمل حصل بقدرتك، فمن أين قدرتك، ولا يتصور العمل إلا بوجودك وجوه عملك وإرادتك، وكل ذلك من الله تعالى لا منك، فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه، وهذا المفتاح بيد الله تعالى، وما لم تعط المفتاح لا يمكنك العمل، كما لو قعدت عند خزانة مغلقة لم تقدر على ما فيها إلا أن تعطى مفتاحها.

---

(١) في المطبوع: «يظهر» وهو خطأ.

وفي «**الصحيحين**» من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**».

واعلم أن العجب يكون بالأسباب التي بها يقع بها الكبر، وقد سبق ذكرها وعلاجها.

ومن ذلك العجب بالنسب، كما يتخيل الشريف أنه ينجو بشرف آبائه، وعلاجه أن يعلم أنه متى خالف آباءه، وظن أنه ملحق بهم، وإن اقتدى بهم، فإنه لم يكن العجب من أخلاقهم، بل الخوف والإزراء على النفس.

وإنما شرفوا بالطاعة والصفات المحمودة، لا بنفس النسب. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: ١٣]، وقال النبي ﷺ: «**يا فاطمة؛ لا أغني عنك من الله شيئًا**»(١).

فإن قلت: إنما يرجو الشريف أن يشفع فيه ذوو قرابته.

فالجواب: أن كل المسلمين يرجون الشفاعة، وقد يشفع في الشخص بعد إحراقه بالنار وقد يقوى الذنب فلا تنجي الشفاعة.

وفي «**الصحيحين**» من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا ألفين**(٢) **أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء**(٣)، **فيقول يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك**».

ومثل المنهمك في الذنوب اعتمادًا على رجاء الشفاعة، كمثل المريض المنهمك في الشهوات اعتمادًا على طبيبه الحاذق المشفق، وذلك جهل، فإن اجتهاد الطبيب ينفع بعض الأمراض، لا كلها.

ويوضح هذا أن سادات الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يخافون

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عائشة.

(٢) أي، لا أجد ولا ألقى، يقال ألفيت الشيء ألفيه إلفاء أي وجدته وصادفته ولقيته.

(٣) الرغاء: هو صوت الإبل.

من الآخرة، فكيف يتكل من ليس في مثل مراتبهم؟!

ومن ذلك العجب بالرأي الخطأ، كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: ٨]. وعلاج هذا أشد من علاج غيره، فإن هذا متى كان معجبًا برأيه لم يصغ إلى نصح ناصح، وكيف يترك ما يعتقده نجاة؟! وإنما علاجه في الجملة أن يكون متهمًا لرأيه أبدًا، لا يغتر به، إلا أن يشهد له قاطع من كتاب، أو سنة أو دليل عقلي جامع لشروط الأدلة، ولن يعرف ذلك إلا بمجالسة أهل العلم وممارسة الكتاب والسنة.

والأولى لمن لم يتفرغ لاستغراق العمر في العلم أن لا يخوض في المذاهب، ولكن يقف عند اعتقال الجُمل، وأن الله سبحانه واحد لا شريك له، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وأن رسوله صادق فيما جاء به، يؤمن بما جاء به القرآن من غير بحث ولا تنقير، ويصرف زمنه في التقوى، وأداء الطاعات، فمتى خاض في المذاهب ورام ما لا يصل إلى معرفته، هلك.

تحريم الكبر والإعجاب [(١)]

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٢)] [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[(٣)] [لقمان: ١٨].

ومعنى ﴿ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾: أي تميله وتعرض به عن الناس تكبرًا عليهم، «المرح»: التبختر، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ

---

(١) نزهة المتقين ودليل المسلمين شرح رياض الصالحين.

(٢) علواً: كبرًا واستعلاء. ولا فسادًا: عملاً بالمعاصي وخروجًا عن جادة الصلاح والاستقامة. العاقبة: الخاتمة الحسنى.

(٣) مختال: ذو خيلاء وكبر. فخور: مفتخر على الناس معجب بصفاته.

لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾(١) [القصص: ٧٦ – ٨١].

تنوء بالعصبة: قال القرطبي أحسن ما قيل فيها أن المعنى لتنيء العصبة أي تميلهم بثقلها، فجعل العصبة تنوء أي تنهض متثاقلة بحملها، والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض، وأقلها ثلاثة، وأوصلها بعضهم إلى السبعين، فخسفنا به: غوّرنا به الأرض فابتلعته.

(**٦١٢/١**) وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة! قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**» رواه مسلم.

«**بطر الحق**»: دفعه ورده على قائله و «**غمط الناس**»: احتقارهم.

الحديث: رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب تحريم الكبر وبيانه).

لغة الحديث:

مثقال: وزن، ذرة: صغار النمل، أو الجزء من أجزاء الهباءة، أو الجزء الذي لا يتجزأ. فقال رجل: قيل هو مالك بن مرارة. إن الله جميل: أي كل أمره

(١) قارون: من بني إسرائيل وهو ابن عم موسى. فبغى: تكبر. الكنز: المال الكثير المدفون،وشرعًا كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز.

جميل. يحب الجمال: يرضى ويثيب من كان أمره وفعله جميلاً.

أفاد الحديث:

تحريم الكبر، وأن المتكبر لا يدخل الجنة إن كان كبره رفضًا للإيمان وردًا، أو لا يدخل الجنة ابتداء إن كان كبره دون ذلك.

جواز التجمل من غير خيلاء.

(٦١٣/٢) وعن سلمة بن الأكوع ﷺ أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: «**كل بيمينك**». قال: لا أستطيع قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبرُ: قال فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

الحديث: رواه مسلم في كتاب الأطعمة (باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما).

انظر: شرح الحديث في باب المحافظة على السنة رقم ١٦٠/٥. ويفيد هنا قبح الكبر وعاقبة من اتصف به.

(٦١٤/٣) وعن حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**». متفق عليه. وتقدم شرحه في باب ضعفة المسلمين.

(٦١٥/٤) وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم. فقضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما على ملؤها**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب صفة الجنة والنار (باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء).

لغة الحديث: احتجت: اختصمت، قال النووي: وهو على ظاهره وأن الله جعل فيهما تمييزًا يدركان به، وقيل: هذا لسان حالهما لو كان فيهما تمييز. الجبارون: المتعالون على الناس المتعاظمون بمعصية الله. قضى بينهما: حكم

وفصل. رحمتي: مكان رحمتي.

أفاد الحديث:

التحذير من الكبر، والترغيب في التواضع، وأن الله علم أنه سيختار الجنة من الناس بأعمالهم الصالحة من يملئوها، وسيختار النار من الناس بأعمالهم السيئة من يملئوها.

(٦١٦/٥) وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا**». متفق عليه.

الحديث: رواه البخاري في اللباس (باب من جر إزاره من غير خيلاء، وغيره) ومسلم في اللباس (باب تحريم جر الثوب خيلاء). وهو مروي عند مسلم (عن عبد الله بن عمر).

لغة الحديث:

لا ينظر: أي نظر رحمة. إزاره: وهو ما يستر به النصف الأسفل من الجسم، والمراد هنا الثوب. بطرًا: كبراً.

أفاد الحديث:

حرمة تطويل الثوب لأجل الكبر، ويكره إذا كان لغير الكبر، والمستحب أن يكون إلى نصف الساق.

(٦١٧/٦) وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**». رواه مسلم. «**العائل**»؛ الفقير.

الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله).

لغة الحديث:

لا يكلمهم: أي بما يسرهم، وهذا كناية عن غضبه عليهم وعدم رحمته بهم، ولا يزكيهم: لا يطهرهم من الذنوب، ولا يقبل أعمالهم فيمدحهم بها.

شيخ: هو من طعن في السن وذلك من الخمسين فما فوق.

أفاد الحديث:

حرمة الزنا، وهو من الشيخ أشنع، لأن إقدامه عليه مع كبر سنه دليل على فساد طبعه وقلة دينه.

ويفيد حرمة الكذب وهو من الملك أشنع لسلطانه، فهو غير مضطر إليه، فإذا كذب دل ذلك على قلة مروءته وفساد دينه.

كما يدل على حرمة الكبر وهو من الفقير أبشع لأنه ليس لديه ما يدعوه إلى الكبر والترفع فلا يكون استكباره إلا استخفافًا بأمر الدين.

قال القاضي عياض: سبب تخصيص هؤلاء بهذا الوعيد أن كلاً منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها عنه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي معتادة أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها.

(٦١٨/٧) وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما فقد عذبته**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب البر (باب: تحريم الكبر) ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد بلفظ: يقول الله تعالى: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا** ... إلخ».

لغة الحديث:

العز: القوة والغلبة. إزاره: الإزار ما يستر أسفل الجسم، والرداء ما يستر أعلاه.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: هكذا هو في جميع النسخ فالضمير في (إزاري وردائي) يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره قال الله تعالى: ومن ينازعني ذلك أعذبه. الكبرياء: غاية العظمة والترفع عن أن ينقاد لأحد، والمراد أنهما صفتان لله تعالى مختصان به. فمن نازعني: حاول أن يتصف بهما أو يدعيهما لنفسه.

أفاد الحديث:

استحقاق العذاب لكل من يتظاهر بصفات العزة على الناس والتكبر عليهم لأنهما لا يلقيان بشأن الإنسان الضعيف.

(٦١٩/٨) وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**». متفق عليه.

«**مرجل رأسه**»: أي ممشطه. «**يتجلجل**»: بالجيمين: أي يغوص وينزل.

الحديث: رواه البخاري في اللباس (باب من جر ثوبه من الخيلاء) ومسلم في اللباس (باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه).

لغة الحديث:

حلة: إزار ورداء، ولا تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين.

أفاد الحديث:

حرمة الكبر والخيلاء، وسوء عاقبة من اتصف بهما.

(٦٢٠/٩) وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

«**يذهب بنفسه**»: أي يرتفع ويتكبر.

الحديث رواه الترمذي في البر والصلة (باب ما جاء في الكبر رقم ٢٠٠١).

أفاد الحديث:

أن من تشبه بقوم كتب معهم، ويناله من العذاب ما نالهم.

باب حسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) [آل عمران: ١٣٤].

(١٠/٦٢١) وعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا ... متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في الأدب (باب الكنية للصبي) ومسلم في كتاب الفضائل (باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا).

أفاد الحديث: ما كان عليه رسول الله ﷺ من كمال الخلق، ولقد كان خلقه القرآن يحل حلاله ويحرم حرامه ويتأدب بآدابه.

(١١/٦٢٢) وعنه قال: ما مسست ديباجًا وحريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: «**أف**»، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟. متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في فضائل النبي ﷺ والأنبياء (باب صفة النبي ﷺ) ومسلم في الفضائل (باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا).

لغة الحديث:

ديباجًا: ثوبًا متخذًا من الحرير. أف: اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر.

أفاد الحديث:

كمال أخلاق الرسول وحسن معاملته لخادمه وأصحابه، وفي هذا تعليم لأمته وتأديب لهم.

(١٢/٦٢٣) وعن الصعب بن جثامة ﷺ قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا فرده عليّ، فلما رأى ما في وجهي قال: «**إنا لم نرده عليك إلا لأنا حرم**». متفق عليه.

الحديث: رواه البخاري في الحج (باب إذا أهدي للمحرم حمارًا وحشيًا)

---

(١) الكاظمين: الكافين عن المضي فيه مع القدرة على تنفيذه. الغيظ: الغضب. العافين: التاركين المسامحين.

والهبة (باب هدية الصيد) ومسلم في الحج (باب تحريم الصيد للمحرم).

لغة الحديث:

حرم: محرمون بحج أو عمرة.

أفاد الحديث:

قبول الهدية، والاعتذار عن قبولها إذا كان في ذلك محظور شرعي، وتطييب قلب المهدي عند الاعتذار، عدم جواز ذبح الصيد للمحرم إذا أهدي إليه وهو حي كما لا يجوز للمحرم أن يأكل من الصيد إذا علم أنه صيد من أجله.

(٦٢٤/١٣) وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**». رواه مسلم.

الحديث: رواه مسلم في البر والصلة (باب تفسير البر والإثم).

لغة الحديث:

البر: الخير والطاعة. الإثم: المعصية. حاك: تردد في نفسك تفعله أو لا تفعله، لكراهة النفس له.

أفاد الحديث:

أن الخير في حسن الخلق، لأن صاحبه يبادر إلى محاسن الأفعال وترك رذائلها.

المعصية ما يتردد في النفس من مطالب الهوى والآثم، ولا يحب أن يراه بها أحد من الناس مخافة الملامة والتعيير.

(٦٢٥/١٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا. وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب المناقب (باب صفة النبي ﷺ) وفي الأدب، ومسلم في الفضائل (باب كثرة حيائه ﷺ).

لغة الحديث:

فاحشًا: الفحش من الكلام ما يشتد قبحه من الأقوال والأفعال. متفحشًا: مبالغًا ومتعمدًا الفحش.

أفاد الحديث:

ما كان عليه رسول الله ﷺ من حسن الخلق والبعد عن سيئه وترغيبه في حسن الخلق.

من كان حسن الأخلاق كان بلا شك من خيار الناس.

(٦٢٦/١٥) وعن أبي الدرداء ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. «**البذيء**» هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

الحديث رواه الترمذي في البر والصلة (باب ما جاء في حسن الخلق) رقم ٢٠٠٢.

أفاد الحديث:

أن حسن الخلق ينفع في الآخرة إذا انضم إليه الإيمان، وأن الكفر وترك الطاعة لله الخالق من أسوأ الأخلاق، وأن الفاحش البذيء مكروه من الله تعالى، فهو خاسر في الدنيا والآخرة.

(٦٢٧/١٦) وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**». وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: « **الفم والفرج**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحديث رواه الترمذي في أبواب البر والصلة (باب: ما جاء في حسن الخلق) رقم ٢٠٠٥.

أفاد الحديث:

الترغيب في التقوى وحسن الخلق، والترهيب من الكفر والكذب والزنا.

جمع الحديث بين التقوى وحسن الخلق، لأن التقوى تصلح ما بين الإنسان وربه، وحسن الخلق يصلح ما بين الإنسان والناس.

وجمع بين الفم والفرج، لأن الفم يصدر منه الفحش كالكفر والغيبة والنميمة وإبطال الحق وقذف الخلق، والفرج يصدر منه الزنا، فكانا سبب البلاء وطريق النار.

(٦٢٨/١٧) وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحديث: رواه الترمذي بلفظ «**إن من أكمل المؤمنين إيمانًا ....**» في أبواب الإيمان (باب ما جاء في استكمال الإيمان) برقم ٢٦١٥. وروى آخره بلفظ «**خيركم خيركم لأهله...**» في أبواب المناقب (باب فضل أزواج النبي ﷺ) رقم ٣٨٩٢.

أفاد الحديث:

أن هناك تلازمًا بين الإيمان والخلق الحسن، فكلما كان العبد أحسن خلقًا كان أكمل إيمانًا، وكلما أحسن للناس، بالبشاشة وطلاقة الوجه، وكف الأذى وبذل الندى، كان أفضل عند ربه.

حسن معاملة النساء وإكرامهن.

(٦٢٩/١٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**». رواه أبو داود.

الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب (باب حسن الخلق).

أفاد الحديث:

أن أعلى الدرجات درجات الصائم النهار القائم الليل للصلاة، وأن من اتصف بحسن الخلق.

من بسط الوجه، وطيب الكلام، وكف الأذى، وبذل الندى، بلغ في الأجر والثواب درجة الصائم القائم.

(**٦٣٠/١٩**) وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا،وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**».

حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. «**الزعيم**»: الضامن.

الحديث رواه أبو داود في الأدب (باب حسن الخلق).

لغة الحديث:

ربض الجنة: أطرافها، والربض ما حول البيت. المراء: المجادلة.

أفاد الحديث:

الترغيب في ترك المجادلة إذا لم تجد نفعًا، وترك الكذب ولو كان مزحًا غير قاصد الجد، وأن أعلى مراتب الأجر لمن حسن خلقه، فإن حسن الخلق يجمع الفضائل كلها.

(**٦٣١/٢٠**) وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا «**الثرثارون والمتشدقون**» فما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

«**الثرثار**»: هو كثير الكلام تكلفًا.

«**والمتشدق**»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

«**والمتفيهق**» أصله من الفهق، وهو الامتلاء: وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه، ويغرب به، تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره. وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك رحمه الله في تفسير حسن الخلق قال: هو طلاقة الوجه وبذل المعروف، وكف الأذى.

الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة (باب ما جاء في معالي

الأخلاق) رقم ٢٠١٩.

أفاد الحديث:

ما أفادته باقي الأحاديث من الباب من الترغيب في حسن الأخلاق.

الحلم والأناة والرفق

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(١) [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(٢) [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾(٣)[فصلت: ٣٤ – ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(٤) [الشورى: ٤٣].

(**٦٣٢/٢١**) وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**». رواه مسلم.

الحديث: رواه مسلم في أوائل كتاب الإيمان.

---

(١) انظر: شرح مفردات الآية في الباب قبل هذا.

(٢) راجع الآية في كتاب توقير العلماء، وروي أنه لما نزلت الآية قال رسول ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك».

(٣) الحسـنة والسـيئة: الخصلة والفعلة الحسنة والسيئة. ادفع بالتي هي أحسن: قابل السيئة بالفعلة التي هي أحسن منها، قال ابن عباس: بالصبر عند الغضب وبالعفو عـند الإسـاءة. ولي حميم: صديق شفوق. وما يلقاها: وما يقدر على ذلك إلا الصابرون الذين أوتوا نصيبًا عظيمًا من كمال النفس.

(٤) صـبر: على الأذى. غفر: سامح ولم ينتصر لنفسه. لمن عزم الأمور: من الأمور المحمودة التي ترضي الله.

لغة الحديث:

لأشج عبد قيس: هو المنذر بن عائذ، وقيل اسمه منقذ بن عائذ. خصلتين: خلقين. يحبهما الله: يرضاهما ويثني على صاحبهما ويثيبه. الحلم: العقل والأناة والتثبت في الأمور وألا يستفزه الغضب. الأناة: التثبت وترك العجلة.

أفاد الحديث:

جواز مدح الرجل في وجهه بما فيه، إذا أمن منه الغرور وكان فيه ترغيب لغيره بمثل صفاته.

الترغيب في الحلم والأناة والتثبت في الأمور.

(٦٣٣/٢٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في الأدب (باب فضل الرفق) وغيره، ومسلم في البر (باب فضل الرفق).

لغة الحديث:

إن الله رفيق: لطيف رءوف بعباده يأخذهم بالأسهل.

أفاد الحديث: الترغيب بالرفق، لما فيه من لين الجانب، واختيار الأسهل لما في ذلك من تواصل وتألف.

(٦٣٤/٢٣) وعنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب البر (باب فضل الرفق).

لغة الحديث: العنف: الشدة.

أفاد الحديث: تفضيل الرفق على كثير من الأخلاق، لذلك كان ما يعطيه الله لصاحبه من الثناء الحسن في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة أكثر مما يعطيه على غيره.

(٦٣٥/٢٤) وعنها أن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب البر (باب فضل الرفق).

لغة الحديث:

زانه: حسنه وجمله. شانه: عابه.

أفاد الحديث:

ضرورة التحلي بالرفق، فإنه يزين المرء ويجمله في أعين الناس، وعند الله تعالى، وإذا نزع من إنسان لحقه العيب عند الناس وعند الله، لأن الله لا يحب إلا من كان حسن الأخلاق.

(**٦٣٦/٢٥**) وعن أبي هريرة ﷺ قال: بال أعرابي في المسجد، فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «**دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» ! رواه البخاري. «**السجل**» بفتح السين المهملة وإسكان الجيم: وهو الدلو الممتلئة ماء، وكذلك الذنوب.

الحديث رواه البخاري في الطهارة كتاب الوضوء (باب صب الماء على البول في المسجد).

لغة الحديث:

أعرابي: الأعراب سكان البادية من العرب واسمه قيل: الأقرع بن حابس، وقيل: ذو الحويصرة اليماني. ليقعوا فيه: ليلوموه ويعنفوه. دعوه: اتركوه، أريقوا: صبوا، معسرين: مشددين.

أفاد الحديث:

الرفق بالجاهل وأخذه باليسر، وعدم أذاه على إساءته وتعليمه ما يصلحه، تطهير الأرض بصب الماء عليها.

(**٦٣٧/٢٦**) وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب العلم (باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة) وغيره، ومسلم في كتاب الجهاد (باب الأمر بالتيسير وترك التنفير).

لغة الحديث:

يسروا: سهلوا. ولا تعسروا: ولا تضيقوا. بشروا: حببوا الناس بالخير وأخبروهم به. ولا تنفروا: ولا تباعدوا عن الخير وتصرفوهم عنه.

أفاد الحديث:

واجب المؤمن أن يجيب الناس بالخير ويرغبهم فيه، ويحذر من صرفهم عنه أو ينفرهم من حوله، وذلك بالقسوة عليهم والغلظة معهم.

(٣٦٨/٢٧) وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب البر (باب فضل الرفق).

لغة الحديث:

يحرم الرفق: لا يوفق له ولا يكون فيه، بل يكون فيه العنف والقسوة. يحرم الخير كله: أن يخسر كل الخير الناشئ عن الرفق، لأن الله يعطي على الرفق ويثيب عليه، فمن فقده فقد كل ثوابه.

(٦٣٩/٢٨) وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا؛ قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري.

الحديث: رواه البخاري في الأدب (باب: الحذر من الغضب).

لغة الحديث:

أن رجلاً قيل هو جارية بن قدامة، وقيل غيره. أوصني: من الوصية، أي دلني على ما ينفعني دينًا ودنيا. لا تغضب: الغضب ثورة النفس بحيث تحمل الإنسان على حب الانتقام. فردد: كرر.

أفاد الحديث:

مشروعية السؤال وطلب الدلالة على الخير.

وفيه ذم الغضب، والنهي عنه والتحذير منه.

إرشاد السائل إلى ما هو الأليق بحاله والمناسب له، فإن ذلك هو الحكمة.

(٢٩/٦٤٠) وعن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الصيد (باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة).

لغة الحديث:

(كتب): فرض. (الإحسان): إتقان العمل أو التفضل والإنعام. (شفرته): سكينه.

أفاد الحديث:

وجوب الإحسان عند أي عمل، حتى عند ذبح الحيوان أو قتل المؤذيات، وإراحة الحيوان عند الذبح، وتكون بتحديد السكين، وإمرارها على عنق الحيوان بسرعة، وعدم سلخه قبل أن يبرد، وعدم ذبحه من القفا، وعدم جره إلى الذبح بعنف.

(٣٩/٦٤١) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى. متفق عليه.

الحديث: رواه البخاري في (باب صفة النبي ﷺ) وفي الأدب، ومسلم في الفضائل (باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله ...)

لغة الحديث:

بين أمرين: ديني أو دنيوي. أيسرهما: أسهلهما، مثل أن يخير بين عقوبتين، فإنه يختار الأخف منهما، أو يخير بين فريضتين، فيختار الأخف منهما، أو يخير بين الحرب والصلح، فيختار الصلح. ما لم يكن إثمًا: ما لم يكن الأيسر معصية. انتقم: عاقب. تنتهك حرمات الله: ترتكب المحرمات.

أفاد الحديث:

يسر الإسلام، ورحمة رسول الله ﷺ بأمته، ومشروعية الغضب لله تعالى.

(**٣١/ ٦٤٢**) وعن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار – أو بمن تحرم عليه النار؟ – تحرم على كل قريب هين لين سهل**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في صفة يوم القيامة (باب كان النبي ﷺ في مهنة أهله) رقم ٢٤٩٠.

لغة الحديث:

كل قريب: أي محبب إلى الناس لحسن معاملته لهم، وهذا لا ينشأ غالبًا إلا من الإيمان الصحيح. هين لين سهل: المقصود بهذه الألفاظ التواضع والليونة وحسن المعاملة للناس وقضاء حوائجهم.

أفاد الحديث:

مكانة الأخلاق وأنها منجاة من النار، وأن حسن معاملة الناس من الإيمان.

إثارة انتباه السامع قبل البدء بالحديث إذا كان ما ستحدثه به من الأمور التي لها شأن.

العفو والإعراض عن الجاهلين

قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١) [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾(٢) [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ [النور: ٢٢].

---

(١) انظر: شرح الآية في الباب قبل هذا.

(٢) فاصفح الصفح الجميل: أي عاملهم معاملة الحليم المسامح.

﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] [الشورى: ٤٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(**٦٤٣/٣٢**) وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «**لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام»، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم! فناداني ملك الجبال. فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

«**الأخشبان**»: الجبلان المحيطان بمكة. والأخشب: هو الجبل الغليظ.

الحديث رواه البخاري في بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) وفي التوحيد (باب وكان الله سميعًا بصيرًا) ومسلم في المغازي (باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين).

لغة الحديث:

يوم أحد: يوم غزوة أحد، وهو جبل قريب من المدينة كانت عنده الغزوة وفيها شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته وسقط في الحفرة التي حفرها

(١) مر شرح الآية في الباب قبل هذا.

(٢) انظر الآية في الباب قبل هذا.

أبو عمرو الراهب وقتل عمه حمزة ومثل به. من قومك: يعني كفار قريش. العقبة: لعله مكان جهة الطائف وكان ذلك يوم هاجر إلى الطائف، ولعله في منى يوم كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج. عرضت نفسي: قدمت له نفسي طالبًا منه النصر والإعانة على إقامة الدين.

ابن عبد ياليل: قيل اسم عبد ياليل مسعود، وقيل كنانة، وقيل هو الذي كلمه رسول الله ﷺ وكان من أكبر أهل الطائف من ثقيف. مهموم: محزون. لم أستفق: لم أفطن لنفسي. قرن الثعالب: مكان بينه وبين مكة يوم وليلة وهو ميقات أهل نجد.

أفاد الحديث:

بيان شفقة الرسول ﷺ على قومه، وصبره على أذاهم، وعفوه عمن أساء إليه منهم.

وجواز طروء الهم من الأعراض البشرية على الأنبياء وهذا هم في أمر ديني.

(٣٣/٦٤٤) وعنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى. رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في الفضائل (باب مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته).

لغة الحديث:

نيل منه: ناله الكفار بأذى كشج رأسه.

أفاد الحديث:

كسابقه بيان حلم رسول الله ﷺ وعفوه عما أصيب بنفسه، وبيان غضبه لله، وإقامته حدود الله على من يستحقها من غير هوادة، وقتاله أعداء الله في الجهاد إعلاء لكلمة الله تعالى.

(**٦٤٥/٣٤**) وعن أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء. متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في اللباس (باب البرود والحبرة والشملة) والأدب (باب التبسم والضحك) ومسلم في الزكاة (باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة).

لغة الحديث:

برد: ثوب مخطط. نجراني: منسوب إلى نجران وهي بلدة في اليمن. غليظ الحاشية: خشن الجانب. جبذه: جذبه. عاتق: ما بين العنق والكتف. صفحة: جانب.

أفاد الحديث: بيان حسن خلقه ﷺ، فإنه عفا عمن أساء إليه وزاد على العفو بالبشر والإحسان. متفق عليه.

(**٣٥/ ٦٤٦**) وعن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم – ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»! متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في الأنبياء (باب: ما ذكر عن بني إسرائيل) ومسلم في الجهاد (باب: غزوة أحد).

لغة الحديث:

يحكي: يشبه. أدموه: أجروا دمه بالجراحات.

أفاد الحديث:

كمال خلق النبي ﷺ بالصفح والعفو،وزيادة الفضل بالدعاء لهم بالمغفرة،

والاعتذار عنهم بعدم العلم، وهذا منتهى كمال الخلق منه ﷺ.

(٦٤٧/٣٦) وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في الأدب (باب الحذر من الغضب) ومسلم في البر (باب من يملك نفسه عند الغضب).

لغة الحديث:

الصرعة: الذي يصرع الناس ويغلبهم. يملك نفسه: يكظم غضبه.

أفاد الحديث:

القوة الحقيقية هي قوة الخلق، وضبط النفس عن الغضب، والعفو عند الإساءة وإن كانت قوة الجسم مطلوبة في الدين إذا وجهت في الخير.

ذكر العجب في القرآن

قال تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢]، ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢].

وقال أيضًا: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥]. كما قال أيضًا: ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ [النجم: ٥٩]. وقال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣].

كما قال أيضًا: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ويقول أيضًا: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٥].

كما قال: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

وقال أيضًا: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥].

كما قال: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٨٥].

وقال أيضًا: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ [النجم: ٥٩].

كما قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال أيضًا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

وقال أيضًا: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٦٣].

كما قال أيضًا: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢].

وقال أيضًا: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩].

ذم الجاه والرياء وعلاجهما وفضيلة الخمول ونحو ذلك [١]

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية**»[٢] وهذه الشهوة الخفية يعجز عن الوقوف على غوائلها كبار العلماء، فضلاً عن عامة العباد، وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم لما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وحملوها بالقهر على أسباب العبادات، لم تطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فاستراحت إلى التظاهر بالعلم والعمل، ووجدت مخلصًا من شدة المجاهدة في لذة القبول عند الخلق، ونظرهم إليها بعين الوقار والتعظيم، فأصابت النفس في ذلك عظيمة، فاحتقرت فيها ترك المعاصي، فأحدهم يظن أنه مخلص لله عز وجل، وقد أثبت في ديوان المنافقين، وهذه مكيدة عظيمة لا يسلم منها إلا المقربون.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن أوس بلفظ الشرك بدلاً من الرياء وقال الحاكم صحيح الإسناد.

ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الرياسة، وإذا كان ذلك هو الداء الدفين، الذي هو أعظم شبكة للشياطين، وجب شرح القول في سببه وحقيقته، وأقسامه.

اعلم أن أصل الجاه هو حب انتشار الصيت والاشتهار، وذلك خطر عظيم، والسلامة في الخمول[١]. وأهل الخير لم يقصدوا الشهوة، ولم يتعرضوا لها ولا لأسبابها، فإن وقعت من قبل الله تعالى فروا عنها، وكانوا يؤثرون الخمول، كما روي عن ابن مسعود ﷺ أنه خرج من منزله، فتبعه جماعة، فالتفت إليهم وقال: علام تتبعوني؟ فوالله لو علمتم ما أغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان.

وفي لفظ آخر أنه قال: ارجعوا، فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع.

وكان أبو العالية رحمه الله، إذ جلس إليه أكثر من أربعة قام.

وكان خالد بن معدان رحمه الله إذا عظمت حلقته، قام وانصرف كراهة الشهرة.

وقال الزهري رحمه الله: ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد المطعم والمال، فإذا نوزع الرياسة، حامى عليها وعادى.

قال رجل لبشر الحافي رحمه الله: أوصني، فقال: أخمل ذكرك، وطيب مطعمك. وقال: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب في الدنيا أن يعرفه الناس. وقد روي في «**صحيح مسلم**» أن عمر بن سعد[٢] انطلق إلى أبيه سعد وهو في غنم له خارجًا عن المدينة، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبت أتريد أن تكون أعرابيًا في غنمك، والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدره وقال: اسكت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي**».

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إن**

(١) الخمول: الخفاء.

(٢)في المطبوع: «عمر بن سعيد» وهو خطأ.

أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحاذ[١]**، ذو حظ من الصلاة، أحسن عبادة ربه، وأطاعه في السر، وكان غامضًا في الناس، لا يشار إليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافًا، فصبر على ذلك»** ثم نقر بيده، فقال: «**عجلت منيته، قلت بواكيه، قل تراثه**» حديث حسن[٢].

وكان ابن مسعود ﷺ يوصي أصحابه، فيقول: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت[٣]، سرج الليل، جدد القلوب، خلقان الثياب، تعرفون في السماء، وتخفون على أهل الأرض.

فإن قيل: هذا فيه فضيلة الخمول، وذم الشهرة، وأي شهرة أكثر من شهرة الأنبياء، وأئمة العلماء.

قلنا: المذموم طلب الإنسان الشهرة، وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء، فإن مثل الضعيف كالغريق القليل الصنعة في السباحة، إذا تعلق به أحد غرق وغرقه، فأما السباح النحرير، فإن تعلق الغرقى به سبب لنجاتهم وخلاصهم.

الجاه والمال ركنان

واعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا، ومعنى المال[٤] ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها، وطاعتها، والتصرف فيها.

فالجاه هو قيام المنزلة في قلوب الناس، وهو اعتقاد نعتًا من نعوت الكمال في هذا الشخص، إما من علم أو عبادة، أو نسب أو قوة، أو حسن صورة، أو غير ذلك، مما يعتقده الناس كمالاً فبقدر ما يعتقدون له من ذلك، تذعن قلوبهم لطاعته، ومدحه، وخدمته، وتوقيره.

---

(١) خفيف الحاذ: قليل المال.

(٢) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) في المطبوع: «أخلاص الهدى» وهو خطأ.

(٤) في المطبوع الملك وهو خطأ.

فهذا يبين أن الجاه محبوب بالطبع، وأنه أبلغ من حب المال، لأن المال لا يتعلق لغرض بعينه، بل لكونه وسيلة إلى المحبوبات، فاشتراك الجاه والمال في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة، والجاه في ذلك أرجح من المال.

واعلم أن من الجاه ما يحمد وما يذم، لأن من المعلوم أنه لابد للإنسان من مال لضرورة المطعم والملبس ونحوهما، فكذلك لابد له من جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، لأن الإنسان لا يخلو من الحاجة إلى سلطان يحرسه، ورفيق يعينه وخادم يخدمه، فحبه ذلك ليس بمذموم، لأن الجاه وسيلة إلى الأغراض، كالمال.

والتحقيق في هذا أن لا يكون المال والجاه محبوبين لأعيانهما، ومتى طلب الإنسان قيام جاه لأجل صفة هو متصف بها لغرض صحيح، كقول يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٤] أو قصد إخفاء عيب من عيوبه لئلا تزول منزلته، كان ذلك مباحًا، فإن طلب المنزلة باعتقادهم فيه صفة ليست فيه، كالعلم، والورع، والنسب، فذلك محظور.

وكذلك لو حسن الصلاة بين أيديهم ليعتقدوا فيه الخشوع، فإنه يكون مرائيًا بذلك، فلا يجوز تملك القلوب بتزوير، ولا تملك المال بتلبيس.

بيان علاج حب الجاه

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه، صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفًا بالتردد إليهم، والمراءاة لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتًا إلى ما يعظم منزلته عندهم، وذلك بذر النفاق، وأصل الفساد، لأن كل من طلب المنزلة في قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه، ويجر ذلك إلى المراءات بالعبادات واقتحام المحظورات، والتوصل إلى اقتناص القلوب.

ولذلك شبه الرسول عليه السلام حب المال والشرف وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين أرسلا في غنم.

فحب الجاه إذًا من المهلكات، فيجب علاجه، وعلاجه مركب من علم وعمل، أما الأول، فهو أن يعلم أن السبب الذي لأجله أحب الجاه، هو كمال

القدرة على أشخاص الناس وقلوبهم، وذلك إذا صفا وسلم يكون في آخره الموت، فينبغي أن يتفكر في نفسه في الأخطار والآفات اللاحقة لأصحاب الجاه في الدنيا، من تطرق الحسد إليهم، وقصدهم بالإيذاء، فتراهم خائفين على الدوام من زوال جاههم، محترزين من تغيير منزلتهم في القلوب.

والقلوب أشد تغيرًا من القدر في غليانها، فالاشتغال بمراعاة ذلك غموم عاجلة، مكدرة لحفظ الجاه، فلا يفي مرجو الدنيا بمخوفها، فضلاً عما يفوت في الآخرة، فهذا من حيث العلم.

وأما العلاج من حيث العمل، فهو إسقاط الجاه من قلوب الخلق بأفعال توجب ذلك، كما روي أن أحد الملوك قصد زيارة رجل زاهد، فلما قرب منه، استدعى طعامًا وبقلاً ولبنًا، وجعل يأكل بشره، ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه.

ولما أريد إبراهيم النخعي على القضاء لبس قميصًا أحمر وقعد في السوق.

واعلم أن انقطاع الزاهد عن الناس يوجب جاهًا له عندهم، فإذا خاف من تلك الفتنة، فليخالطهم على وجه السلامة، وليمش في الأسواق، وليشتر حاجته ويحملها، وليقطع طمعه من دنياهم، وقد تم مراده.

وقد كان بشر الحافي يجلس إلى عطار، وما كانوا يراعون نواميس المتزهدين اليوم.

خوف الحب والمذمة

واعلم أن أكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس،وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضا الناس، رجاء المدح، وخوفًا من الذم، وذلك من المهلكات، فوجبت معالجته.

وطريق ذلك أن تنظر إلى الصفة التي مدحت بها، إن كانت موجودة فيك فلا يخلو، إما أن يكون مما يفرح به كالعلم، والورع، أو مما لا يصلح أن يفرح به، كالجاه والمال.

أما الأول، فينبغي أن يحذر من الخاتمة، فإن الخوف منها شغل عن الفرح بالمدح، ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة، فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح الناس.

وأما القسم الثاني، وهو المدح بسبب الجاه والمال، فالفرح بذلك كالفرح بنبات الأرض الذي يصير عن قريب هشيمًا، ولا يفرح بذلك إلا من قل عقله، وإن كنت خاليًا عن الصفة التي مدحت بها، ففرحك بالمدح غاية الجنون.

وقد ذكرنا آفات فيما تقدم من كتاب آفات اللسان، فلا ينبغي أن تفرح به، بل تكرهه، كما كان السلف يكرهونه، ويغضبون على فاعله.

وعلاج كراهية الذم يفهم من علاج حب المدح، فإنه ضده، والقول الوجيز فيه أن من ذمك، إما أن يكون صادقًا فيما قال. قاصدًا النصح لك، فينبغي أن تتقلد منته، ولا تغضب، فإنه قد أهدى إليك عيوبك، وإن لم يقصد بذلك النصح، فإنه يكون قد جنى هو على دينه، وانتفعت بقوله، لأنه عرفك ما لم تكن تعرف، وذكرك من خطاياك ما نسيت، وإن افترى عليك بما أنت منه برئ، فينبغي أن تتفكر في ثلاثة أشياء:

أحدها: أنك إن خلوت من ذلك العيب لم تخل من أمثاله، فما ستر الله عز وجل عليك من عيوبك أكثر، فاشكره إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك فذكر ما أنت عنه بريء.

الثاني: أن ذلك كفارات لذنوبك.

الثالث: أنه جنى على دينه، وتعرض لغضب الله عليه، فينبغي أن تسأل الله العفو عنه، كما روي أن رجلاً شج[1] إبراهيم بن أدهم، فدعا له بالمغفرة وقال: صرت مأجورًا بسببه، فلا أجعله معاقبًا بسببي، وقد تقدمت هذه الحكاية في فضل الحلم.

---

(١) الشج يكون في الرأس والوجه وهو الذي يقشر الجلد ولا يدميه.

الفصل الثالث

في بيان الرياء وحقيقته وأقسامه وذمه ونحو ذلك.

بيان الرياء وحقيقته وأقسامه وذمه ونحو ذلك

قد ورد ذم الرياء في الكتاب والسنة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون: ٤ — ٦]، وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وأما الأحاديث، فقد روي عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**من عمل عملاً أشرك فيه غيري، فهو للذي أشرك، وأنا منه بريء**»(١).

وفي حديث آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، هل تجدون عندهم خيرًا؟!**»(٢).

وقال بشر الحافي: لأن أطلب الدنيا بمزمار أحب إليّ من أن أطلبها بالدين، واعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، فالمرائي يُري الناس ما يطلب به الحظوة عندهم، وذلك أقسام:

الأول: الرياء في الدين،وهو أنواع:

أحدها: أن يكون من جهة البدن، بإظهار النحول(٣) والصفار(٤)، ليزيد بذلك شدة الاجتهاد، وغلبة خوف الآخرة، وكذلك يرائي بتشعث(٥) الشعر ليظهر أنه مستغرق في هم الدين، لا يتفرغ لتسريح شعره.

---

(١) رواه مالك من حديث أبي هريرة وابن ماجة بسند صحيح.

(٢) رواه أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد ورجاله ثقات.

(٣) النحول: الهزال وضعف الجسم.

(٤) الصفار من الصفرة وهو تغير لون الجلد.

(٥) بتشعث الشعر: عدم تسريح الشعر.

ويقرب من هذا خفض الصوت، وإغارة العينين، وذبول الشفتين، ليدل بذلك على أنه مواظب على الصوم.

ولهذا قال عيسى ابن مريم عليه السلام: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه، ويرجل شعره. وذلك لما يخاف على الصائم من آفات الرياء، فهذا الرياء من جهة البدن لأهل الدين.

وأما أهل الدنيا، فيراءون بإظهار السمن(١) وصفاء اللون،واعتدال القامة، وحسن الوجه، ونظافة البدن.

النوع الثاني: الرياء من جهة الزي، كالإطراق(٢) حالة المشي، وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب، ولبس الصوف، وتشمير الثياب كثيرًا، وتقصير الأكمام، وترك الثوب مخرقًا غير نظيف.

ومن ذلك لبس المرقعة، والثياب الزرق، وتشبهًا بالصوفية، مع الإفلاس من صفاتهم في الباطن.

ومنه التقنع فوق العمامة، لتنصرف إليه الأعين بالتمييز بتلك العادة.

وهؤلاء طبقات، منهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح، بإظهار التزهد بلبس الثياب المخرقة الوسخة الغليظة، ليرائي بذلك، ولو كلف هذا أن ثوبًا وسطًا نظيفًا مما كان السلف يلبسونه، لكان عنده بمنزلة الذبح، لخوفه أن يقول الناس: قد بدا له من الزهد، وقد رجع عن تلك الطريقة.

وطبقة أخرى: يطلبون القبول عند أهل الصلاح، وعند أهل الدنيا من الملوك والأمراء والتجار، فلو لبسوا الثياب الفاخرة لم تقبلهم القراء أهل الصلاح، ولو لبسوا المخرقة الدنية لازدرتهم الملوك والأغنياء، فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فيطلبون الأثواب الرقيقة، والأكسية

---

(١) السمن بكسر السين وفتح الميم هو ضخامة الجسم وكثره شحومه.

(٢) الإطراق هو تنكيس الرأس إلى أسفل والمقصود هنا إظهار الخشوع وليس الخشوع كذلك بل الخشوع في القلب.

الرفيعة والفوط الرفيعة فيلبسونها، وأقل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب الغني، ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء، فيلتمسون القبول عند الفريقين.

وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ، لكان عندهم كالذبح، خوفًا من السقوط في أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس الرقيق ورفيع الكتان الأبيض ونحو ذلك، لعظم ذلك عليهم، خوفًا من أن تنحط منزلتهم عند أهل الصلاح، وكل مراء بزي مخصوص ثقل عليه الانتقال إلى دونه أو فوقه خوفًا من المذمة.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالثياب النفيسة، والمراكب الحسنة وأنواع التجمل في الملبس والمسكن وأثاث البيت، وهم في بيوتهم يلبسون الثياب الخشنة ويشتد عليهم أن يروا بتلك المنزلة.

النوع الثالث: الرياء بالقول، ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار، لأجل المحاورة، وإظهار غزارة العلم والدلالة على شدة العناية بأحوال السلف، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس، وإظهار الغضب للمنكرات بين الناس، وخفض الصوت وترقيقه بقراءة القرآن، ليدل ذلك على الخوف والحزن ونحو ذلك.

النوع الرابع: الرياء بالعمل، كمراءاة المصلى بطول القيام، وتطويل الركوع والسجود، وإظهار الخشوع، ونحو ذلك وكذلك بالصوم والغزو والحج والصدقة ونحو ذلك.

وأما أهل الدنيا فمراءاتهم، بالتبختر[1]، والاختيال، وتحريك اليدين، وتقريب الخطى، والأخذ بأطراف الذيل، وإمالة العطفين، وليدلوا بذلك على الحشمة.

النوع الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن

---

(١) التبختر والاختيال بمعنى واحد وهو التكبر والاستعلاء على الناس وفي سورة لقمان الآية ١٨ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

يستزير[1] عالمًا أو عابدًا، ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا، وإن أهل الدين يترددون إليه ويتبركون به، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ، ليقال: لقي شيوخًا كثيرة، واستفاد منهم، فيباهي بذلك، فهذه مجامع ما يرائي به المراءون، يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد.

ومنهم من يطلب مجرد الجاه، وكم من عابد اعتزل في جبل، وراهب انزوى إلى دير، مع قطع طمعهم من مال الناس، لكنه يحب مجرد الجاه.

ومنهم من يكون قصده المال، ومنهم من قصده الثناء وانتشار الصيت.

فإن قيل: هل الرياء حرام، أم مكروه، أم مباح.

فالجواب: أن فيه تفصيلاً، وهو إما أن يكون بالعبادات، أو بغيرها، فإن كان الرياء بالعبادات، فهو حرام، فإن المرائي بصلاته وصدقته وحجته، ونحو ذلك، عاص آثم، لأنه يقصد بذلك غير الله تعالى المستحق للعبادة وحده، فالمرائي بذلك في سخط الله.

وأما إن كان بغير العبادات، فهو كطلب المال على ما تقدم، لا يحرم من حيث إنه طلب منزلة في قلوب العباد، ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورة، فكذلك الجاه، وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود، فكذلك الجاه، وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام في قوله: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥]، ولا نقول بتحريم الجاه وإن كثر، إلا إذا حمل صاحبه على ما لا يجوز على نحو ما ذكرنا في المال.

وأما سعة الجاه من غير حرص على طلبه، ومن غير اغتمام بزواله إن زال، فلا ضرر فيه، إذ لا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وعلماء الدين بعده ولكن انصراف الهمم إلى طلب الجاه نقصان في الدين، ولا يوصف بالتحريم.

وتحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس، إنما هو

---

(١) يستزير من الزيارة وهي هنا بمعنى يطلب زيارة العالم والعابد فإن السين والتاء في اللغة تستخدم للطلب.

ليراه الناس، وكذلك كل تجمل لأجلهم لا يقال: إنه منهي عنه.

وقد تختلف المقاصد بذلك، فإن أكثر الناس يحبون أن لا يروا بعين نقص في حال وفي أفراد مسلم، من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**»: فقال رجل إن الرجل يحب إن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا. فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر[١] الحق وغمط[٢] الناس**».

ومن الناس، من يؤثر إظهار نعمة الله عليه، وقد أمر[٣] رسول الله ﷺ بذلك.

أبواب الرياء كلها أشد من بعض

واعلم أن بعض أبواب الرياء أشد من بعض، لأنه درجات.

أشدها وأغلظها أن لا يكون مراده بالعبادة الثواب أصلاً، كالذي يصلي بين الناس، ولو انفرد لم يصل.

الدرجة الثانية: أن يقصد الثواب مع الرياء قصدًا ضعيفًا بحيث لو كان خالياً لم يفعله، فهو قريب من القسم الأول في كونهما ممقوتين[٤] عند الله تعالى.

الثالثة: أن يكون قصد الرياء،وقصد الثواب متساويين، بحيث لو انفرد كل واحد منهما عن الآخر لم يبعثه على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح، ولا يسلم من الإثم.

الرابعة: أن يكون اطلاع الناس عليه مقويًا لنشاطه، ولو لم يطلع عليه أحد لم يترك العبادة، فهذا يثاب على قصده الصحيح، ويعاقب على قصده

---

(١) البطر: الطغيان وتجاوز الحد.

(٢) الغمط: الاحتقار يقال سخط الناس يعني احتقرهم واستصغرهم.

(٣) المقصود بالأمر هنا هو قوله تعالى في سورة الضحى الآية ١١ ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

(٤) المقت: أشد البغض.

الفاسد، وقريب من ذلك الرياء بأوصاف العبادة لا بأصلها، كالذي يصلي وغرضه تخفيف الركوع والسجود ولا يطيل القراءة، فإذا رآه الناس أحسن ذلك، فهو أيضًا من الرياء المحظور، لأنه يتضمن تعظيم الخلق، ولكنه دون الرياء بأصول العبادات.

بيان الرياء الخفي هو أخفى من دبيب النمل

اعلم أن الرياء جلي[1] وخفي.

فالجلي: هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه.

وأخفى منه قليلاً رياء لا يبعث على العمل بمجرده، لكن يخفف العمل الذي أريد به وجه الله تعالى، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف نشط له وسهل عليه. وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا في التسهيل، لكنه مع ذلك مستبطئ في القلب، ومتى لم يؤثر الدعاء في العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات، وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته، فرب عبد مخلص يخلص العمل، ولا يقصد الرياء بل يكرهه، ويتم العمل على ذلك، لكن إذا اطلع الناس عليه سره ذلك وارتاح له، وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة، فهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس، فيعلم أن الرياء كان مستكنًا في القلب استكنان النار في الحجر، فأظهر منه اطلاع الناس أثر الفرح والسرور، ثم إذا استشعر تلك اللذة بالاطلاع لم يقابل ذلك بكراهة، بل قد يتحرك حركة خفيفة، ويتكلف أن يطلع عليه بالتعريض[2] لا بالتصريح.

وقد يخفى، فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضًا ولا تصريحًا، ولكن

---

(١) الجلي: الواضح البين وهو ضد الخفي.

(٢) والمعنى أنه لو لم يطلع عليه أحد لقال كلامًا يعرف من خلاله أنه صاحب كذا وكذا من العبادات ولكن لا يقولها صراحة وهذا معنى التعريض هنا.

بالشمائل[١] كإظهار النحول، والصفار[٢]، وخفض الصوت، ويبس الشفتين، وآثار الدموع، وغلبة النعاس الدالة على طول التهجد.

وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع عليه، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدءوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير، وينشطوا في قضاء حوائجه، ويسامحوه في المعاملة، ويوسعوا له المكان، فإن قصر في ذلك مقصر، ثقل ذلك على قلبه، كأن نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها.

ومتى لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق، لم يكن خاليًا عن شوب خفي من الرياء، وكل ذلك يوشك أن ينقص الأجر، ولا يسلم منه إلا الصديقون.

وقد روينا عن وهب بن منبه، أن رجلاً من العباد قال لأصحابه: إنا قد فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان، وإنا نخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا من هذا الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم، إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن كان له حاجة أحب أن تقضى لمكان دينه، وإن اشترى شيئًا أحب أن يرخص له لمكان دينه، فبلغ ذلك ملكهم، فركب في موكبه، فإذا السهل والجبل قد امتلأ[٣] من الناس، فقال العابد: ما هذا: قيل: هذا الملك. فقال لصاحبه: ائتني بطعام، فأتاه ببقل وزبيب وقلوب الشجر، فجعل يحشو شدقيه ويأكل أكلاً عنيفًا، فقال الملك: أين صاحبكم؟ فقالوا: هذا، فقال: كيف أنت؟ قال: كالناس. فقال الملك: ما عند هذا خير، وانصرف عنه. فقال: الحمد لله الذي صرفه عني وهو لائم.

ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي، يجتهدون في مخادعة الناس

---

(١) الشمائل جمع شمال قال في اللسان هو الطبع وهو هنا بمعنى العلامات الدالة على ذلك.
(٢) في المطبوع «والصغار» بالغين وهو تصحيف.
(٣) امتلأ هنا بالمد وليس بالتقصير لأنه مثنى والتثنية تعود على السهل والجبل.

عن أعمالهم الصالحة، ويحرصون على إخفائها أعظم ما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم، كل ذلك رجاء أن يخلص عملهم ليجازيهم الله تعالى في القيامة بإخلاصهم.

وشوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر، ومتى أدرك الإنسان من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته أو لا يطلع، ففيه شعبة من الرياء، ولكن ليس كل شوب(١) محبطًا للأجر ومفسدًا للعمل، بل فيه تفصيل.

فإن قيل: فما ترى أحدًا ينفك عن السرور إذا عرفت طاعته، فهل جميع ذلك مذموم؟

فالجواب: أن السرور ينقسم إلى محمود ومذموم.

فالمحمود: أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله تعالى أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، فيسر بحسن صنع الله ونظره له ولطفه به، حيث كان يستر الطاعة والمعصية، فأظهر الله سبحانه عليه الطاعة وستر عليه المعصية ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل فيكون فرحه بذلك، لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، أو يستدل بإظهار الله الجميل، وستر القبيح عليه في الدنيا، أنه كذلك يفعل به في الآخرة، فإنه قد جاء معنى ذلك في الحديث.

فأما إن كان فرحه باطلاع الناس عليه لقيام منزلته عندهم، حتى يمدحوه ويعظموه ويقضوا حوائجه، فهذا مكروه مذموم.

فإن قيل: فما وجه حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره، فإذا اطلع عليه أعجبه. فقال: «**له أجران: أجر السر، وأجر العلانية**»(٢).

---

(١) الشوب الخلط وفي سورة الصافات الآية ٦٧﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ يعني لهم عليها خلط من الجحيم.

(٢) رواه البيهقـــي في شعب الإيمان من رواية ذكوان عن ابن مسعود ورواه الترمذي =

فالجواب: أن هذا الحديث ضعيف، وقد رواه الترمذي، وفسره بعض أهل العلم بأن معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير، لقوله عليه السلام: «**أنتم شهداء الله في الأرض**».

وقد روي في أفراد مسلم، من حديث أبي ذر ﷺ قال: قيل: يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**».

فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ويكرموه عليه، فهذا رياء.

بيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط

إذا ورد على العبد وارد الرياء، فلا يخلو:

إما أن يكون ورد بعد فراغه من العبادة أو قبله، فإن ورد عليه بعد الفراغ سرور بالظهور من غير إظهار منه، فهذا لا يحبط العمل، لأنه قد تم على نعت الإخلاص فلا ينعطف ما طرأ عليه بعده، لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به، فأما إن تحدث به بعد تمامه وأظهره، فهذا مخوف، والغالب عليه أنه كان في قلبه وقت مباشرة العمل نوع رياء، فإن سلم من الرياء نقص أجره فإن بين عمل السر والعلانية سبعين درجة.

وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من العبادة، كالصلاة التي عقدها على الإخلاص، فإن كان مجرد سرور، لم يؤثر في العمل، وإن كان رياء باعثًا على العمل، مثل أن يطيل الصلاة ليرى مكانه، فهذا يحبط[1] الأجر.

وأما ما يقارن العبادة، مثل أن يبتدئ الصلاة على قصد الرياء، فإن أتمها على ذلك لم يعتد بها، وإن ندم فيها على فعله، فالذي ينبغي له أن يبتدئها، والله أعلم.

=

وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة.

(١) يحبط الأجر: يبطل الأجر.

دواء الرياء وطريقة معالجة القلب فيه

قد عرفت أن الرياء محبط للأعمال، وسبب لمقت الله تعالى، وأنه من المهلكات، ومن هذا حاله، فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته.

وفي معالجته مقامان:

أحدهما: في قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: في دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: اعلم أن أصل الرياء حب الجاه والمنزلة، وإذا فصل، رجع إلى ثلاثة أصول: وهي حب لذة الحمد، والفرار من ألم[(١)] الذم، والطمع فيما في أيدي الناس.

ويشهد لذلك ما في «الصحيحين» من حديث أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية[(٢)]، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**».

فمعنى قوله: يقاتل شجاعة، أي: ليذكر ويحمد، ومعنى قوله: يقاتل حمية أي: يأنف أن يقهر أو يذم، ومعنى: يقاتل رياء، أي: ليرى مكانه، وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب.

وقد لا يشتهي الإنسان الحمد، ولكنه يحذر من الذم، كالجبان بين الشجعان، فإنه يثبت ولا يفر لئلا يذم. وقد يفتي الإنسان بغير علم حذرًا من الذم بالجهل، فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك إلى الرياء.

وعلاجه أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه إذا ظن أنه خير له ونافع، أما في الحال أو المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ضار في المآل، سهل

---

(١) لم ترد كلمة «ألم» في المطبوع.

(٢) الحمية: الأنفة والكبرياء والغضب الشديد، قال تعالى في سورة الفتح آية ٢٦ ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ والمعنى دفعهم إلى عدم قبول كتابة البسملة الأنفة والغرور.

عليه اجتنابه وقطع عنه الرغبة، كمن يعلم أن العسل لذيذ، ولكن إذا بان له أن فيه سمًا، أعرض عنه، فكذلك طريق هذه الرغبة أن تعلم ما فيها من المضرة، فإن الإنسان متى عرف مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه، ومن المنزلة في الآخرة، وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق، فإن رضا الناس غاية لا تدرك، فكل ما يرضي به فريق يسخط به فريق، ومن طلب رضاهم في سخط الله، سخط الله عليه وأسخطهم عليه. ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله له لأجل مدحهم؟! ولا يزيد مدحهم رزقًا ولا أجلاً، ولا ينفعه يوم فقره وفاقته[١]. وكذلك ذمهم لم يحذر منه؟ ولا يضره ذمهم شيئًا، ولا يعجل أجله، ولا يؤخر رزقه، فإن العباد كلهم عجزة، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعاً، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فإذا قرر هذا في نفسه فترت رغبته في الرياء، وأقبل على الله تعالى بقلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه.

وأما لطمع فيما في أيدي الناس، فيزيله بأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنه لا رازق سواه، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد، لم يخل من المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد.

ومن الدواء النافع أن يعود نفسه إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها، كما تغلق الأبواب دون الفواحش، فإنه لا دواء في الرياء مثل إخفاء الأعمال، وذلك يشق في بداية المجاهدة، فإذا صبر عليه مدة بالتكلف[٢]، سقط عنه ثقله، وأمده الله بالعون، فعلى العبد المجاهدة، ومن الله التوفيق.

المقام الثاني: في دفع العارض من الرياء في أثناء العبادة، وذلك لابد من تعلمه أيضًا، فإن من جاهد نفسه، وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وإسقاط نفسه من أعين الناس، واحتقار مدحهم وذمهم، فإن الشيطان لا يتركه في أثناء

---

(١) الفاقة: الحاجة وهي مرادفة لكلمة فقر.

(٢) التكلف من الكلفة وهي المشقة والعناء.

العبادة، بل يعارضه بخطرات الرياء، فإذا خطر له معرفة الخلق بعبادته واطلاعهم عليها، دفع ذلك بأن يقول: ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا، والله عالم بحالك، فأي في علم غيره؟

فإن هاجت الرغبة إلى آفة الحمد، ذكرها آفات الرياء، والتعرض للمقت فيقابل تلك الرغبة بكراهة المقت، فإن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة، ومعرفة آفة الرياء تثير كراهة.

ذكر الحزن في القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

كما يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١].

كما يقول أيضًا: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥].

وذكر سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [لقمان: ٢٣]

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: ٧٦].

وقال أيضًا في محكم تنزيله: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

كما قال أيضًا: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

كما قال أيضًا: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

كما قال أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

كما قال أيضًا: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

ويقول أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وقال أيضًا: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

كما قال أيضًا: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الزمر: ٦١].

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ذكر الغم في القرآن

يقول المولى عز وجل في كتابه العزيز ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال تعالى ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١].

ذكر الخوف في القرآن

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٤].

وقال أيضًا: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال أيضًا: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال أيضًا: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٨].

كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٩].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢].

وقال المولى عز وجل أيضًا: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

تَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ذكر الحذر في القرآن

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

ذكر الكسل في القرآن

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤].

ذكر الفسق في القرآن

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨]. وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٥٩].

﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

كما قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦، ٢٧].

شرح عجائب القلوب

اعلم أن أشرف ما في الإنسان قلبه، فإنه العالم بالله، العامل له، الساعي إليه، المقرب المكاشف بما عنده، وإنما الجوارح أتباع وخدام له، يستخدمها استخدام الملوك للعبيد.

ومن عرف قلبه عرف ربه، وأكثر الناس جاهلون بقلوبهم ونفوسهم، والله يحول بين المرء وقلبه، وحيلولته أن يمنعه من معرفته ومراقبته، فمعرفة القلب وصفاته، هو أساس الدين، وأساس طريق السالكين.

القلب قابل للهدي

اعلم أن القلب بأصل فطرته قابل للهدى، وبما وضع فيه من الشهوة والهوى مائل عن ذلك، والتطارد فيه بين جندي الملائكة والشياطين دائم، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما، فيتمكن، ويستوطن، ويكون اجتياز[1] الثاني اختلاسًا، كما قال تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤]، وهو الذي إذا ذكر الله خنس، وإذا وقعت الغفلة انبسط ولا يطرد جند الشيطان من القلب إلا ذكر الله تعالى، فإنه لا قرار له مع الذكر.

واعلم أن مثل القلب كمثل حصن، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن، ويملكه، ويستولي عليه، ولا يمكن حفظ الحصن إلا بحراسة أبوابه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرفها، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله، ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد، وهي كثيرة، إلا أن نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب[2] التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الحسد، والحرص، فمتى كان العبد حريصًا على

---

(١) في المطبوع: «اختيار».

(٢) الدروب جمع درب وأصل الدرب الضيق من الجبال وأطلق على باب السكة الواسعة أو الباب الأكبر هكذا قال في اللسان.

شيء أعماه حرصه وأصمه، وغطى نور بصيرته التي يعرف بها مداخل الشيطان.

وكذلك إذا كان حسودًا، فيجد الشيطان حينئذ الفرصة، فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته، وإن كان منكرًا أو فاحشًا.

ومن أبوابه العظيمة: الغضب، والشهوة، والحدة[١]، فإن الغضب غول[٢] العقل، وإذا ضعف جند العقل هجم حينئذ الشيطان فلعب بالإنسان. وقد روي أن إبليس يقول: إذا كان العبد حديدًا، قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

ومن أبوابه: حب التزين في المنزل والثياب والأثاث، فلا يزال يدعو إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها، والتزين بالثياب، والأثاث، فيخسر الإنسان طول عمره في ذلك.

ومن أبوابه: الشبع، فإنه يقوي الشهوة، ويشغل عن الطاعة.

ومنها: الطمع في الناس: فإن من طمع في شخص، بالغ الثناء عليه بما ليس فيه، وداهنه[٣] ولم يأمره بالمعروف، ولم ينهه عن المنكر.

ومن أبوابه: العجلة، وترك التثبت، وقد قال النبي ﷺ: «**العجلة من الشيطان، والتأني من الله تعالى**»[٤].

ومن أبوابه: حب المال، ومتى تمكن من القلب أفسده، وحمله على ما طلب المال من غير وجهه، وأخرجه إلى البخل، وخوفه الفقر، فمنع الحقوق اللازمة.

ومن أبوابه: حمل العوام على التعصب[٥] **في المذاهب**، دون العمل بمقتضاها.

---

(١) الحدة بمعنى الطيش وسرعة الغضب.

(٢) الغول بضم الغين هو المنية والمعنى هنا أن الحدة تهلكه وتفنيه وتذهب به.

(٣) المداهنة هي المصانعة يقال داهن الرجل إذا نافق.

(٤) حديث ضعيف أخرجه الترمذي في البر والصلة.

(٥) التعصب من العصب وهو الشد والمعنى هنا التشدد الممقوت الذي يخرج الإنسان عن حد الاعتدال وهو مخالف لروح الشرع السمح الحنيف.

ومن أبوابه أيضًا: حمل العوام على التفكر في ذات الله تعالى، وصفاته، وفي أمور لا تبلغها عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين.

ومن أبوابه: سوء الظن بالمسلمين، فإن من حكم على مسلم بسوء ظنه، احتقره وأطلق فيه لسانه، ورأى نفسه خيرًا منه، وإنما يترشح سوء الظن بخبث الظان، لأن المؤمن يطلب المعاذير للمؤمن، والمنافق يبحث عن عيوبه.

وينبغي للإنسان أن يحترز عن مواقف التهم، لئلا يساء به الظن، فهذا طرف من ذكر مداخل الشيطان، وعلاج هذه الآفات سد المداخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة، وسيأتي الكلام على هذه الصفات إن شاء الله تعالى مفصلاً.

وإذا قُلعت عن القلب أصول هذه الصفات، بقي للشيطان بالقلب خطرات واجتيازات من غير استقرار، فيمنعه من ذكر الله تعالى، وعمارة القلب بالتقوى.

ومثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك لحم وخبز، فإنه ينزجر بأن تقول له: اخسأ، وإن كان بين يديك شيء من ذلك وهو جائع، لم يندفع عنك بمجرد الكلام، فكذلك القلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر.

فأما القلب الذي غلب عليه الهوى، فإنه يرفع الذكر إلى حواشيه(١)، فلا يتمكن الذكر من سويدائه(٢)، فيستقر الشيطان في السويداء.

وإذا أردت مصداق ذلك، فتأمل هذا في صلاتك، وانظر إلى الشيطان كيف يحدث قلبك في مثل ذلك الموطن، بذكر السوق، وحساب المعاملين، وتدبير أمر الدنيا.

واعلم أنه قد عفي عن حديث النفس، ويدخل في ذلك ما هممت به،

---

(١) حواشي جمع حاشية وهي الجانب والمعنى أنه يرفع الذكر إلى جوانبه.

(٢) السويداء هي حبة الشنن والمعنى هنا أنه لم يتمكن من حبة قلبه أو صميم قلبه.

ومن ترك ذلك خوفًا من الله تعالى كتبت له حسنة، وإن تركه لعائق[1]، رجونا له المسامحة، إلا أن يكون عزمًا، فإن العزم على الخطيئة خطيئة، بدليل قوله: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل ما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[2].

وكيف لا تقع المؤاخذة بالعزم، والأعمال بالنية، وهل الكبر والرياء والعجب إلا أمور باطنة؟ ولو أن إنسانًا رأى على فراشه أجنبية ظنها زوجته لم يأثم بوطئها، ولو رأى زوجته وظنها أجنبية أثم بوطئها، وكل هذا متعلق بعقد القلب.

التعريف بالقلب

وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول: «**يا مقلب[3] القلوب ثبت قلوبنا على دينك، يا مصرف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك**»[4].

وفي حديث آخر: «**مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح**»[5].

واعلم أن القلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

الأول: قلب عمر بالتقوى، وزكي بالرياضة، وطهر عن خبائث الأخلاق فتفرج فيه خواطر الخير من خزائن الغيب، فيمده الملك بالهدى.

القلب الثاني: قلب مذخول، مشحون بالهوى، مدنس بالخبائث، ملوث بالأخلاق الذميمة، فيقوى فيه سلطان الشيطان لاتساع مكانه، ويضعف سلطان الإيمان، ويمتلئ القلب بدخان الهوى، فيعدم النور، ويصير كالعين الممتلئة

---

(١) العائق هو الصارف والمانع يعوق الإنسان عن بلوغ قراره.

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

(٣) في المطبوع: «يا مثبت القلوب».

(٤) رواه الترمذي من حديث أنس وحسنه هكذا قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٥) رواه أحمد بسند صحيح بلفظ «مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا لبطن»

بالدخان، لا يمكنها النظر، ولا يؤثر عنده زجر ولا يوعظ.

والقلب الثالث: قلب يبتدئ فيه خاطر الهوى، فيدعوه إلى الشيء، فيلحقه خاطر الإيمان، فيدعوه إلى الخير.

مثاله، أن يحمل الشيطان حملة على العقل، ويقوي داعي الهوى، ويقول: أما ترى فلانًا وفلانًا كيف يطلقون أنفسهم في هواها، حتى يعد جماعة من العلماء، فتميل النفس إلى الشيطان، فيحمل الملك حملة على الشيطان، ويقول: هل هلك إلا من نسي العاقبة، فلا تغتر بغفلة الناس عن أنفسهم، أرأيت لو وقفوا في الصيف في الشمس ولك بيت بارد، أكنت توافقهم أم تطلب المصلحة؟ أفتخالفهم في حر الشمس، ولا تخالفهم فيما يئول إلى النار؟ فتميل النفس إلى قول الملك، ويقع التردد بين الجنديين، إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فمن خلق للخير يسر له، ومن خلق للشر يسر له: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(١) [الأنعام: ١٢٥]، اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

ذكر العجب في القرآن

يقول الله تعالى في العجب في كتابه العزيز: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢].

ويقول المولى عز وجل: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦].

وقال ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١].

---

(١) حرجًا: بفتح الحاء والجيم: شدة الضيق.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢].

وقال الله سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩].

كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢].

وقال أيضًا: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [هود: ٧٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المنافقون: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٨٥]، ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ [النجم: ٥٩].

ذكر القلوب في القرآن الكريم

يقول المولى عز وجل في محكم تنزيله عن القلوب ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧].

كما قال: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال أيضًا: ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٤]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى: ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

كما قال الله تعالى في كتابه العزيز أيضًا: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

وقال أيضًا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

كما قال سبحانه: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وقال جل شأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

كما قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال أيضًا: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

وذكر في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥١].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال المولى عز وجل: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [يونس: ٧٤].

كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الحجر: ١٢].

وقال أيضًا: ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَـٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠].

ويقول الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٩].

قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

كما يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال ربنا جل شأنه ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ [النازعات: ٨].

وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقال المولى عزل وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

كما قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وخاطب نبيه قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

كما قال: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

وقال الله سبحانه أيضًا: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

وخاطب سبحانه وتعالى المؤمنين ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال الله أيضًا: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وفي كتابه العزيز يقول المولى عز وجل أيضًا: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠].

وقال أيضًا: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥].

كما قال: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤].

وقال أيضًا: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٥].

كما قل عز من قائل: ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ

أن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائة: ١١٣].

وقال الله في كتابه أيضًا: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [فصلت: ٥].

كما قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلب

وذلك في فصول:

اعلم أن الخلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين، وأن الأخلاق السيئة سموم قاتلة، تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان، وأمراض تفوت جاه[1] الأبد، فينبغي أن تعرف العلل ثم التشمير في معالجتها، ونحن نشير إلى جمل من الأمراض، وكيفية معالجتها في الجملة من غير تفصيل، فإن ذلك يأتي مبينًا إن شاء الله تعالى.

فضيلة حسن الخلق وذم سوء الخلق

وقد ذكر شيء من ذلك في آداب الصحبة.

واعلم أن الناس قد تكلموا في حسن الخلق متعرضين لثمرته لا لحقيقته، ولم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل منهم ما حضر في ذهنه، وكشف الحقيقة في ذلك أن يقال: كثيرًا ما يستعمل حسن الخلق مع الخلق، فيقال: فلان حسن الخلق والخُلُق – أي حسن الظاهر والباطن، فالمراد بالخلق: الصورة الظاهرة، والمراد بالخُلُق: الصورة الباطنة، وذلك أن الإنسان مركب من جسد ونفس.

فالجسد مدرك بالبصر والنفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحدة منهما هيئة

---

(١) في المطبوع: «حياة».

وصورة، إما جميلة أو قبيحة، والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله سبحانه وتعالى أمره فقال: ﴿ إِنِّي خَـٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [ص: ٧١، ٧٢]، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح منسوب إليه سبحانه وتعالى، فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الأفعال جميلة سميت خلقًا حسنًا، وإن كانت قبيحة سميت خلقًا سيئًا.

وقد زعم بعض من غلبت عليه البطالة فاستثقل الرياضة، أن الأخلاق لا يتصور تغييرها، كما لا يتصور تغيير صورة الظاهر.

والجواب: أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنى، وكيف تنكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الصيد الوحشي يستأنس، والكلب يعلم ترك الأكل، والفرس تعلم حسن المشي وجودة الانقياد، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح، وبعضها مستعصية.

وأما خيال من اعتقد أن ما في الجبلة لا يتغير، فاعلم أنه ليس المقصود قمع هذه الصفات بالكلية، وإنما المطلوب من الرياضة رد الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، وأما قمعها بالكلية فلا، كيف والشهوة إنما خلقت لفائدة ضرورية في الجبلة، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية، لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه. وقد قال تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ولم يقل: الفاقدين الغيظ.

وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره[١] والتقلل قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١]، إلا أن الشيخ المرشد

(١) الشره: كثير الطعام.

للمريد إذا رأى له ميلاً إلى الغضب والشهوة، حسن أن يبالغ في ذمهما على الإطلاق ليرده إلى التوسط، ومما يدل على أن المراد من الرياضية والاعتدال أن السخاء خلق مطلوب شرعًا وهو وسط بين طرفي التقتير والتبذير وقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، واعلم أن هذا الاعتدال، تارة يحصل بكمال الفطرة منحة من الخالق، فكم من صبي يخلق صادقًا سخيًا حليماً، وتارة يحصل بالاكتساب، وذلك بالرياضة، وهي حمل النفس على الأعمال الجالبة[١] للخلق، فمن أراد تحصيل خلق الجود، فليتكلف فعل الجود من البذل ليصير ذلك طبعًا له.

وكذلك من أراد التواضع تكلف أفعال المتواضعين، وكذلك جميع الأخلاق المحمودة، فإن للعادة أثرًا في ذلك، كما أن من أراد أن يكون كاتبًا تعاطى فعل الكتابة، أو فقيهًا تعاطى فعل الفقهاء من التكرار، حتى ينعطف على قلبه صفة الفقه، إلا أنه لا ينبغي أن يطلب تأثير ذلك في يومين أو ثلاثة، وإنما يؤثر مع الدوام، كما لا يطلب في النمو علو[٢] القامة في يومين أو ثلاثة، وللدوام تأثير عظيم.

ذكر النفس في القرآن الكريم

قال الله سبحانه وتعالى في النفس ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

---

(١) الجالبة هنا بمعنى الآتية به المتسببة في مجيئه.

(٢) في المطبوع: «لا يطلب النمو على» وهو تركيب مشوش.

وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨].

كما قال أيضًا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ويقول المولى عز وجل: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [الزمر: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٠].

كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

كما قال: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [يس: ٥٤].

وقال أيضًا: ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

الفصل الرابع

كتاب الطب الروحاني (*)
لابن الجوزي رحمه الله تعالى

(*) بتحقيق مصطفى عاشور.

ترجمة المؤلف

ابن الجوزي (أبو الفرج)

المولود ٥٠٨ هـ - ٥٩٧ هـ

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ. فهو عربي قرشي تيمي.

وجعفر الوارد في آبائه هو الذي لقب بالجوزي نسبة إلى (مشرعة الجوز) وهي مرفأ نهر البصرة أو لجوزة كانت بوسط داره بـ (واسط) لم يكن بالبلدة غيرها وتوارث أولاده اللقب.

يقول صاحب تاريخ علماء المستنصريه عنه:

علم عصره في التاريخ والحديث أشهر أولاد الجوزي وذكره الإمام الكتاني فيمن ألف في السنة في كتب مفردة في أبواب مخصوصة (هو كتاب الإخلاص) وقال عنه: القرشي التيمي البكري الصديقي البغدادي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف السائرة في الفنون والتي بلغ مجموعها مائتين ونيفًا وخمسين — هكذا قال في كتابه (الرسالة المستطرفة).

مات عنه أبوه وهو صغير له ثلاث سنين فناله من ميراثه عشرون دينارًا وداران لم يملك من الميراث غيرهما.

ويروى أن أمه أهملته فرعته عمته حتى إذا أدرك الحياة أخذته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ ببغداد فعني به وحفظ على يديه القرآن الكريم وسمع من الحديث الشريف ولازمه نحو ثلاثين سنة وقال عنه: لم أستفد من أحد استفادتي منه.

وصحب وهو صغير أبا الحسن بن الزاغوني وكان صاحب حظ وافر من كل فن وقرأ بعد الزاغوني الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري والقاضي أبي يعلى وسمع من ابن الحصين والبارع وطبقتهما وتلا

بالعشر على ابن المزرقي كما كان الجواليقي من أُساتذته في المدرسة النظامية ببغداد.

وتتبع مشايخ الحديث والفقه حتى صار عالمًا موسوعيًا أو دائرة معارف حية تمشي على رجلين.

يقول عنه ابن كثير: أحد أفراد العلماء برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف فكتب في التفسير والحديث والتاريخ والحساب والطب والفقه واللغة والنحو وله في التفسير (زاد المسير) وفي الحديث (جامع المسانيد) وفي التاريخ (المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم) وغير ذلك كثير.

أما خير كتبه وأنفعها فهو الكتاب الذي بين يديك، وكتابه الآخر (صيد الخاطر) الذي أوحى إلى الأستاذ أحمد أمين اسم كتابه فيض الخاطر، كان - رحمه الله- له من الأولاد ثلاثة ذكور هم عبد العزيز وأبو القاسم علي ومحيى الدين يوسف، وله أربع بنات لم نستدل على أسمائهن.

شيوخه:

يذكر أنه خرج لنفسه مشيخة عن ٨٧ شيخًا منهم:

١ — أبو الفضل محمد بن ناصر خاله وأول معلميه.

٢ — أبو منصور الجواليقي الذي علمه الأدب واللغة.

٣ — ابن الطبر الحريري الذي أسمعه الحديث.

٤ — أبو منصور بن خيرون الذي علمه القراءات هكذا كان شيخ العراق أخذ عن هؤلاء العلماء الكبار وغيرهم.

ويقول موفق الدين عبد اللطيف البغدادي: كان ابن الجوزي لطيف الصوت حلو الشمائل رخيم النغمة موزون الحركات لذيذ المفاكهة يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، لا يضيع من زمانه شيئًا، ويقول هو عن نفسه رحمه الله في كتابه (القصاص): ما زلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى فقد تاب

على يدي إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل.

وكان – رحمه الله – يختم القرآن في سبعة أيام ولا يخرج من بيته إلا إلى الجامع أو المجلس، وما مازح أحدًا قط ولا لعب مع صبي ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله.

وقد أثنى عليه العلماء فذكره أبو عبد الله بن الدبيثي في ذيله على تاريخ السمعاني فقال: شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم من التفاسير والفقه والحديث، والتواريخ وغير ذلك. وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه والوقوف على صحيحه من سقيمه وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة الأحاديث الواهية والموضوعة والانقطاع والاتصال ... إلخ.

ويقول هو عن نفسه في كتابه صيد الخاطر: إني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به ثم لم يحبب إليّ فن واحد بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل أروم استقصاءه والزمان لا يتسع والعمر ضيق والشوق يقوى والعجز يظهر، فيبقى بعض الحسرات ... إلى آخر ما قال.

ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها الحديث فحصل منها شيء كثير أوصى أن يسخن بها ماء غسله بعد موته ففعل ذلك فكفت وبقي منها.

وقد وصف مجالس ابن الجوزي الرحالة ابن جبير في رحلته المسماة باسمه:

.... ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الإمام الأوحد جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد إلى أن يقول: ومن أبهر آياته وأكبر معجزاته أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراء بالقرآن ولا يزال القراء يتناوبون آيات من سور مختلفات وقد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عددًا فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلاً مبتدرًا وأفرغ في أصداف الأسماء من ألفاظه دررًا ... إلخ.

مؤلفات ابن الجوزي:

لقد اشتهر ابن الجوزي بوفرة مؤلفاته وفرة أثارت الخلاف في تحديدها ونحن هنا نذكر أهمها:

١ - أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث.

٢ - أخبار الحمقى والمغفلين.

٣ - أخبار الظراف والمتماجنين.

٤ - أخبار النساء.

٥ - الأذكياء.

٦ - بستان الواعظين ورياض السامعين.

٧ - تاريخ عمر بن الخطاب.

٨ - التاريخ والمواعظ.

٩ - تبصرة الأخيار في ذكر نيل مصر وإخوانه من الأنهار.

١٠ - تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ.

١١ - التحقيق في أحاديث الخلاف.

١٢ - تقويم اللسان.

١٣ - تلبيس إبليس (أو نقد العلم والعلماء) وهو من تحقيقنا.

١٤ - تنقيح فهوم لأهل الأثر.

١٥ - تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر.

١٦ - دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة.

١٧ - ذم الهوى.

١٨ - الذهب المسبوك في سير الملوك.

١٩ - روح الأرواح.

٢٠ - رءوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير.

٢١ - زاد المسير في علم التفسير.

٢٢ – سلوة الأحزان.

٢٣ – مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز.

٢٤ – صفة الصفوة أو صفوة الصفوة.

٢٥ – صيد الخاطر.

٢٦ – الطب الروحاني.

٢٧ – القرامطة.

٢٨ – القصاص والمذكرون.

٢٩ – لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

٣٠ – المدهش في علوم القرآن والحديث.

٣١ – ملتقط الحكايات.

٣٢ – مناقب الإمام أحمد.

٣٣ – مناقب بغداد.

٣٤ – مناقب الحسن البصري.

٣٥ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

٣٦ – مولد النبي ﷺ.

٣٧ – الوفا بأحوال المصطفى.

٣٨ – ياقوتة المواعظ.

ومن كتب التفسير:

٣٩ – المغني في التفسير.

٤٠ – زاد المسير في علم التفسير.

٤١ – كتاب التلخيص.

٤٢ – تذكرة الأريب في علم الغريب.

٤٣ – تيسير البيان في تفسير القرآن.

٤٤ – فنون الأفنان في علوم القرآن.

٤٥ – الوجوه والنظائر – نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر.

٤٦ – مختصر الوجوه والنظائر.

٤٧ – ناسخ القرآن ومنسوخه.

٤٨ – المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.

٤٩ – الإشارة إلى القراءة المختارة.

٥٠ – المنتبه في عيون المشتبه.

٥١ – السبعة في القراءات السبعة.

٥٢ – ورد الأغصان في فنون الأفنان.

٥٣ – غريب الحديث.

وله في غير علوم القرآن:

٥٤ – شذور العقود.

٥٥ – عجيب الخطب.

ومن كتبه في علم اللغة:

٥٦ – تقويم اللسان.

٥٧ – مشكل الصحاح.

٥٨ – المقامات الجوزية في المعاني الوعظية.

وقد اختصر بعض كتبه فمنها:

٥٩ – مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز.

٦٠ – مختصر مناقب بغداد.

٦١ – تلخيص التبصرة.

٦٢ – مختصر لقط المنافع.

٦٣ – الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.

شعره:

يقولون إن ابن الجوزي كان شاعرًا مجيدًا وأن له ديوان شعر لم يصل إلينا

ولكن ما ورد من الشعر في كتبه والكتب التي ترجمت له دون القليل ولقد روى ابن كثير في البداية والنهاية تلك الأبيات في الفخر:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا … وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباتها … جري السعيد إلى مدى ما أملا
لو كان هذا العلم شخصًا ناطقًا … سألته هل زار مثلي قال: لا

وفاته:

توفي ابن الجوزي – رحمه الله – في ليلة الجمعة ١٢ من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ – ١٢٠١ م بداره بقطفتا وحملت جنازته على رءوس الناس إلى مقبرة باب حرب فدفن هناك عند أبيه.

ورثاه القادر العلوي بقصيدة عصماء يقول في أولها:

الدهر عن طمع يغر ويخدع … وزخارف الدنيا الدنية تُطمع
وأعنة الآمال يطلقها الرجا … طمعًا وأسياف المنية تقطع
والموت آت والحياة مريرة … والناس بعضهم لبعض يتبع

إلى أن يقول:

من للفتاوى المشكلات وحلها … من ذا الخرق الشرع يومًا يرفع
من للمنابر أن يقوم خطيبها … ولرد مسألة يقول فيُسمع

فرحمه الله رحمة واسعة وجعل علمه من العلم الذي ينتفع به، فإذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقه جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له، وأرجو أن يحوز مؤلفنا من الثلاثة.

لزيادة من المعلومات تفضل بمراجعة:

١ – وفيات الأعيان

٢ – الذيل على طبقات الحنابلة.

٣ – العبر في أخبار من غبر.

٤ - دول الإسلام.

٥ - تذكرة الحفاظ.

٦ - مرآة الجنان.

٧ - الكامل في التاريخ.

٨ - البداية والنهاية.

٩ - غاية النهاية.

١٠ - النجوم الزاهرة.

١١ - طبقات المفسرين للسيوطي.

١٢ - طبقات المفسرين للداودي.

١٣ - تاريخ ابن الفرات.

١٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

١٥ - التكملة لوفيات النقلة للمنذري.

١٦ - معجم المؤلفين.

١٧ - درة الأسلاك.

١٨ - ذيل مرآة الزمان.

١٩ - دائرة المعارف الإسلامية.

٢٠ - مرآة الزمان.

٢١ - ذيل الروضتين.

٢٢ - الأعلام.

٢٣ - الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ومراجعها - دكتورة فاطمة محمد محجوب.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي قدر الداء، ودبر الدواء، وكم وهب لمن أشفى[1] على شفا[2] هلكة الشفاء؛ أحمده على كل ما صدر عن قضائه وجاء، وأعلق بفضله، ومنه الرجاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نور الفضاء فضاء.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أشرف من وطئ الأرض والسماء، وعلى أصحابه وأزواجه صلاة تعم الأتباع والأولياء، وسلم تسليمًا كثيرًا.

لما جمعت كتابًا في طب الأبدان وسميته (لقط المنافع) آثرت أن أشفعه بكتاب في طب النفوس أسميه (الطب الروحاني)؛ فإن طب الأبدان إصلاح الصور، وطب النفوس إصلاح المعاني؛ وهي أشرف.

وإلى الله سبحانه الرغبة في النفع العاجل، والأجر الآجل؛ إنه جدير بتبليغ الآمال من منّه.

الغرض من وضع الكتاب:

اعلم أن جميع ما وضع في الآدمي إنما وضع لمصلحته، إما لاجتلاب نفع كشهوة المطعم، أو لدفع ضرر كالغضب؛ فإذا زادت شهوة المطعم صارت شرها فآذت، وإذا زاد الغضب أخرج إلى الفساد.

وهذا الكتاب موضوع لاستعمال قانون الصواب من خلال الباطن، وكف كف الهوى عن المؤذي منها، وعلاج ما خرج لموافقة الشهوة عن القانون

---

(١) (أشفى) على الشيء: اقترب منه، يقال: أشفت الشمس على الغروب، وأشفى الرجل على الموت.

(٢) (الشفا) من كل شيء: حرفه. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾.

الصحيح، وقد قسمته ثلاثين بابًا.

(١) فضل العقل

قد اختلف الناس في ماهية[1] العقل، ومسكنه؛ وأطالوا، وقد رويت في فضله أحاديث كثيرة. وقد ذكرنا جملة من ذلك في كتابنا المسمى (بذم الهوى)، فلا نعيدها، بل نذكر ههنا جملة، فنقول:

إنما يعرف فضل الشيء بثمرته، ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه؛ فإنه استدل عليه حتى عرفه، وعلى صدق الأنبياء حتى علمه، وحث على طاعة الله، وطاعة رسله، ودبر في نيل كل صعب حتى ذلل البهائم، وعلمه صناعة السفن التي بها يتوصل إلى ما حال بيننا وبينه البحر، واحتال على طير الماء حتى صيدت، وعينه أبدًا تراقب العواقب، وتعمل بمقتضى السلامة وفيها والعوز، وبترك العاجل للآجل، وبه فضل الآدمي على جميع الحيوان الذي فقده، وبه تأهل الآدمي لخطاب الله سبحانه وتكليفه، وبه يبلغ الإنسان غاية ما في جوهر مثله أن يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل.

وكفى بهذه الأشياء فضيلة لا ببعضها، فليكتف بهذه الجملة عن الإطالة.

(٢) في ذم الهوى

الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه؛ فمن يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحًا، وإنما يذم الإفراط فيه، فمن أطلق ذم الهوى، فلأن الغالب فيه ما لا يحل أو يتأول المباح بإفراطه.

واعلم أن النفس منها: جزء عقلي، فضيلته الحكمة، ورذيلته الجهل؛ وجزء غضبي فضيلته الحدة، ورذيلته الجبن،؛ وجزء شهواني فضيلته العفة،

(١) تطلق الماهية غالبًا على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعقل من حيث إنه معقول في جواب ما يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى: حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار: هوية، ومن حيث حمل اللوازم له ذاتًا، ومن حيث إنه يستنبط من اللفظ مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرًا، وهكذا.

ورذيلته إطلاق الهوى.

فالصبر عن الرذائل فضيلة للنفس، بها يحتمل الإنسان الخير والشر، فمن قل صبره، فحكم هواه على عقله، فقد صير المتبوع تابعًا، والمأموم إمامًا؛ فلا جرم أن جميع ما يرومه ينعكس عليه؛ فإنه يتأذى من حيث قدر النفع، ويحزن من حيث أراد الفرح.

وإنما فضل الآدمي على الحيوان البهيمي بالعقل الذي أمر بكف الهوى، فإذا لم يقبل قوله، وحكم الهوى، كان الحيوان البهيمي أعذر من الآدمي.

ويدل على فضل خلاف الهوى تقديم كلب الصيد، وإكرامه على أبناء جنسه؛ وذلك لمكان مخالفته للهوى من حبس ما صاده على صاحبه دون أكله خوفًا من عقوبته أو شكرًا لنعمته، واعلم أن الهوى في ضرب المثل كالماء الجاري الحديد الجرية ينحدر بسفينة الطبع، والعقل مراد، فإن عقل المراد وتوانى مر الماء بالسفينة.

وينبغي للعاقل أن يعلم أن مقاساة الشدة في خلاف الهوى أسهل مما يلقى في موافقته، وأقل ما يلقى موافقو الهوى أنهم يصيرون إلى حالة لا يلتذون به فيها، ثم لا يصبرون عنه؛ لأنه يصير بالإدمان عادة، كمدمني الجماع وشراب الخمر.

والتفكر في هذه الأشياء تهون على الإنسان رفض الهوى. ومما يهون الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة الهوى، فإن الجمل يأكل أكثر منه، والعصفور يسافد[١] أكثر، والبهائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا يشوبهم غم، فلما نقص حظ الآدمي من الشهوات، ثم شيبت[٢] بالنقص علم أنه لم يخلق لذلك.

وقد بينت لك أن المذموم من الهوى ما أفرط، وهو الذي يحكم عليه

---

(١) (سفد) ذكر الحيوان أنثاه، وعلى أنثاه – سفدًا: نزا عليها.
(٢) (شاب) الشيء غيره: خالطه، فهو شائب، والشيء مشوب.

العقل بالخطأ. فأما ما تهواه مما تضطر إلى تناوله ويعينها على إصلاح حالها فممدوح لا مذموم.

(٣) الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى

اعلم أن الهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر في عاقبته، وقد يعلم أن تلك اللذة تجلب ألما يربو عليها، وتمنع صاحبها نيل أمثالها، والهوى معرض عن النظر في ذلك، وتلك حالة البهائم إلا أن البهائم أعذر؛ لأنها لا ترى العاقبة. ولا ينبغي للعاقل أن ينزل عن رتبة بها شرف وارتفع إلى مقام من حط.

فأما العقل، فإنه يراقب العواقب، وينظر في المصالح، فمثله كمثل الرجل الحازم، والطبيب الناصح؛ ومثل الهوى كمثل الصبي الجاهل، والمريض الشره.

فينبغي للبيب إذا اختلف عقله وهواه، وقد علم أن العقل عالم ناصح: أن يستشيره وأن يصبر على مضض ما يأمر به. ويكفيه في إيثار العقل علمه بفضله. فإن رام زيادة دليل على صحة قوله، فليتأمل عواقب ما يجنيه الهوى على أربابه: من هتك الأستار، والفضيحة بين الخلق، وحط المنزلة، وفوت الفضائل، وهل وكس[١] جاه، أو ذل عزيز، أو صيد طائر، إلا بموافقة الهوى ومما يوضح له الدليل أن يقدر بلوغ غرضه قبل نيله، ثم ينظر في حاله بعد انقضاء لذته وما اكتسبه، ويزن الالتذاذ بالجناية، فليعلم حينئذ أنه قد خسر أضعاف ما ربح، وقد أنشدوا في ذلك:

كم لذة مستفزة فرحًا قد انجلت عن غموم آفات
كم شهوات سلبن صاحبها ثوب الديانات والمروءات

واعلم أن الإنسان إذا وافق هواه، وإن لم يضره، وجد من نفسه ذلاً لمكان أنه مغلوب. وإذا قهر هواه، وجد في نفسه عزًا لأجل أنه غالب.

ثم أنت ترى الناس إذا شاهدوا زاهدًا تعجبوا منه، وقبلوا يده، وما ذاك إلا لأنه قوي على ترك ما ضعفوا عنه من مخالفة الهوى.

---

(١) (وكس) الشيء – (يكس) وكسًا: نقص.

(٤) دفع العشق عن النفس

هذا مرض قد تلف به خلق كثير، تارة في أبدانهم، وتارة في أديانهم، وتارة فيهما، ولأجله وضعت كتاب (ذم الهوى)، وقد ذكرت هناك من الأدوية ما يكفي ويشفي، إلا أني أذكر ههنا جملة لئلا يخلو الكتاب مما قد رسم فيه؛ فأقول:

من احتمى عن التخليط بغض البصر، وكف النظر، سلم من هذا المرض، فإذا لم يحتم حصل عنده من المرض بمقدار تخليطه، فإن تدارك الأمر قبل استحكامه فربما نفع الدواء، وإن تركه إلى أن يستحكم لم ينفعه علاج.

واعلم أن مجرد النظر إلى المستحسن لا يكاد يوجب العشق، وإنما إذا ازداد النظر يحصله، ويعينه قوة الطمع، فيساعده الشباب والشهوة. فمن أراد العلاج، فليبادر به قبل أن يستحكم المرض، وذلك بقطع السبب والصبر في ذلك على المضض، فإن اليأس أعظم دواء، وأقوى معين على ذلك خوف الله تعالى، وزجر النفس الآبية عن مواقف الذل، وتذكر عيوب المحبوب الباطنة، كما قال ابن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مثالبها[١].

ومتى كان المحبوب مقدورًا عليه مباحًا كان الجمع بينهما أعظم الدواء، وإلا فالنكاح في الجملة يخفف المرض، واستجداد[٢] الزوجات، واستحداث الجواري، وطول السفر، والتفكر في خيانة المحبوب وتجنيه، والنظر في كتب الزهد، وذكر الموت، وعيادة المرضى، وزيارة القبور.

ثم يتفكر في وجود غرضه وانقضائه، وسآمته مع الزمان، وتغير الخلق؛ وليتصفح العبر في نفسه وغيره؛ فلعل غيره يأخذ بيده، فينتاشه[٣] من هذه الهوة، ويجتذبه من هذه الورطة، كما روينا أن رجلاً كان يهوى غلامًا فنظر

---

(١) (المثالب): مفردها «المثلبة»، وهي العيب.

(٢) أي تجديد الزوجات.

(٣) أي فينقذه من هذه الهوة.

يومًا في المرآة، فرأى طاقة[١] شيب، فهجر الغلام، فكتب الغلام إليه:

ما لي جفيت وكنت لا أجفى ودلائـل الهجـران لا تخفى
وأراك تشـربني فتمـزجني ولقد عهدتك شاربي صرفا[٢]

فكتب إليه في الجواب

أتصـابي مـع الشـمط سمـتنى خطـة شـطط[٣]
لا تلمـني علـى جفـا ي فحسـبي بمـا فـرط
أنـا رهـن بمـا جنـيـ ـت فـذرني مـن الغلط
قـد رأيـنا أبـا الخـلا ئـق في زلـة هـبط

(٥) دفع الشره

اعلم أن الشره إذا أطلق انصرف إلى موافقة الهوى في المطاعم، وكم قد أوجبت من أمر فزالت بأربابها إلى التلف، وهي علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية.

قال الحارث بن كلدة: الذي قتل البرية، وأهلك السباع في البرية، إدخال الطعام على الطعام. وقال غيره: لو قيل لأهل القبور ما كان سبب آجالكم لقالوا: التخم.

وساق بسنده إلى الحسن، قال: قيل لسمرة، إن ابنك لم ينم الليلة!

قال: أبشما؟[٤]. قيل: بشمًا.

قال: لو مات لم أصل عليه.

البشم في الطعام والبغر[٥] في الماء.

---

(١) طاقة شيب: أي شعبة أو حزمة من شعر قد نالها البياض.
(٢) (شراب صرف): أي شراب خالص نقي غير مخلوط بشيء.
(٣) (الشمط): هو اختلاط بياض الشعر بسواده، والجمع: أشماط، وشماط. (والشطط): هو التجاوز والتعدي.
(٤) (بشم) من الطعام. بشمًا: أكثر منه حتى أتخم وسئمه. فهو بشم. و(أبشمه) الطعام: أتخمه.
(٥) (البغر): إذا شرب فلم يرو فأخذه داء من الشرب.

قال رجل لرجل يعيره: مات أبوك بشمًا، وماتت أمك بغرًا!

وعن عقبة الراسبي، قال: دخلت على الحسن، فوافقته يتغدى، فقال: هلم. فقلت: أكلت حتى لا أستطيع أن آكل.

فقال: سبحان الله ويأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل؟!

«**فصل**» واعلم أن العاقل يجب أن يأكل ليبقى والجاهل يؤثر أن يبقى ليأكل ورب لقمة منعت لقمات وكانت سبب الهلاك، وقد بينت عيوب الشبع في كتاب «**لقط المنافع**» وإنما المقصود ههنا زجر النفس الشرهة لتكف الكف عما يؤذيها. وفيها ابتدأت به من ذكر فضل العقل وذم الهوى ما يكفي في الامتناع من كل رذيلة وهجر ما يخاف عواقبه.

الشره في الجماع

وقد يكون الشره في الجماع، وقد بينت في كتاب اللقط: أنه كلما كثر استعماله امتنعت أوعية المنى، فانجذب إليها غذاء ليس بنضيج، واستلبت قوى الأصول؛ وهي الدماغ، والقلب، والكبد، فتبرد الحرارة الغريزية، ويسرع لذلك الهلاك:

ثم إن صورة الوطء تنبو[1] عنها النفوس الشريفة، إلا أن يدفع شر محتقن أو يطلب ولد، فأما أن يصير عادة يكون بالتمتع بنفس الفعل، فتلك مزاحمة البهائم.

الشره في جمع المال

وقد يقع الشره في جمع المال، وهو من الجنون البارد إذا زاد على قدر الحاجة؛ لأن المال لا يراد لنفسه، وإنما يراد لغيره. ولا ينكر على من جمع مالاً غنى للنفس عنه، فاستغنى به عن الناس، وأغنى أولاده، وبذل بعضه للمحتاجين.

إلا أنه ينبغي للعاقل بعد حصول المقدار والمتوسط من ذلك أن لا يضيع الزمان الشريف، وأن يخاطر بالروح التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب

---

(١) (تنبو) عنها: أي تعرض عنها وتنفر.

البحار، وما أحسن قول الشاعر:

ومن ينفق الأيام في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وكم قد رأينا وسمعنا عن أقوام يقترون على أنفسهم في الإنفاق، ويركبون مع كبر السن البحار ليربحوا بزعمهم، فهلكوا في أسفارهم، وما بلغوا بعض أغراضهم.

وهذا المرض ينبغي أن يداوى بتلمح المقصود من المال، والموازنة بين حصوله وبين المخاطرة بأنفس نفيس، وهي النفس والوقت، فمن شاور عقله فهم المراد، ومن غلبه مرض الحرص هلك في بيداء الشره، ولا وارث إلا المطية والرحل.

الشره في الشكليات

وقد يقع الشره في فنون ما يلتذ به من الأبنية المنقوشة، والخيل المسومة، والملابس الفاخرة، وغير ذلك.

وهذا مرض أصله موافقة الهوى، وعلاجه أن يعلم أن الحساب على كسب الحلال شديد عزيز، والتبذير ممنوع منه، وأن الله تعالى لا ينظر إلى من جر ثوبه خيلاء، وأن كل شيء يؤجر المؤمن عليه إلا البناء.

فالعاقل من نظر في مقدار إقامته، وتلمح بيت نقلته، فحينئذ يقنع من الثياب بما يواريه، ومن البنيان ما يئويه.

وفي الحديث: أن نوحًا عليه السلام لبث في بيت شعر ألف سنة إلا خمسين عامًا. وأن رسول الله ﷺ ما وضع لبنة على لبنة.

وكان في ثوب عمر اثنا عشر رقعة.

فهؤلاء فهموا أن الدنيا مفازة، والمفازة لا تتوطن؛ فمن فاته العلم بهذا مرض مرض الشره، وعلاجه النظر في العلم والتأمل بسير العلماء العقلاء.

(٦) في رفض رئاسة الدنيا

اعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على جنسها، فتؤثر الإمارة والولاية لمكانة الأمر والنهي، وهذا وإن كان مطلوبًا إلا أن فيه مخاطرات: أقلها العزل بعد الولاية، وأعظمها الجور في الحكومة، وأوسطها تضييع الزمان إذا لم تصح للوالي نية.

وينبغي لمن أحب الولاية أن يعلم أنه إنما يتخايلها عظيمة ما لم ينلها، فإذا نالها هانت عنده، وسما إلى غيرها، فاللذة تزول، والأوزار تبقى، والمخاطرة بالنفس والدين، فالتفكر في هذه الأشياء علاج.

بسنده إلى أبي أمامة، عن النبي ﷺ، قال: «**ما من رجل يلي أمر عشرة، فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه، فكه بره، أو أوبقه**(١) **إثمه. أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة**»(٢).

بسنده إلى أبي هريرة مرفوعاً: «**ويل للأمراء، ويل للعرفاء**(٣)**، ويل للأمناء. ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شيء**»(٤).

وفي أفراد مسلم من حديث أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال «**يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه لها**». وفي لفظ آخر: «**يا أبا ذر إني أحب لك ما أحب لنفسي،**

---

(١) أي أدى إلى الهلاك.

(٢) الدارمي في السنن: كتاب السير، باب ٧١. وأحمد في مسنده: جـ ٢ ص ٤٣١، ج ٥ص ٢٦٧، ٢٨٥، ٢٢٣.

(٣) العرفاء: هم الذين يقومون بأمر الجماعة أو القبيلة بهدف معرفة شئوهم وأحوالهم ثم يطلع الأمير عليها.

(٤) أحمد في مسنده: جـ ٢، ص ٣٥٢.

لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم»[١].

(٧) دفع البخل

اعلم أن مجرد الإمساك للمال لا يسمى بخلاً، لأن الإنسان قد يمسك فاضل المال لحاجته، ولحوادث دهره، ولأجل عياله وأقاربه. وهذا كله من باب الحزم، فلا يذم وقد يجد قوم قوة في النفس بحفظ المال.

وإنما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب، قال ابن عمر: من أدى الزكاة فليس ببخيل.

ثم يقال لمن منع مالاً يضره ولا يكاد يؤثر فيه مما ينتفع به الناس: بخيل، وقد قال النبي ﷺ: «**وأي داء أدوأ من البخل.**»[٢].

قال أبو محمد الرامهرمزي: إنما يشبه البخل بالداء؛ لأنه يفسد الخلق، ويدفع عن السؤدد[٣]، ويكسب سوء الثناء والمذمة، كما أن الداء يضعف الجسم، ويبطل الشهوة، ويغير اللون.

وقد قالت الحكماء، الكريم حر؛ لأنه يملك ماله، والبخيل لا يستحق اسم الحرية؛ لأن ماله يملكه.

وبسنده عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»**[٤].

وقال عليه السلام: «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق»**[٥].

---

(١) أبو داود: وصايا ٤، والنسائي: وصايا ١٠، ومسلم: إمارة ١٦، ١٧.
(٢) البخاري في الخمس ١٥، والمغازي ٧٣. وأحمد ٣/٣٠٨.
(٣) أي عن السيادة والمجد.
(٤) مسلم في البر ٥٦، وأحمد ٢/١٦٠، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣/٣٢٣.
(٥) الترمذي في البر ٤١.

قال الخطابي: الشح أبلغ من البخل، فهو بمنزلة الجنس، والبخل بمنزلة النوع.

وقال بعضهم: البخل أن يضن بماله، والشح أن يبخل بماله ومعروفه.

وقال بشر الحافي: لقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين.

وعلاج البخل أن يتفكر فيرى أن فقراء بني آدم إخوانه، وقد أوثر عليهم وأحوجوا إليه، فيجعل شكر المنعم مواساة الإخوان، ولينظر في شرف الكرم، وليعلم أنه يسترق الأحرار إذا أسدي إليهم معروفاً، وينهب عرضه الأشرار إذا بخل، وليتيقن أنه سيترك ما في يديه ذميماً فليخرج منه قبل أن يخرج عنه.

(٨) النهي عن التبذير

التبذير مما يأمر به الهوى، وينهى عنه العقل، وأحسن الأدب في هذا الباب تأديب الحق سبحانه وتعالى حين قال: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦].

واعلم أن الإنسان قد يعطى رزق شهر في يوم، فإذا بذر فيه بقي شهرًا يعاني البلاء، وإذا دبر فيه عاش شهرًا طيب العيش.

وعلاج مرض التبذير النظر في العواقب، والحذر مما يجوز كونه من الحاجة إلى الناس والفقر؛ فذلك يكف كف التبذير.

(٩) بيان مقدار الاكتساب والإنفاق

فينبغي للعاقل أن يكتسب أكثر مما يحتاج إليه، ويقتني ما يعلم أنه لو حدث به حادثة كان في المقتنى عوض عما ذهب، ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتني بحاجته بقية عمره، ولو جاءه أولاد واحتاج إلى فصل زوجة وخادم واحتاج ولده إلى مثل ذلك كان في كسبه ما يكفيه.

وفي الجملة ينبغي أن تكون النفقة أقل من الكسب ليقتني من الفضائل ما يكون معدًا لحادثة لا تؤمن.

وهذا ما يأمر به العقل الناظر في العواقب، ولا يبالي به الهوى الناظر إلى الحالة الحاضرة.

وساق بسنده إلى أبي الدرداء مرفوعاً: «**من فقه الرجل بعد النظر في معيشته**»[١]، وقد روى موقوفًا.

(١٠) ذم الكذب

هذا من العوارض التي يدعو إليها الهوى، وذلك أن الإنسان لمحبته الرئاسة يؤثر أن يكون مخبرًا معلمًا لعلمه بفضل المخبر على المخبر.

وعلاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب، وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لابد أن يطلع على حاله فينقص نقصًا لا يتلافى، فيربو حياؤه وخجله واحتقار الناس له وتكذيبهم إياه في الصدق، وقلة ثقتهم به على ما اكتذبه.

بسنده عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»[٢] وقال ابن مسعود: «كل الخلال[٣] يطبع عليه المؤمن إلا الخيانة والكذب».

(١١) دفع الحسد

الحسد تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. وسبب ذلك حب الميزة على الجنس، وكراهة المساواة، فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود.

---

(١) أحمد في المسند ٥/١٩٤ بلفظ: «**من فقه الرجل رفقه في معيشته**».

(٢) البخاري: أدب ٦٩. ومسلم: بر ١٠٢ – ١٠٥. وأبو داود: أدب ٨٠. والترمذي: بر ٤٦. وابن ماجه: مقدمة ٧. والدارمي: رقاق ٧. وأحمد ١:٣٧٤، ٤١٠، ٤٢٤، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٧، ٤٤٠.

(٣) أي الصفات.

وهذا أمر لا يكاد أحد ينفك منه في باطنه، ولا يأثم الإنسان بوجود ذلك، بل يأثم بالتمني لزوال النعمة عن أخيه المسلم.

واعلم أن الحسد يوجب طول السهر، وقلة الغذاء، ورداءة اللون، وفساد المزاج، ودوام الكمد[١].

قيل لأعرابي عاش مائة وعشرين سنة: ما أطول عمرك؟!

فقال: تركت الحسد، فبقيت.

واعلم أنه لا يقع الحسد إلا في أمور الدنيا، فإنك لا ترى أحدًا يحسد قوام الليل، ولا صوام النهار، ولا العلماء على العلم، بل على الصيت والذكر.

وعلاج هذا المرض: أن يعلم الإنسان أولاً أن الأقدار السابقة لابد أن تجري، وأن الاحتيال في صرف المقدور غير ممكن، وأن القسام حكيم، ثم هو مالك يعطي ويحرم، فهو الذي خلق الطرف[٢] السابق والكودن[٣]، وكأن الحاسد مضاد لإرادة المعطي سبحانه.

وقال بعض الحكماء:

ألا قـــل لمـــن كان لي حاسدًا أتـــدري على من أسأت الأدب
أســـأت علـــى الله في فعلـــه لأنـــك لم تـــرض لي ما وهب
فجـــازاك عـــني بـــأن زادني وســـد علـــيك وجوه الطلب

ثم إن المحسود لم ينقص الحاسد من رزقه، ولم يأخذ شيئًا من يده، فقصد الحاسد زوال ما أعطيه ظلم محض.

ثم ينبغي للحاسد أن ينظر في حال المحسود، فإن كان إنما نال الدنيا فقط، فهذا ينبغي أن يرحم لا أن يحسد؛ لأن الذي ناله في الغالب عليه لا له،

---

(١) الكمد: هو الحزن الشديد.
(٢) الطرف: هو الكريم من الناس والخيل ونحوها.
(٣) الكودن: هو الفرس الهجين، والبغل والبرذون الهجين.

وهل فضول الدنيا إلا هموم كما قال المتنبي[١]:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

وبيان هذا أن الكثير المال شديد الخوف عليه؛ والكثير الجواري شديد الحذر عليهن؛ قوي الاهتمام بهن أو لهن، والوالي خائف من العزل.

ثم ليعلم أن النعم كثيرة الأكدار، ثم هي قليلة اللبث، والمصائب تردفها؛ فإن صاحب النعمة ينتظر زوالها أو زواله عنها.

ثم ليوقن أن ما يحسد عليه المحسود ليس هو عند المحسود كما هو عند الحاسد، فإن الناس يظنون في أرباب المناصب أنهم في غاية اللذة، ولا يدرون أن الإنسان يسمو إلى أمر، فإذا ناله برد عنده، وصار عادة له، فهو يسمو إلى ما هو أعلى منه، وهذا الحاسد يرى الأمر بعين الجدة والغبطة.

وليعلم الحاسد أنه لو عاقبه المحسود لما ناله بأشد من الأذى الذي هو فيه، فإن لم ينتفع بشيء من هذا العلاج فليسع في التسبب إلى مثل ما نال المحسود، فقد قال بعض السلف: لقد خشيت الهم حتى في الحسد، فإن الرجل إذا حسد جاره على الغنى سافر وتاجر ليصير مثله أو على العلم سهر وتعلم فقد صار الناس يحبون البطالة، ثم يذمون الواصل إلى المعالي، وما أحسن ما قال الرضى:

ذنبي إلى البهم الكودان أنني الطرف المطهم[٢] والأغر[٣] الأقرح[٤]

يولونني خزر[٥] العيـــون لأنني غلست[٦] في طلب العلى وتصبحـــوا

---

(١) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي؛ أبو الطيب المتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ - ٩١٥ - ٩٦٥م): الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة. ابن خلكان ١: ٣٦، والأعلام ١: ١١٥.

(٢) المطهم: هو المتناهي الحسن، أو الكريم الحسب، أو التام من كل شيء

(٣) الأغر: المراد المشهور.

(٤) الأقرح: الذي في جبهته قرحة، وهي بياض بقدر الدرهم فما دونه.

(٥) الخذر: هو النظر بمؤخر العين وتصغيرها دهاء.

(٦) غلس: سار بغلس، والغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

وجذبت بالطول[١] الذي لم يجذبوا ومتحت[٢] بالغرب[٣] الذي لم يمتحوا

لو لم تكن لي في العيون مهابة لم يطعن الأعداء فيّ ويقدحوا

فإن لم ينل ما نال المحسود، فلتكن مجاهدته إمساك لسانه عن ثلبه[٤] وحبس ما في قلبه.

فصل: الأحاديث التي تذم الحسد

وقد جاءت الأحاديث بذم الحسد، بسنده إلى الزبير بن العوام، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم**»[٥].

وبسنده قال عمر بن ميمون: رأى موسى ﷺ رجلاً عند العرش، فغبطه بمكانه، فسأل عنه، فقال: نخبرك بعمله، لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشي بالنميمة، ولا يعق والديه.

وبسنده إلى سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله عز وجل القرآن، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في الحق آناء الليل والنهار**» أخرجاه في الصحيحين[٦].

---

(١) الطول: الحبل الذي تشد به قائمة الدابة.

(٢) متح: استقى.

(٣) الغرب: الدلو الكبيرة.

(٤) أي عن ذكر عيوبه ومثالبه.

(٥) الترمذي: قيامة (٥٦)، وأبو داود: أدب (٥٠). وأحمد (١٦٥ - ١، ١٦٧).

(٦) البخاري: علم (١٥)، وزكاة، وأحكام (٣)، وتمني (٥)، واعتصام (١٣)، وتوحيد (٤٥)، وأحمد (٢: ٩، ٣٦). ومسلم: مساقاة (٢٩). والنسائي: زكاة (٢٠).

(١٢) دفع الحقد

الحقد بقاء أثر القبيح من المحقود في نفس، ولعمري أن العقل يقضي ببقاء أثر القبيح كما يقضي ببقاء أثر الجميل.

وبسنده إلى عبد الله بن كعب بن مالك، قال: سمعت كعب بن مالك يحدث في حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ فذكر القصة، ونزول توبته، قال: فدخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول، حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، قال: فكان كعب: لا ينساها لطلحة. أخرجاه في الصحيحين[١].

فإذا ثبت أن الجميل لا ينسى، فالقبيح كذلك، إلا أنه يستحب الاجتهاد في إزالة أثر القبيح من القلب.

وعلاج ذلك أن يكون بالعفو والصفح. وللعفو محلان:

أحدهما: رؤية الثواب للعافي.

والثاني: شكر من جعل هذا في مرتبة من يعفو، وذلك في منزلة من يعفو.

ومن كمال العفو حصول الرضا، وذلك بمحو ما في القلب.

وههنا علاج أدق من هذا، وهو أن يرى الإنسان أن الذي سلط عليه لأذاه إنما هو بذنب منه، أو لتكفير خطأ، أو لرفع درجة، أو لاختباره في صبره.

وثم علاج أدق من هذا، وهو أن يرى الأشياء من المقدر.

(١٣) دفع الغضب

لقد بينا أن الغضب إنما ركب في طبع الآدمي ليحثه على دفع الأذى عنه، والانتقام من المؤذي له، وإنما المذموم إفراطه؛ فإنه حينئذ يزيل التماسك،

---

(١) البخاري: تفسير سورة (٩). ومسلم: توبة (٥٥). وأبو داود: طلاق (٢٧)، وإمارة (٢٢)، والنسائي: طلاق (١٨). وأحمد (١: ٢٣٨).

ويخرج عن الاعتدال، فيحمل على تجاوز الصواب، وربما كانت مكانته في الغضبان أكثر من مكانته في المغضوب عليه. والغضب حرارة تنتشر عند وجود ما يغضب، فيغلي عندها دم اللذات طلبًا للانتقام، وربما أثر الحمى وسببه في الغالب الكبر؛ فإن الإنسان لا يغضب على من هو أعلى منه.

وعلاجه أولاً أن يتثبت الغضبان، ويغير حاله؛ فإن كان ناطقًا سكت، وإن كان قائمًا قعد، وإن كان قاعدًا اضطجع ليسكن تلك الفورة، وإن خرج في الحال عن المكان وبعد عن المغضوب عليه كان أصلح، ثم يتفكر في فضل كظم الغيظ، فقد مدح الله سبحانه القوم، فقال: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. فإن رأى ما سلط عليه بذنبه أو شاهد قدرة المسلط على ما ذكرنا في الحقد هان الأمر.

الأحاديث التي جاءت في دفع الغضب

وقد جاء في هذا أحاديث، فذكر بسنده إلى أبي هريرة، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: أوصني، قال: «**لا تغضب**» فرد مرارًا، قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٢]. أخرجاه.

وأخرجا من حديث سليمان بن صرد، قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمر وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد**»، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: **نعوذ بالله**

---

(١) البخاري: أدب (٣: ٤٨٤). والترمذي: (٧٣)، ومالك: حسن الخلق (١١). وأحمد ٢: ١٧٥، ٣٦٢، ٤٦٦؛ ٣: ٤٨٤، ٥: ٣٤، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣).

(٢) البخاري: أدب (٧٦، ١٠٢). ومسلم: بر (١٠٧، ١٠٨). وأبو داود: أدب (٣)، ومالك: حسن الخلق (١٢). وأحمد (١: ٣٨٢، ٢: ٢٣٦، ٢٦٨، ٥١٧).

من الشيطان الرجيم، فقال أوبي جنون؟!(١).

وروى أبو داود في سننه من حديث أبي ذر، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٢).

قال الخطابي: القائم متهيء للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى.

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»(٣).

وقال الأحنف ما اعترض التثبت في الغضب إلا وهي شيطان العجلة(٤).

عواقب الغضب

ومتى لم يسكن الغضبان عند شدة فورته لم يؤمن أن تبدر منه نكاية (٥) يندم عليها إما في نفسه أو في المغضوب عليه، فكم ممن غضب فقتل وجرح أو كسر عضو ولده، ثم بقى الدهر نادمًا على ما فعل.

ومنهم من ينكأ في نفسه فإن رجلاً غضب مرة، فصاح، فنفث(٦) الدم في الحال، وأدى به الأمر إلى الهلاك فمات.

ولكم(٧) رجل رجلاً، فانكسرت أصابع اللاكم ولم يستضر الملكوم.

ومن العلاج أن يتصور الغضبان حاله عند الغضب، ثم يتصور حاله عند السكون، حينئذ يعلم أن حالة الغضب حالة جنون، وخروج عن مقتضى العقل، ومتى لم ينثن عزم الغضبان عن ضرب المغضوب عليه، فاستقر وغير ذلك ووعد نفسه بالفعل بشرط التثبت، فإنه إذا حصل التثبت رأى قبح ما عزم عليه فترك.

---

(١) البخاري: بدء الخلق ١١، أدب ٤٤، ٧٦، ومسلم: بر ١٠٩.

(٢) أحمد: جـ ٥ ص ١٥٢.

(٣) أحمد: جـ ١ ص ٢٣٩.

(٤) أي: ضعف شيطان العجلة.

(٥) نكاية: جرح أو قتل.

(٦) نفث: أي خرج ورمى به من فمه.

(٧) لكم: أي ضربه في وجهه.

كيف كان غضب السلف الصالح؟

وقد كان السلف إذا غضبوا غفروا وصفحوا طلبًا لفضيلة العفو وكظم الغيظ.

ومنهم من يرى السبب في إغضابه ذنوب نفسه.

ومنهم من يرى أنه مختبر، إلى غير ذلك مما ذكرناه في باب الحقد. وفي بعض كتب الله تعالى: «**يا ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت، فلا أمحقك مع من أمحق، وإذا ظلمت فارض بنصرتي؛ فإن نصرتي خير لك من نصرتك لنفسك**».

وقال مورق: ما تكلمت بكلمة في الغضب فندمت عليها في الرضا.

وكان ابن عون لا يغضب، فإذا أغضبه الرجل، قال: بارك الله فيك.

عدم المعاقبة في حالة الغضب

ولا ينبغي للغضبان على الشخص أن يعاقبه في حالة غضبه، وإن كان مستحقًا للعقوبة، بل يمهل حتى يسكن الغضب، لتكون العقوبة بمقدار الإساءة لا بمقدار الغضب. أتي عمر بن عبد العزيز برجل كان واجدًا[1] عليه، فقال: لولا أني غضبان لضربتك، ثم خلى سبيله.

(١٤) دفع الكبر

الكبر تعظيم شأن النفس، واحتقار الغير، وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه، إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك.

وعلامة الكبر الأنفة ممن يتكبر عليه، والاختيال، والفخر، ومحبة تعظيم الناس له.

وعلاج ذلك نوعان: جملي، وتفصيلي. فأما الجملي، فنوعان: علمي، وعملي: فالعلمي في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر، وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم.

---

(١) أي كان غضبانًا عليه.

وأما التفصيلي فأن ينظر إلى رذائل النفس وأن يعلم أن ما يتكبر به إن كان مالاً، فهو مأخوذ منه عن قريب، والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لا به، لأن الغني بالشيء فقير إليه، وإن كان علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه، ثم علمه ينهاه عن حالته، فهو حجة عليه. كذلك إن كان عملاً ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقيصة.

حوار بين عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم

ذكر بسنده إلى أبي سلمة، قال: التقى عبد الله بن عمرو وابن عمر على المروة فنزلا فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو وقعد ابن عمر يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال هذا (يعني عبد الله بن عمرو) زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله تعالى في النار على وجهه»**[1]. وبسنده إلى إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب من الجبارين حتى يصيبه ما أصابهم»**[2].

وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال: الرجل، إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس»**[3].

وفي أفراده من حديث الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد، قالا: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: العز إزاري، والكبر ردائي، فمن**

---

(١) مسلم: إيمان ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. وأبو داود لباس ٢٦. والترمذي بر ٦١. وابن ماجه مقدمة ٩، وزهد ١٦. بلفظ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». وأخرجه الطبراني في الكبير باللفظ المذكور في المتن كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١: ٩٨.

(٢) الترمذي: بر ٦١.

(٣) مسلم: إيمان ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩. وأبو داود: لباس ٢٦. والترمذي: بر ٦١. وابن ماجه: مقدمة ٩، وزهد ١٦. وأحمد: ١ : ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٦، ٤٥١؛ ٢: ١٦٤، ٢١٥.

نازعني فيهما عذبته»[١].

قال الخطابي: ومعنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله اختص بهما، لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما: لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل وضرب الرداء والإزار، مثلاً يقول (والله أعلم): كما لا يشرك الإنسان في إزاره وردائه، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق.

قال: وقوله: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[٢]. يتأول على وجهين: أحدهما: أنه كبر الكفر، والثاني: أنه ينزع الكبر من قلوب أهله قبل دخولهم الجنة. وقوله: «**وغمط الناس**» أنه أزرى بهم واستخف بهم، ويقال: غمط وغمص.

وبسنده إلى الحسن قال: تراهم يهدرون عند هدير الفحل أنت والله أنت والله وتراه مقنعًا ساكتًا يحسب حميق أنه مثل ما يقال له. قال: وترى أحدهم يتخزل في مشيته يسحب عظامه عظمًا عظمًا لا يمشي طبيعة.

(١٥) دفع العجب

العجب إنما ينشأ من حب النفس، والمحبوب لا ترى زلته، ولا يعتقد نقصه، بل يرى بعين الكمال. ومن بلايا العجب أنه يؤدي إلى بغض الأمر الذي به وقع العجب؛ لأن المعجب بنفسه في أمر لا يتزيد منه ثم يترقى إلى أن يعيب غيره في الاعتقاد والنقص في سواه.

وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس على ما بينا آنفًا، وسؤال الغير عن قبائحها ومعايبها، والنظر في أحوال من سبقه إلى ما أعجب به وبرز عليه، فإن عجب العالم بعلمه فلينظر في سير العلماء، أو بزهده فلينظر في سير

---

(١) أبو داود: لباس ٢٥. ومسلم بر: ١٣٦. وابن ماجه: زهد ١٦. وأحمد ٢: ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢، ٦: ١٩.

(٢) سبق تخريجه.

الزهاد، فحينئذ لا يعد نفسه فقد كان الإمام أحمد يحفظ ألف ألف حديث، وكان كهمس بن الحسن يختم كل يوم وليلة ثلاث مرات، وصلى سلمان التيمي الفجر بوضوء العتمة أربعين سنة.

ومن تأمل سير القوم رأى نفسه فيما حصل بالإضافة إليهم كمن معه دينار يعجب به ولا يدري أن في الدنيا من يملك ألوفًا كثيرة. وبسنده قال إبراهيم الخواص: العجب يمنع من معرفة قدر النفس.

وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله وما أضر العجب بالمجلس.

(١٦) دفع الرياء

من عرف الله تعالى حق معرفته أخلص له عمله، وإنما يقع الرياء من قلة المعرفة له، وتعظيم قدر الخلق، وإيثار النفس مدحهم وحمدهم، والناس في هذا المرض متفاوتون، فمنهم من لا يقصد بعمله إلا مدح الخلق له، ومنهم من يريد الله بعمله ويريد مدح المخلوقين، ومنهم من لا يقصد الخلق أصلاً، فإذا اطلعوا عليه حسن العمل وجوده ليمدح فهذه آفة دخلت على عمل صحيح.

وعلاج هذا المرض في الجملة تحقيق معرفة الله سبحانه، فمن عرفه أفرد القصد له، ولم ير غيره، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود لا في مقام معبود ممدوح، ورأى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل فاحترس من تعب ضائع.

والعقوبة على الرياء شديدة، بسنده حديث عمر بن الخطاب: «**إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى**»(١).

---

(١) البخاري: بدء الوحي ١، إيمان ٤١، إكراه [في الترجمة]، نكاح ٥، طلاق ١١، مناقب الأنصار ٤٥، عتق ٦. مسلم: إمارة ١٥٥. وأبو داود: طلاق ١١. والترمذي: فضائل الجهاد ١٦، طهارة ٥٩، طلاق ٢٤، إيمان ١٩. ابن ماجه: زهد ٢٦. وأحمد ١: ٢٥.

وبسنده إلى أبي موسى، قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت أن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**» متفق عليه(١).

وبسنده إلى أبي هريرة، قال له ناتل الشامي: أيها الشيخ حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة: رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى قتلت: قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: هو جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن. فقال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: هو عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها؟ فقال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار**» انفرد بإخراجه مسلم(٢).

وبسنده إلى أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل: «**قال أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو الذي**

---

(١) البخاري: علم ٤٥، جهاد ١٥، خمس ١٠، وتوحيد ٢٨. مسلم: إمارة ١٤٩-١٥١. أبو داود: جهاد ٢٤. النسائي: جهاد ٢١. وابن ماجه: جهاد ١٣. وحنبل ٤: ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٧.

(٢) مسلم: كتاب الإمارة، برقم ١٥٢.

أشرك» أخرجه مسلم(١).

وبسنده إلى محمود بن لبيد: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ **قال: «الرياء، يقول الله تعالى لهم يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»**(٢).

وبسنده إلى أبي حازم، قال: لا يحسن عبد فيما بينه وبين العباد ولا يعور(٣) فيما بينه وبين الله إلا عور الله ما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها؛ إنك إن صانعت هذا الوجه مالت إليك الوجوه كلها، وإذا أفسدت شنعتك الوجوه كلها.

وبسنده إلى ابن توبة أبو جعفر عبد الله، قال: رأيت أبا بكر الأدنى القارئ في النوم بعد موته يمد يده، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: وقفني بين يديه وقاسيت شدائد وأمورًا صعبة، فقلت له: فتلك الليالي والمواقف والقرآن. فقال: ما كان شيء أضر عليّ منها لأنها كانت للدنيا، فقلت: فإلى أي شيء انتهى أمرك، قال: قال لي: تعالى آليت(٤) على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين.

(١٧) دفع فضول الفكر

اعلم أن الفكر يراد لاستدراك فارط، والنظر في مصلحة مستقبلة، فإذا كان فيما لا يثمرها كان ضرورًا وإذا كثر أنهك البدن، قال أبقراط: ينبغي

---

(١) أحمد: ٢: ٣٠١، ٤٣٥. بنفس اللفظ، وأخرجه مسلم: زهد ٤٦. وابن ماجه: زهد ٢١. وأحمد ٣: ٤٦٦، ٤: ٢١٥. بلفظ: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك..»

(٢) الترمذي: حدود ٢٤، فتن ٥٩، زهد ٢١. وابن ماجه: حدود ١٢، زهد ٢١. وأحمد ١: ٢٢، ٤٤، ٣ : ٧، ٣٠، ٣٨٢، ٤: ١٢٦، ٥: ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣) أي يفسد.

(٤) أي: حلفت.

للعلماء أن يتركوا الفكر وقتًا ما لئلا ينهك أبدانهم.

قلت: ولا يجوز للعاقل أن يخلي نفسه من الفكر، ولكن يكون فيما يتصور له نيله، فأما إذا تفكر العامي في أن يكون خليفة، وأن ينال علم أبي حنيفة والشافعي، ثم يجمع بينه وبين زهد بشر ومعروف الكرخي، ويحصل مثل مال عبد الرحمن بن عوف؛ فهذه أفكار تضني وتردي، خصوصًا إذا قنع بالفكر، واستعمل الكسل عن الطلب. وإنما ينبغي أن يتفكر فيما تصل إليه قدمه، ويطمع لمثله فيه من الخير، ويتفكر في جهاده للطبع في دفع الشر، فقد تفكر خلق كثير من العصاة في عواقبهم فتابوا، وكثير من الملوك في غرور الدنيا فتزهدوا.

قال ابن عباس: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه. وبسنده إلى أم الدرداء، قيل لها: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار.

ووقف مالك بن دينار ليلة في داره على قدمه إلى الفجر، فقال: ما زال أهل النار يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم إلى الصباح.

وقال بعض الحكماء: بترداد الفكر ينجاب(١) العمى.

(١٨) دفع فضول الحزن

اعلم أن العاقل لا يخلو من الحزن؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه، وفيما قال العلماء والصالحون فيحزن لفوته.

بسنده إلى مالك بن دينار قال: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت إذا لم يسكن خرب.

وبسنده إلى إبراهيم بن عيسى، قال: ما رأيت أطول حزنًا من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

---

(١) أي ينكشف.

وبسنده إلى مالك بن دينار قال: بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك.

وإذ قد تبين أن الحزن لا يزال ملازمًا قلوب المتقين فينبغي أن يتقي إفراطه؛ لأن الحزن إنما يكون على الفائت، وقد عرفنا طريق الاستدراك.

وجاء في الحديث: «**بقية عمر المؤمن لا قيمة له يستدرك فيه ما فات**» فإن كان المحزون عليه لا يمكن استدراكه لم ينفع الحزن وإن كان دينًا فينبغي أن يقاومه برجاء الفضل والرحمة ليعتدل الحال. فأما إذا كان الحزن لأجل الدنيا وما فات منها فذلك الخسران المبين فليدفعه العاقل عن نفسه. وأقوى علاجه أن يعلم أنه لا يرد فائتًا، وإنما يضم إلى المصيبة فتصير اثنتين، والمصيبة ينبغي أن تخفف عن القلب، وتدفع، فإذا استعمل الحزن والجزع زادت ثقلاً.

قال ابن عمر: إذا استأثر الله بشيء فاله عنه ثم في الخلف عن الفائت ما يسلى، فإن عدم ما يسلي اجتهد في صرف ذلك في قلبه، وليعلم أن الداعي إلى الحزن الهوى لا العقل؛ لأن العقل لا يدعو إلى ما لا ينفع، وليعلم أنه سيسلو بعد حين فليجتهد في تقديم المؤخر، وليرتح ما بين الزمانين، ومما يمحق الحزن العلم بأنه لا يفيد والإيمان بالثواب، ويذكر من أصابه أكثر من مصيبته.

(١٩) دفع فضول الغم والهم

الغم يكون للماضي، والهم للمستقبل، فمن اغتم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفريطه؛ لأنه يثاب عليه. ومن اهتم بعمل خير نفعته همته. فأما إذا اغتم لمفقود من الدنيا، فالمفقود لا يرجع والغم يؤذي، فكأنه أضاف إلى الأذى أذى، كما قلنا في الحزن.

وينبغي للحازم أن يحترز مما يجلب الغم، وجالبه فقد المحبوب؛ فمن كثرت محبوباته كثر غمه، ومن قللها قل غمه.

فإن قال قائل: إذا لم أجد محبوبًا اغتممت؛ قيل له: صدقت، ولكن لا

يبلغ غمك بالعدم معشار عشر غم من فقد المحبوب، ألا ترى أن من لا ولد له يغتم، ولكن لا كغم من أصيب بولده.

ثم إن الإنسان كلما طال ألفه لما يحبه واستمتاعه به تمكن من قلبه، فإذا فقده أحس من مر التألم في لحظة لفقده بما يزيد على لذات دهره المتقدم. وهذا لأن المحبوب ملائم للنفس كالصحة، فلا تجد النفس لذتها إلا عند وجودها وفقدها مناف لها، ولذلك تألم بالفقد ما لا تفرح بالموجود؛ لأنها ترى وجود المحبوب كالحق الواجب لها، فينبغي للعاقل تقليل الألفة؛ فإن اضطر إلى جوالب الغم، فأثمرت الغم، فعلاجه في الأول الإيمان بالقدر، وأنه لابد مما قضى، ثم يعلم أن الدنيا موضوعة على الكدر، فالبناء إلى النقص، والجمع إلى التفرق، ومن رام بقاء ما لا يبقى كان كمن رام وجود ما لا يوجد فلا ينبغي أن يطلب من الدنيا ما لم توضع عليه كما قال الشاعر:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الإيذاء والأكدار

ثم يتصور ما نزل به مضاعفًا فيهون عليه حينئذ ما هو فيه، ومن عادة الحمال الحازم أن يترك فوق حمله شيئًا ثقيلاً، ثم يمشي خطوات ثم يولي به فيخف الأمر عنه، ثم ليرتقب زمن العافية هجوم البلاء، فإذا هجم ما يكرهه.

وليتمثل كلما يتصور نزوله نازلاً، فإذا نزل بعض ذلك كان ربحًا، مثل أن يتصور أن يؤخذ ماله كله؛ فإذا أخذ البعض عد الباقي غنيمة.

ويتصور أن يعمى، فإذا رمد سهل الأمر، وكذلك جميع المضرات، قال الشاعر:

يمثل ذو اللب[1] في نفسه ... مصائبه قبل أن تنزلا
فإن نزلت بغتة لم ترعه[2] ... لما كان في نفسه مثلا
وذو الجهل يأمن أيامه ... وينسى مصارع من قد خلا

---

(١) أي ذو العقل.
(٢) أي لم تفزعه.

فــإن بدهـــته صروف الزمان بـــبعض مصـــائبه أعـــولا[1]
ولـــو قـــدم الحـــزم في أمـــره لعلمـــه الصـــبر حســـن البلا

قال بعض السلف: رأيت امرأة فتعجبت من نضارتها، فقلت: هذا وجه ما طرقه حزن، فقالت: لا تقل هذا فما أعرف من ناله ما نالني، كان لي زوج فاشترى أضحية، فذبحها وله ولدان، فقال الأكبر للأصغر: تعال حتى أريك كيف ذبح أبي الشاة فذبحه، فلما طلبناه هرب فخرج الأب في طلبه فهلكا، فقلت: وكيف حزنك؟ قالت: لو وجدت في الحزن دركًا لاستعملته.

غلبة السوداء

وقد يقع الحزن والغم من غلبة السوداء، فيعالج بما يزيل السوداء بالمفرحات. والغم يجمد الدم، والسرور يلهب الدم، حتى تعلو حرارته الغريزية، وجميعًا يضران وربما قتلا إن لم يعجل تفتيرهما.

(٢٠) دفع فضول الخوف والحذر من الموت

الخوف والحذر إنما هما للمستقبل، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه، ونفي فضول الخوف مما لابد منه، إذ لا ينفعه خوفه منه.

وقد اشتد الخوف من الله تعالىٰ بكثير من الصالحين، حتى سألوا الله تعالى تقليل ذلك. والسبب في سؤالهم أن الخوف كالسوط فإذا ألح بالسوط على الناقة قلقت. وإنما ندب به المتواني بسنده إلى سفيان الثوري، قال لشاب يجالسه: أتحب أن تخشى الله حق خشيته؟ قال: نعم، قال: أنت أحمق، لو خشيته حق خشيته ما أديت الفرائض.

الحذر من الإفراط في الخوف

ولا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض، فإنه نازل لابد، وخوف ما لابد أن يأتي زيادة أذى.

فأما الخوف من الموت والفكر فيه، فإنه لا سبيل إلى دفعه عن النفس،

---

(١) أي بكى بكاء شديدًا.

وإنما يخفف الأمر العلم أنه لابد منه، فلا يفيد الحذر إلا زيادة على المحذور. وكلما تصورت شدته كانت كل تصويرة موتًا. فليصرف الإنسان فكره عن تصور الموت ليكون ميتًا مرة لا مرات ويكون صرف الفكر ربحًا.

وليعلم أن الله تعالى قادر على تهوينه إذا شاء، وليوقن بأن ما بعده أخوف منه؛ لأن الموت قنطرة إلى منزل إقامة، وإنما ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الموت ليعمل له لا لنفس تصويره وتمثيله، فإن خطر على القلب الحزن على فراق الدنيا، فعلاج ذلك أن يعلم أنها ليست بدار لذة، وإنما لذتها راحة من مؤلم. ومثل هذا لا ينافس فيه؛ فإن حزن العاقل على فراق الدنيا لفوت العمل الصالح، فقد كان السلف يحزنون لذلك.

قال معاذ بن جبل عند موته: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر[١]، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ساعة الموت

ومن نزل به الموت: فليعلم أنها ساعة تحتاج إلى معاناة صعبة؛ لأن صورتها ألم محض، وفراق المحبوبات، ثم ينضم إلى ذلك هول السكرات، والخوف من المآل.

ويأتي الشيطان فيسخط العبد على ربه ويقول: انظر في أي شيء ألقاك، وما الذي قضى عليك، وكيف يؤلمك؟ وها أنت تفارق ولدك وأهلك وتلقى بين أطباق الثرى[٢].!

فربما أسخطه على ربه، وكره قضاء الله تعالى إليه، وأنطقه بكلام يتضمن نوع اعتراض، وربما حسن إليه الجور[٣] في الوصية، وأن يزوي[٤]

(١) الهواجر: مفردها هاجرة، وهي منتصف النهار.
(٢) الثرى: أي التراب.
(٣) الجور: هو الظلم.
(٤) أحمد ٢: ٣٥٦، ٣: ٤٢٧. والنسائي: استعاذة ٦١. وأبو داود: وتر ٣٢.

لبعض الورثة، إلى غير ذلك من المحن. فتعين حينئذ الحاجة إلى معالجة إبليس ومعالجة النفس.

وقد نقل أبو داود من حديث أبي اليسر، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت**»(١).

وفي تلك الساعة يقول الشيطان لأعوانه: إن فاتكم الآن لم تقدروا عليه أبدًا.

فأما العلاج لتلك الشدائد، فينبغي أن نذكر قبله مقدمة، وهو أن من حفظ الله في صحته حفظه الله في مرضه، ومن راقب الله في خطراته حرسه الله عند حركات جوارحه.

وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

ثم قد سمعت قصة يونس عليه السلام لما كانت له أعمال خير متقدمة انتشلته من شدته، فقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ولما لم يكن لفرعون عمل خير لم يجد وقت الشدة متعلقًا فقيل له: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

وكان عبد الصمد الزاهد يقول عند الموت: سيدي لهذه الساعة خبأتك.

فأما من ضيع في صحته، فإنه يضيع في مرضه، كما نقل عن بعض الصحابة أنه رأى شيخًا يطلب من الناس، فقال: هذا ضيع أمر الله في صغره، فضيعه الله في كبره.

فأما نفس العلاج فينبغي أن تشجع النفس، وتقول لها: إنما هي ساعة. ثم

---

(١) أحمد: ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧ والترمذي: قيامة ٥٩.

أرجو كمال الراحة، كما قال عليه السلام: «**لا كرب على أبيك بعد اليوم**»[(١)].

ودعي أبو بكر بن عياش عند الموت إلى الرجاء، فقال: كيف لا أرجوه، وقد صمت له ثمانين رمضان.

وقال المعتمر بن سليمان: قال لي أبي: يا بني اقرأ عليّ أحاديث الرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به.

فينبغي للمؤمن أن يرمي صوت الخوف، ويحدو الناقة[(٢)] كما قال حادي البادية:

بشـــرها دلـــيلها وقـــالا غـــدًا تـــرين الطلح[(٣)] والجبال

بسنده إلى أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي**» متفق عليه[(٤)].

وبسنده إلى جابر، قال سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول: «**لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**» أخرجه مسلم[(٥)].

وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

قلت: وهذا صحيح لما بينا من أن الخوف سوط يساق به المتواني، فإذا كلّ[(٦)] البعير لم يبق إلا الرفق، فإن قيل: فما تقول في خوف عمر بن عبد العزيز عند الموت؟ فالجواب: أنه لما تعلقت به حقوق الرعية خاف من

---

(١) ابن ماجه: جنائز ٦٥.
(٢) أي يتغنى لها حتى تسرع في السير.
(٣) الطلح: نوع من أنواع الشجر.
(٤) البخاري: توحيد ١٥، ٣٥. ومسلم: توبة ١، وذكر ٢، ١٩. والترمذي: زهد ٥١، والدعوات ١٣١. وابن ماجه: أدب ٥٨.والدارمي: رقاق ٢٢. وأحمد ٢: ٢٥١، ٣١٥، ٣٩١، ٤١٣.
(٥) مسلم: جنة ٨١، ٨٢. وأبو داود: جنائز ١٣. وابن ماجه: زهد ١٤، وأحمد ٣: ٢٩٣، ٣١٥.
(٦) كلّ: أي أرهق وتعب.

مطالب طبعه مبني على الشح كان يقول: إنما أخاف ولايتكم هذه، على أنه قد كان يتمسك بأذيال الرجال، فإن ابن عباس لما قال له: أبشر يا أمير المؤمنين وليت فعدلت ثم شهادة، فقال: أتشهد لي بهذا عند الله يا ابن عباس؟

اشتداد المصيبة والأجر عليها

فإن اشتد بالمريض كرب، فليحسب ذاك في باب الأجر؛ فقد كانوا يستحبون للمريض شدة النزع ليكفر ذلك عنه الذنوب.

بسنده إلى إبراهيم، قال: كانوا يستحبون أن يجهدوا عند الموت.

وذكر بسنده عن عمر بن عبد العزيز قال: ما أحب أن تهون عليّ سكرات الموت أنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم.

التوبة من كل ذنب عند الموت

وينبغي للمريض ما دام ثابت العقل أن يتوب ليلقى الله طاهرًا من كل ذنب، وأن يجرد وصيته، وأن يسلم أهله وولده إلى الله سبحانه وتعالى؛ فإنه يتولى الصالحين.

إزعاج الشيطان

فإن أزعجه الشيطان بذكر البلى، فليعلم أن البلى واقع على المركب، والراكب قد رحل، وليعلم أن الشريعة قد مضت بوصول المؤمن بعد الموت إلى النعيم الدائم، فمن حقق الإيمان، لم يحزن؛ لأن مآل المؤمن إلى الخير. ومن لم يتحقق الإيمان، فليحزن لفقد التحقيق.

وبسنده إلى كعب، عن النبي ﷺ قال: «**نسمة المسلم طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده**»[١].

ومقصودنا من هذا الباب أن يكون الخوف من الموت بمقدار؛ لئلا ينهك البدن، ويبالغ في الأذى، وأن يخاف لما بعد الموت فيعمل له.

---

(١) النسائي: جنائز ١١٧. وابن ماجه: زهد ٣٢. ومالك: جنائز ٤٩. وأحمد ٣: ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٦٠.

(٢١) دفع فضول الفرح

إذا اشتد الفرح التهب الدم، وذلك يضر، وربما قتل إن لم يعدل، وينبغي للإنسان إذا رأى أسباب الفرح أن يدرج نفسه إليه، فإن يوسف عليه السلام لما التقى بأخيه سأله: هل لك من أب؟ ولم يزل يلاطفه لئلا يفجأه بالسبب المفرح.

والفرح ينبغي أن يكون بمقدار ليعدل الحزن، فأما إذا أفرط، فإنه دليل على الغفلة القوية إذ لا وجه للفرح عند العاقل، فإنما يفرح بالطبع لما يفرح، ثم يذكر مصيره وخوف مآله، فينمحي ذلك الفرح، ومتى قويت غفلة الفرح حملت إلى الأشر والبطر. ومن هذا قوله تعالى: ﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]. يعني الأشرين الذين خرجوا بالفرح إلى البطر.

وعلاج شدة الفرح بالفكر فيما قد سلف من الذنوب وفيما بين يدي العبد من الشدائد. وقد قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا؛ فلم يترك لذي لب بها فرحًا.

(٢٢) دفع الكسل

الموجب للكسل حب الراحة، وإيثار البطالة، وصعوبة المشاق. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك: أن النبي صفحة ﷺ كان يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل**»(١).

وفي أفراد مسلم من أفراد أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز؛ فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو)**

---

(١) البخاري: جهاد ٧٤، وأطعمة ٢٨. وأبو داود: وتر ٣٢. والترمذي: دعوات ٧٠. وأحمد ٣: ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠.

يفتح عمل الشيطان»[١].

وقال ابن مسعود: إني لأبغض الرجل أراه فارغًا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.

وقال: يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم، يسمون الأنتان.

وقال ابن عباس: تزوج التواني بمكسل، فولد بينهما الفقر.

وقال مالك بن دينار: ما من أعمال البر شيء إلا ودونه عقبة، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح، وإن جزع رجع.

قال سفيان الثوري: مضى القوم على الخيل العتاق[٢] وبقينا على حمر دبرة[٣].

علاج الكسل

وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد، وبالوقوع في عقاب اللوم، أو بالحصول في بيد التأسف؛ فإن أسف المفرط إذا عاين أجر المجتهد أعظم من كل عقاب.

وليفكر العاقل في سوء مغبة الكسل، فرب راحة أوجبت حسرات وندمًا.

ومن رأى جاره قد سافر، ثم عاد بالأرباح، زادت حسرة أسفه على لذة كسله أضعافًا. وكذلك إذا برع أحد الرفيقين في العلم، وتكاسل الآخر.

والمقصود أن ألم الفوات يربو على لذة الكسل.

وقد أجمع الحكماء على أن الحكمة لا تدرك بالراحة، فمن تلمح ثمرة الكسل اجتنبه، ومن مد فطنته إلى ثمرات الجد نسي مشاق الطريق.

---

(١) مسلم: قدر ٣٤. وابن ماجه: مقدمة ١٠. وأحمد ٢: ٣٦٦، ٣٧٠.

(٢) الخيل العتاق: أي الخيل الكرام.

(٣) حمر دبرة: أي أصابها جرح في ظهرها.

ثم إن اللبيب يعلم أنه لم يخلق عبثًا، وإنما هو في الدنيا كالأجير أو كالتاجر.

ومن أنفع العلاج النظر في سير المجتهدين، فالعجب من مؤثر البطالة في موسم الأرباح، وتارك الاستلاب وقت النثار.

بسنده إلى فرقد، قال إنكم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل، ألم تروا إلى الفاعل إذا عمل كيف يلبس أدنى ثيابه، فإذا فرغ اغتسل ولبس ثوبين نقيين، وأنتم لبستم ثياب الفراغ قبل العمل.

(٢٣) تعريف الرجل عيوب نفسه

اعلم أن النفس محبوبة، وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب، وفي الناس من يقوى نظره وجهاده للنفس، فينزلها منزلة العدو في المخالفة، فيظهر له عيوبها.

قال إياس بن معاوية: من لم يعرف عيب نفسه فهو أحمق، فقيل له فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. وهذا أمر نادر، والعمل على الغالب، فإن الغالب أن يخفي الإنسان عيوب نفسه، ولسنا نريد أنه لا يعرف عيبًا، فإن العاقل إذا أتى عيبًا عرفه، وإنما غرضنا العيوب الباطنة، فإنها كالأمراض الباطنة التي لا يعلم بها الطبيب، فيصف لها دواء ولا عليها إمارة، ومحبة الإنسان لنفسه تمنعه أن يرى العيب الخفي عيبًا كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقد روي أن رجلاً صحب رجلاً، فلما أراد أن يفارقه، قال له: أخبرني عن عيوبي، فقال: سل غيري، فإني كنت أراك بعين الرضا.

فإن قيل: فإذا كانت العيوب باطنة والإنسان لا يراها عيوبًا، فكيف الطريق إلى تعرفها؟ فالجواب أن لذلك سبع طرق:

الطريق الأول: أن يتخير صديقًا من أعقل مخالطيه، ويسأله إبانة ما يرى من قبيحه، ويعرفه أن ذلك منة منه عليه، فإذا أخبره ابتهج بما سمع منه،

ولم يظهر له الحزن على ذلك؛ لئلا يقصر في شرح الأمور، ويقول له: متى كتمتني شيئًا عددتك غاشًا.

والطريق الثاني أن يبحث عما يقوله فيه جيرانه وإخوانه ومعاملوه، وبماذا يمدحونه أو يذمونه.

والطريق الثالث: أن يتطلع إلى ما يقول فيه الأعداء، فإن العدو بحاث عن العيوب. ومن هذا الوجه ينتفع الإنسان بعدوه ما لا ينتفع بصديقه؛ لأن العدو يذكر النقص، والصديق يستر الخلل، فإذا عرف الإنسان من طريق عدوه نقصه اجتنبه.

والطريق الرابع: أن يصور أفعاله في غيره، ثم يستعمل منها ما يستحسن، ويترك ما يستقبح.

والطريق الخامس: أن يعمل فكره في عواقب خلاله وثمراتها، فيرى عيب العيب، وحسن الحسن، فإن الفكر الصادق نافذ.

والسادس: أن يعرض أعماله على محك الشرع، ويريها نافذ العقل، ويضعها في موازين العدل، فإنه يرى الأرجح والأدون.

والسابع: أن ينظر في سير العاملين، ثم يقيس أفعاله بأفعالهم، فيرى حينئذ أن آثار النقص عيب فيجتنبه، فضلاً عن فعل القبيح.

(٢٤) تنبيه الهمة الدنية

إذا كانت الهمة الدنية طبعًا لم ينجع[١] فيها العلاج، فإن كانت مكتسبة بصحبة الأدنياء، أو لغلبة الطبع والهوى، فعلاجها قريب.

وذلك من وجوه، منها: مقاطعة أهل الدناءة أنفة منهم، ومواصلة أرباب الهمم العالية. ثم التفكر بالعواقب، ومآل الدناءة، ومصير أولي الجد والاجتهاد، كما قال عبد الصمد: مات رجل من السعادة، وقد بقي له

(١) لم ينجع: أي لم ينجح.

شرط، والناس يقولون له: مت اليوم تحيا أبدًا. فانتبهت بها.

ومن تفكر في المرتفعين في الهمم علم أنهم كهو من حيث الأصلية والآدمية، غير أن حب البطالة والراحة جنيا عليه فأوثقاه، فساروا وهو قاعد، ولو حرك قدم العزم لوصل، قال الشاعر:

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه تكن مثل ما أعجبك

فليس على الجود والمكرمات إذا جئتها حاجبًا يحجبك

ومن نظر في أخبار السلف رأى عموم الفقهاء والعلماء، وأكثر المشار إليهم بذلك من الموالي ومن الضعفاء وأهل الحرف الدنية، إلا أن الهمم أثرت فأثارت عن موطن.

ولو تفكر أرباب الهمم الدنية في عواقبها، وما يجيء عليهم لرأوا البطالة عدوًا، وإنما صحبوا دناءة الهمة تعجلاً للراحة وما يلقونه من الحسرات على فوت الفضائل والسقوط من أعين الناس والإهانة بهم أعظم من كل كرب وشدة.

وما يناله أرباب التعب من الراحة في تعظيم الخلق لهم وارتفاع قدرهم في الدنيا قبل الآخرة ينسي مرارة كل نصب. فكأنه ما تعب من استراح، ولا استراح من تعب.

بسنده إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرت بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**».

وبيان هذا أن التعب ينقضي، وتبقى الراحة، والراحة تذهب، وتبقى الحسرة، والمقام موسم، والفوات معترض، والاستلاب عاجل، وفي بعض هذا إزعاج للمتواني.

(٢٥) رياضة النفس

الأصل في الأمزجة الصحة، والعلل طارئة، وكل مولود يولد على الفطرة. يوضح ما قلناه أن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب، والكودن لا تنفعه الرياضة، والسبع وإن ربي صغيرًا لا يترك الافتراس إذا كبر. وقد عرفت تلك الحكاية: (فمن أنباك أن أباك ذئب) واعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة: قوة ناطقة، وقوة شهوانية، وقوة غضبية، فينبغي لمن شرفه الله تعالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضل الله تعالى بها على سائر الحيوانات، وشارك بها الملائكة، فيجعلها هي المسلطة على القوتين الأخريين، أعني الشهوانية والغضبية، لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس؛ فإن الفارس ينبغي أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه، فيمضي بها أين يشاء، ويعقلها إذا شاء. فكذلك ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي المستعلية على باقي القوى، تستعملها كما تحب، وتكفها حين تحب.

ومن كان كذلك استحق أن يسمى إنسانًا حقيقة، قال أفلاطون: الإنسان بالحقيقة من كانت نفسه الناطقة أقوى الأنفس؛ لأن الشهوانية إذا أفرطت خرج الإنسان إلى طبع البهيمية، ومن سيب هواه في مرعاه، وجعل حبله على غاربه، فقد خرج عن مركزه، فصار أخس من البهائم؛ لأن تلك تمضي بطباعها. وهذا قد خالف طبعه. ومتى أفرطت القوة الغضبية خرج الإنسان إلى أخلاق السباع والضواري. فينبغي أن يروض نفسه بمخالفة الشهوانية، ويكسر الغضبية، ويتبع القوة الناطقة؛ حتى يتشبه بالملائكة، ويتحرز من عبودية الشهوة والغضب.

رياضة النفس بالتلطف

واعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف، والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أولاً بالعنف، ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرهبة.

ويعين على الرياضة صحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار، ودراسة

القرآن، والأخبار، وإجالة الفكر في الجنة والنار، ومطالعة سير الحكماء والزهاد.

وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدها لنفسه، فإذا صلى بالليل أطعمها.

وكان الثوري يأكل ما يشتهي، ثم يقوم إلى الصباح، ويقول: أطعم الزنجي ولده. وما زال المحققون يلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها.

وقال بعض جيران مالك بن دينار: سمعته ليلة يقول لنفسه: هكذا فكوني، فلما أصبحت قلت له: ما معك في الدار أحد فلمن قلت؟ قال: إن نفسي طلبت مني أدما[1] وألحت، فمنعتها الطعام ثلاثة أيام، فلما كانت الليلة وقد انقضت الأيام وجدت كسرة يابسة ، فبادرت إليها، فقلت: قفي آتيك بخبز لين، فقالت: قنعت بهذه. قلت: هكذا فكوني.

واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجد جدت، وإذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك، كما قال الشاعر:

ويعرف أخلاق الجواد جواده ... فيجهده كرًا ويرهقه ذعرا

ومن الرياضة لها محاسبتها على كل فعل وقول ومحاسبتها في كل تقصير وذنب، فإذا تمت رياضتها حمدت ما ذمت من تعبها، قال ثابت البناني: كابدت الليل عشرين سنة، وتنعمت به عشرين سنة.

وقال أبو يزيد: ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك. وفي هذا المعنى قول الشاعر:

ما زلت أبكي كلما نظرت ... إلى أن اختضبت أجفانها بدمي

وبعد هذا فلا ينبغي أن ينسى حقها، فإن من حقها إعطاءها حظوظها التي لا تقدح في مقصود الرياضة، فإنها إذا منعت مقاصدها في الجملة عمي

---

(١) الإدام: ما يستمرأ به الخبز.

القلب، وتشتت الهم، وتكلف التعبد.

واعلم أن قدر النفس عند الله سبحانه أعظم من قدر العبادات. ولهذا أباح الفطر للمسافر، وإنما يعقل هذا العلماء.

(٢٦) ذكر رياضة الأولاد

أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعبًا، قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ... ولا يلين إذا قومته الخشب

قد ينفع الأدب الأحداث في مهد ... وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

ثم المواظبة على الرياضة أصل عظيم، خصوصًا في حق الصبيان، فإن ذلك يفيدهم أن يصير الخير عادة، قال الشاعر:

لا تسه عن أدب الصغيـ ... ـر وإن شكا ألم التعب

واعلم أن الطبيب ينظر إلى سن المعالج ومكانه وزمانه، ثم يصف، فكذلك ينبغي أن تكون رياضة كل شخص على قدر حاله.

وأمارة فلاح الصبي وفساده تتبين من طفولته، فالنجيب منهم يتنبه بالتعلم، والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم، كما لا يصير الهجان بالرياضة نجيبًا، وينبغي أن يتلطف بالصبي، قال رجل لسفيان الثوري: نضرب أولادنا على الصلاة. قال: بل بشرهم.

وكان زبيد اليافي يقول للصبيان: من صلى منكم فله خمس جوزات.

وقال إبراهيم بن أدهم: أي بني اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا فلك درهم، فطلب الحديث على هذا.

كيفية تربية الطفل

وليعلم الوالد أن الولد أمانة عنده، فليجنبه قرناء السوء من الصغر، ولا يعوده، وليلق إليه الخير، فإن قلبه فارغ يقبل ما يلقى إليه، وليحبب إليه الحياء والسخاء، وليلبسه الثياب البيض؛ فإن طلب الملون قال له: تلك ملابس

النساء والمخانيث.

وليبادر بأخبار الصالحين، وليجنبه أشعار الغزل، لأنها بذر الفساد، ولا يمنع من أشعار السخاء والشجاعة ليمجد وينجد؛ فإن أساء تغافل عن إساءته، ولا يهتك مؤدبه ما بينه وبينه من الستر، ولا يوبخ إلا سرًا، ويمنع من كثرة الأكل والنوم، ويعود الخشونة في المطعم والمفرش؛ فإنه أصح لبدنه، ويعالج بالرياضات الجسمانية، كالمشي، ويؤدب بالنهي عن استدبار الناس، والامتخاط بينهم، والتثاؤب؛ فإذا علقت به خلة قبيحة بولغ في ردعه عنها قبل أن تتمكن.

ولا بأس بضربه إذا لم ينفع اللطف، فقد قال لقمان لابنه: يا بني ضرب الوالد للولد مثل السماد للزرع.

وإذا رآه عرمًا في صغره، فليتلطف به، فقد قال ابن عباس: عرامة الصبي زيادة في عقله.

عدم ضرب الابن بعد بلوغه

وكان الحكماء يقولون: ابنك ريحانتك سبع سنين، وخادمك سبع سنين، فإن صار ابن أربع عشرة سنة، فإن أحسنت إليه فهو شريكك، وإن أسأت إليه فهو عدوك.

ولا ينبغي أن يضرب بعد بلوغه، ولا أن يساء إليه، لأنه حينئذ يتمنى فقد الوالد ليستبد برأي نفسه ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه إلا أن الرفق متعين بالكل.

(٢٧) رياضة الزوجة ومداراتها

من المتعين المبالغة في النظر به هذا الباب، فأصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه، فقد قالت الحكماء: البكر لك، والثيب عليك.

إلا أنه من أعظم الغلط أن يتزوج الشيخ الكبير طفلة؛ فإنها تصير كالعدو، ولكنه يحبسها عن أغراضها، ولا تقدر أن تفي مرادها، وهي تنفر

عن الشيخ طبعًا، فإن ابتلي الإنسان بذلك فليسم بغضه عندها بحسن خلقه واحتماله وكثرة الإنفاق عليها.

وقد أمعنا الشرح لهذه الجملة في كتاب الشيب، وينبغي أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له، ويستر جسده عنها، فلا ترى منه إلا المستحسن، وكذلك ينبغي لها أن تفعل.

عدم إعطاء الزوجة أمواله كلها

ولا ينبغي للرجل أن يمزح مع المرأة، فتطمع فيه طمعًا يخرجها عن طاعته، ولا أن يسلم ماله إليها فيصير هو كالرهن في يدها فربما استغنت، واستوثقت لنفسها، ثم تركته. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا ﴾ [النساء: ٥]، بل ينبغي أن يمزح بنوع من الهيبة.

إصلاح المرأة

وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها، ومن خروجها من بيتها، واطلاعها من ذروته، وأن تكون عنده عجوز تؤدبها، وتلقنها تعظيم الزوج، وتعرفها حقوقه، وتعظم قليل الإنفاق عندها، وتكون كالحافظ، فإن عقل الصبي مأفون[١].

المرأة المناسبة للشيخ

وإن وجد الشيخ امرأة قد خرجت عن زمان الصبا، ولم تدخل في الكهولة، كانت أصلح، وأطيب لعيشه، وأقل امتنانًا عليه، وأكثر توقيرًا له.

زواج الشاب

فأما الشاب، فإنه يذل ولا يذل، فإذا أراد التمتع بالنساء، فالرأي له إن كان له مكنة اشترى الجواري الصغار، فإنهن لم يعرفن الغيرة، وهي قليلة عندهن لموضع الملكة، وقدرته على الاستبدال والبيع، ولتكن معهن حافظة، ولتكن على الحافظة حافظة.

---

(١) مأفون: أي ناقص.

كثرة النساء

ومن رزق امرأة على مراداته، فليهب ما فات لما حصل؛ فإن الأصول إذا كانت محفوظة لم تذكر الفروع، وكثرة النساء تحتاج إلى مؤنات عظام، أقلهن حفظهن.

(٢٨) رياضة الأهل والمماليك ومداراتهم

اعلم أن الأهل إذا رأوك قد فقتهم بمال أو جاه حسدوك ومقاطعتهم محرمة، فالمدارة لازمة، وذلك بالبر لهم مع كتمان بواطن الأحوال عنهم.

ومن أعظم الغلط حرمان بعضهم، وإعطاء البعض، فمن اختار ذلك فليجتهد في إسرار الأمر لئلا يشتري بالمنع البغض.

وأما المماليك فإنهم مالكون على الحقيقة لمالكيهم؛ لأن المطاعم والمشارب إليهم، فينبغي أن يتلطف بهم لئلا يحتالوا على القتل. قال بزر جمهر: نحن ملوك على رعيتنا، وخدمنا ملوك على أرواحنا، ولا حيلة لنا في الاحتراز منهم، فنحن نداريهم.

وليجعل الملك مع اللطف بهم هيبة إلا أن البر لهم يكون أغلب، وأكثره في حق من يسلم إليه الروح، وهو صاحب المطعم والمشرب.

واعلم أن المماليك وإن كانوا أهل ذكاء وفطنة لم يستتر منك عنهم شيء، فربما احتالوا عليك. إن كانوا أهل غباوة لم تبلغ غرضًا في استخدامهم، لأنك تريد الشيء فلا يفهمون مرادك.

والصواب استخدام أهل الغفلة منهم في الدواخل، وأهل الذكاء منهم خارج البيت فحينئذ تتم الأغراض.

الحذر من الصبي المراهق

ومن أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت، خصوصًا إن كان حسن الصورة، وفي البيت نسوة، فإن الشر لا يؤمن، فإن سلمن من ميل إليه لم يسلم هو من ميل. وكذلك من باب المخاطرات ترك الولد البالغ بين

الجوارى. ومعلوم أن قوة الشهوة وجهل الصبا ينسيان مقدار الحرمة والتحريم.

فهذه أصول ينبغي أن يداوي بدوائها، ولا تهمل؛ فإنها تجر أمورًا صعبة.

(٢٩) معاشرة الناس ومداراتهم

لما كانت طباع الناس تختلف، كانت مجاراتهم لذلك صعبة؛ فأصلح ما استعمل العاقل العزلة عنهم مهما أمكن؛ فإنها راحة عظيمة، فإذا اضطر إلى مخالطتهم خالطهم بالتلطف، وإيفائهم الحقوق، وإهمال حقه عليهم، والحلم عن جاهلهم، والعفو عن ظالمهم، وإيثار متكبرهم بالمجلس.

ومن أعظم ما يملكهم به السماح والعطاء، فإنه يسترق به من لم يكن ينقاد. وقد جاء في الحديث «**مداراة الناس صدقة**»[١].

كيف يتعامل العالم مع السفهاء؟

وإذا ابتلى العالم بمخالطة العوام، فينبغي أن يلبس جنة[٢] الحذر؛ فإن أغراضهم مختلفة، يرضى أحدهم ما يسخط الآخر، ويغضب من الصواب لأنه يراه خطأ، ولا يقبل مع جهله أقوال العلماء.

فليبعد العالم عنهم ما استطاع؛ فإن مخالطتهم تشينه وتنقص من مقداره في أعينهم، فيهون علمه عندهم. ولو رآه عاص يضحك أو يأكل أو سمع أنه قد تزوج لم يبق له عنده قدر فالحذر الحذر منهم؛ فإنهم قتلة الأنبياء.

فإذا اضطر إلى مجالستهم فليقلل الكلام معهم، وليتكلم بما لا تسلق لهم به عليه، ولا فيه احتمال لما لا يصلح لخطابهم، وبعد هذا فالسلامة منهم طريفة.

---

(١) الطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وعمل اليوم والليلة، وابن السني، والقضاعي، من حديث محمد بن المنكدر عن جابر، وصححه ابن حبان، كما قال السخاوي في المقاصد الحسنة، حديث رقم ٥٠٨. دراسة وتحقيق الأستاذ/ محمد عثمان الخشت.

(٢) جنة: أي سترة.

(٣٠) ذكر السيرة الكاملة

علامة الكامل تربية القدرة له من الطفولة، وإعطاؤه الرأي التام، والعقل الوافر من الصغر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١]، وتخلق له همة عالية وشرف نفس، فتحمله على طلب المعالي، وتمنعه ركوب الدنايا، فتنزله في نكبة يحب أن يكون رئيس الصبيان، فإذا ترعرع كان الأدب شعاره من غير تعلم، والحياء لباسه من غير ترهيب.

وأقل الرياضة فيه يؤثر كما ينفع المسن الفولاذ، ولا ينفع الحديد، فإذا عقل واستدل على صانعه، وعلم لماذا خلق، ونظر بماذا خوطب، وإلى أين يصير، وما المراد منه، شمر عن ساق وساق، فيطلعه العلم على حقائق الأمور، فيرى أن أفضل الأشياء ما يقربه من خالقه، ثم يرى أن أقرب ما يقرب به العلم والعمل، فيجتهد في إكمالها على غاية ما يطيق منهما بدنه، وينهض النية والعزيمة بحمل الباقي.

وأنت ترى خلقًا يقتصرون على بعض فنون العلم، فهذا مع النحو جميع عمره، وهذا مع الحديث طول دهره، وهو يرى أن كل العلوم مقصود، غير أنه لما علم أن العمر لا يسع الكل، أخذ ما يحتاج إليه من الكل زادًا لمسيره، ونهض للعمل بمقتضاه، فتراه ينتهب العمر خوف أن يذهب، وما نال المراد، ولا يضيع لحظة في غير مهم، وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم لعلمه بقصر المدة، كما قال الشاعر:

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل السباق وبادروا ... أن تسترد فإنهن عواري

فهو أبدًا يجتهد في عمارة وقته، ويقهر هواه لإصلاح أمره، ويقطع من العلم مهمه، فقلبه مشغول عن اللهو بتصحيح قصده، وجوارحه مقبلة بالجد على طاعة ربه، وقد اقتنع بما رزقه الله عن منن خلقه، وعف عن أموالهم حفظًا لعرضه فسادهم العتاه عنهم، وأزال فسادهم بوعظه؛ فإن عاملهم

فبالإنصاف لم يأخذ عليهم بفضله، وإن استشاروه اجتهد في نصحهم على أنه مشغول عن الكل بنفسه متأهب للنقلة، همه جمع رحله يؤدي إلى كل لحظة فرضها من الحراسة بقوى لربه، ويستظهر بكثرة الزاد لعلمه طول شوطه.

ثم يجتهد في تهذيب العلم في حياته ليحيي به أثره بعد موته، وقد زهد في الدنيا، ولا يتناول إلا قوت وقته، فإن فسح لنفسه في مباح فمراده تقوية جمله على حمله، ثم لم يزل به عرفان خالقه، حتى دعاه إلى حبه، فانصب الصب، وانخرط في سلكه، فهو بين الخلق بجسمه، وعند الخالق بقلبه.

أولئك ريحان الله في أرضه نفوس أنفاس المريدين باستنشاق ريح أحدهم وبلفظه ويفوح نشر صدقهم بعد دفن راجلهم في لحده، وقد ألبست قبورهم هيبة تخبر عن كل بقدره، وإذا ذكرت أعمالهم يقوي بها المريد في طريق صبره، والمتقون في فلك القيامة نجوم، وهم كشمسه أو كبدره، رزقنا الله وفاقهم، ووهب لنا لحاقهم، وألبسنا أخلاقهم بسعة فضله؛ إنه سميع قريب من عبده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الفصل الخامس

علاج أمراض الأرواح جميعها

العلاج بالدعاء (1)

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(2)[غافر: ٦٠]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(3) [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢].

١- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب الدعاء) والترمذي في الدعوات (باب الدعاء مخ العبادة).

لغة الحديث:

الدعاء هو العبادة: قال القاضي عياض: أي هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة، للدلالة على الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه.

أفاد الحديث:

مفهوم العبادة في الإسلام شامل لكل طاعة وتضرع وانقياد لله تعالى.

ولكن ليس معنى ذلك أن الدعاء يغني عن العبادات المفروضة من صلاة وصوم وزكاة وحج.

وإنما أفاد الحديث أن الدعاء داخل في شمول العبادة، وإظهار العبودية لله تعالى.

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب

---

(1) نزهة المتقين ودليل المسلمين شرح رياض الصالحين.

(2) ادعوني: المراد بالدعاء في الآية العبادة، وقيل: السؤال.

(3) تضرعًا: مظهرين الضراعة والذلة والاستكانة. وخفية: سرًا في قلوبكم.

الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك. رواه أبو داود بإسناد جيد.

الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب الدعاء).

لغة الحديث:

يستحب: أي يحب، وصيغته الافتعال للمبالغة، الجوامع من الدعاء: أي الأدعية القليلة الألفاظ الجامعة للمعاني الكثيرة. يدع: يترك.

أفاد الحديث:

استحباب الإتيان باللفظ اليسير في الدعاء، وأن يكون الدعاء جامعًا، ليصل الداعي إلى مطلوبه بأسهل طريق.

٣- وعن أنس ﷺ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**». متفق عليه. زاد مسلم في روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات (باب قول النبي ربنا آتنا في الدنيا حسنة) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا).

لغة الحديث:

وقنا عذاب النار: أي احفظنا من عذاب النار.

أفاد الحديث:

استحباب الدعاء بهذا الدعاء الوارد في القرآن والجامع لخيري الدنيا والآخرة، والذي كان يدوام النبي ﷺ عليه.

حرص الصحابة على الاقتداء برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله.

٤- وعن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى**»، رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما

عمل ومن شر ما لم يعمل).

لغة الحديث:

الهدى: الهداية للخير والتوفيق له وهو ضد الضلالة، التقى: ملازمة التقوى، وهي فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه. العفاف: الكف عن المعاصي. الغنى: أي الاستغناء عن الحاجة إلى الناس.

أفاد الحديث:

كلمات قليلة إن تحققت للمسلم فاز في دنياه وآخرته كان يدعو بها النبي ﷺ.

٥- وعن طارق بن أشيم ﷺ قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم أغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**». رواه مسلم. وفي رواية له عن طارق: أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: «**قل اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة...).

لغة الحديث:

تجمع لك دنياك وآخرتك: أي تجمع لك مطالبها، فإن الرزق والعافية والرحمة تعم الدنيا والآخرة، والمغفرة تخص الآخرة.

أفاد الحديث:

الاهتمام بالصلاة لأنها دعامة الإسلام، الحث على هذا الدعاء الوارد في الحديث، لأنه يجمع مطالب الإنسان في الدنيا والآخرة.

٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب القدر (باب تصريف الله تعالى للقلوب كيف شاء).

لغة الحديث:

مصرف القلوب: أي مغيرها من حال إلى حال ومن شأن إلى شأن. صرف قلوبنا على طاعتك: أي صرف على طاعتك قلوبنا فلا تزغها بعد الهدى.

أفاد الحديث:

استحباب هذا الدعاء، لأن فيه طلب الهداية إلى الطاعة والمداومة عليها.

٧- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء**». متفق عليه. وفي رواية: قال سفيان: أشك أني زدت واحدة منها.

الحديث رواه البخاري في كتاب القدر (باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء) ومسلم في الذكر والدعاء (باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء)... بلفظ (كان يتعوذ).

لغة الحديث:

جهد البلاء: الجهد المشقة، وكل ما أصاب الإنسان من شدة المشقة. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن «**جهد البلاء**» فقال: قلة المال وكثرة العيال. درك الشقاء: الإدراك واللحاق بالشدة والعسر، ويطلق على الهلاك. شماتة الأعداء: الشماتة هي الفرح بحزن العدو. سوء القضاء: يدخل فيه سوء القضاء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، وقد يكون ذلك في الخاتمة.

أفاد الحديث:

أن النبي ﷺ إنما طلب أن ندعو بهذا الدعاء، لأنه دعاء جامع يدفع وقوع المكروه في الحياة الدنيا والآخرة.

٨- وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول «**اللهم أصلح لي ديني الذي**

هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل ...).

لغة الحديث:

عصمة أمري: ما أعتصم به في جميع أموري، والعصمة المنع والحفظ. التي فيها معاشي: أي فيها مكان عيشي وزمان حياتي. التي فيها معادي: أي مكان عودي أو زمان إعادتي. واجعل الحياة، أي طول عمري. واجعل الموت: أي تعجيله.

أفاد الحديث:

أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء، تعليمًا لأمته، وخلاصته: اللهم اجعل عمري مصروفًا فيما تحب وجنبني ما تكره.

٩- وعن علي ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل اللهم اهدني، وسددني**». وفي رواية: «**اللهم إني أسألك الهدى، والسداد**». رواه مسلم.

الحديث: رواه مسلم في الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل...).

لغة الحديث:

سددني: وفقني. الهدى: الرشاد. السداد: الاستقامة والقصد.

أفاد الحديث:

استحباب الدعاء بهذه الكلمات الجامعة للتوفيق والرشاد.

على الداعي أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة.

١٠- وعن أنس ﷺ عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل؛ وأعوذ بك من عذاب القبر؛ وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**». وفي رواية: «**وضلع الدين وغلبة الرجال**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في الذكر والدعاء (باب التعوذ من العجز والكسل).

لغة الحديث:

العجز عدم القدرة على الخير. الكسل: قال النووي: هو عدم انبعاث النفس بخير، وقلة الرغبة فيه مع إمكانية. الجبن: الخوف وضعف القلب، ضد الشجاعة. الهرم: كبر السن، البخل: منع أداء ما يطلب أداؤه. ضلع الدين: ثقل الدين وشدته. غلبة الرجال: المراد به الاستعاذة من أن يكون ظالمًا أو مظلومًا.

أفاد الحديث:

اللجوء إلى الله تعالى، طلبًا للنجاة من هذه الشرور، والتحذير من الوقوع فيها.

١١- وعن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم**». متفق عليه... وفي رواية: «**وفي بيتي**». وروي «**ظلمًا كثيرًا**» وروي «**كبيرًا**» بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أن يجمع بينهما فيقال: «**كثيرًا كبيرًا**».

الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات (باب الدعاء في الصلاة) والأذان (باب الدعاء قبل السلام) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب استحباب خفض الصوت بالذكر).

لغة الحديث:

وفي بيتي: أي بعد قوله: صلاتي.

أفاد الحديث:

استحباب الدعاء بهذه الكلمات التي علمها النبي ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ، والمداومة عليها في البيت والصلاة.

١٢- وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: **«اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني: اللهم اغفر لي جدي وهزلي؛ وخطئي وعمدي؛ وكل ذلك عندي. الله اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»**. متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات (باب قول النبي اللهم اغفر لي ما قدمت) ومسلم في الذكر والدعاء (باب التعوذ من سوء ما عمل).

لغة الحديث:

إسرافي: أي تجاوزي عن الحد. وكل ذلك عندي: أي كل ما ذكر من الأمور موجود عندي وممكن الوقوع من نفسي، والنبي ﷺ قال ذلك تعليمًا لأمته وتواضعًا منه لخالقه. ما قدمت وما أخرت: أي ما وقع مني وما سيقع. وما أسررت: أي ما فعلته خفية عن أعين الناس. وما أعلنت: أي ما أظهرت. أنت المقدم: أي تقدم من تشاء إلى الجنة. وأنت المؤخر: تؤخر من تريد إلى النار بالخذلان.

أفاد الحديث:

تعليم النبي ﷺ لأمته جوامع الدعاء، وتواضعه بالقول والعمل لله عز وجل.

الدعاء وطلب المغفرة من كل الذنوب في كل الأحوال والأوقات.

١٣- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: **«اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل»**. رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل ..).

لغة الحديث:

أعوذ: ألتجئ.

أفاد الحديث:

الاستعاذة بالله من شر ما وقع من الذنوب ومن شر ما يمكن أن يقع

لأن في ذلك صدق العبودية لله وترك العجب والتكبر.

١٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الرقاق (باب أكثر أهل الجنة الفقراء ..).

لغة الحديث:

زوال نعمتك: أي زوال ما أعطيتني من النعم الدينية أو الدنيوية. تحول عافيتك: أي تبدل ما وهبتني من الصحة إلى الضعف والمرض. فجاءة نقمتك: أي مباغتتي بالعقوبة. جمع سخط؛ أي أسباب غضبك

أفاد الحديث:

استحباب الاستعاذة بالله من زوال النعم، وتبدل العافية، والمباغتة بالعقوبة، ومن جميع أسباب غضبه سبحانه.

استعمال النعم والعاقبة فيما يرضي الله تعالى، ليكون سببًا في حفظها.

١٥- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والبخل، والهرم، وعذاب القبر: اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب التعوذ من شر ما عمل ...).

لغة الحديث:

آت نفسي تقواها: أي أعطها القوة لامتثال أوامرك، والابتعاد عن متابعة الهوى وارتكاب الفجور، زكها: طهرها من الرذائل. أنت وليها: ناصرها. مولاها: مالكها وسيدها من علم لا ينفع: أي علم لا نفع فيه،

وقيل: هو الذي لا يعمل به. لا يخشع: لا يخضع لجلال الله تعالى، وهو القلب القاسي. لا تشبع: أي للحرص الباعث لها على ذلك، ومعناه النهم وعدم الشبع.

أفاد الحديث:

استحباب الاستعاذة من هذه الأمور المذكورة في الحديث.

الحث على التقوى ونشر العلم والعمل به.

على المؤمن أن يلتزم التقوى وينهض بالطاعة وأداء الواجب ويجعل من نفسه ما تصفو بالخير، ويعتمد على الله تعالى في نصره وتوفيقه في العمل.

يجب طلب العلم النافع لدينه ودنياه، وأن يهجر ما لا فائدة فيه وأن يرضى بالقناعة.

١٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت: وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت! فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**». زاد بعض الرواة: «**ولا حول ولا قوة إلا بالله**». متفق عليه.

الحديث رواه البخاري في التهجد (الحديث الأول) والدعوات (باب الدعاء إذا انتبه من الليل) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب ما يقال عند النوم وأخذ المضجع).

لغة الحديث:

إليك أنبت: أي رجعت إليك وحدك. بك خاصمت: أي في سببك عاديت وبك انتصرت عليهم. إليك حاكمت: أي حكمت، والمفاعلة للمبالغة.

أفاد الحديث:

بيان كمال الرجوع إلى الله تعالى والركون إليه في الأحوال كلها، والاعتصام بحبله المتين، واللجوء إليه دون غيره.

١٧- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر**». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وهذا لفظ أبي داود.

الحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب الاستعاذة) والترمذي في الدعوات (باب الاستعاذة من عذاب القبر والدجال) رقم/ ٣٤٨٩ وكذلك رواه البخاري في الدعوات (باب التعوذ من فتنة القبر).

لغة الحديث:

من فتنة النار: أي من الابتلاء بها. من شر الغنى والفقر: وفي رواية الترمذي «**ومن شر فتنة الغنى**»، «**ومن شر فتنة الفقر**»؛ لأن الغنى يورث الشره في جمع المال من الحلال والحرام، ويصل بالإنسان إلى الشح والكبر والترف، ولأن الفقر قد يوقع الإنسان في اليأس والضجر والتبرم من القدر.

أفاد الحديث:

الخوف من النار والابتعاد عن اقتراف ما يسبب دخولها من المعاصي والمخالفات.

إن في الغنى والفقر خيرًا لمن أحسن استغلالهما، التحذير من فتنة الغنى والفقر.

١٨- وعن زياد بن علاقة عن عمه، وهو قطبة بن مالك ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب من دعاء داود ﷺ) رقم ٣٥٨٥.

لغة الحديث:

قطبة بن مالك: الثعلبي صحابي سكن الكوفة وروي له عن رسول الله ﷺ حديثان. منكرات الأخلاق: كالعجب والكبر والخيلاء والفخر والحسد

والتطاول والبغي. منكرات الأعمال: كالزنا وشرب الخمر وسائر المحرمات. منكرات الأهواء: كالاعتقادات الفاسدة، والمقاصد الباطلة، والأفكار الهدامة، والعادات الدنيئة.

أفاد الحديث:

الاحتراز من المنكرات والدعوة إلى التمسك بالأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة.

١٩- وعن شكل بن حميد ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، علمني دعاء. قال: «**قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب الاستعاذة)، والترمذي في أبواب الدعوات (باب الاستعاذة من شر السمع...) رقم (٣٤٨٧).

لغة الحديث:

شر سمعي: أي بأن أسمع كلام الزور والبهتان والغيبة وسائر ما حرم الله سمعه، أو أن لا أسمع الحق. شر بصري: وذلك بالنظر إلى عورات الناس، أو إلى ما حرم الله، أو أعمل النظر في مخلوقات الله عز وجل. شر قلبي: بأن أشغله بغير ذكر الله تعالى. شر منيي: المني ما يخرج من الرجل من ماء بشهوة ولذة، والمراد هنا الفرج كما ورد في الترمذي، ويكون شره إذا وضعه في غير محله المشروع.

أفاد الحديث:

الحث على حفظ السمع والبصر واللسان والقلب والفرج وذلك باستعمالها فيما يرضي الله تعالى، التنويه بمسؤلية الإنسان عن حواسه كما أخبر سبحانه بقوله ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٢٠- وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، وسيئ الأسقام**». ورواه أبو داود بإسناد صحيح.

الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب الاستعاذة).

لغة الحديث:

البرص: مرض يحدث بالجلد بياضًا قبيحًا. الجنون: زوال العقل، الجذام: قال في القاموس: علة تحدث من انتشار السوداء في البدن كله، فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها، وربما انتهى إلى تآكل الأعضاء وسقوطها عن تقرح. سيئ الأسقام: أي قبيح الأمراض كالفالج والعمى.

أفاد الحديث:

الاستعاذة من الأمراض القبيحة المهلكة، التي قد تذهب بصبر الإنسان، فلا تبقي له شيئًا من الأجر.

٢١- وعن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب الاستعاذة).

لغة الحديث:

الضجيع: المصاحب. البطانة: الخصلة الباطنة.

أفاد الحديث:

التحذير من الجوع الشديد، ومن اعتياد الخيانة، والاستعاذة بالله منهما.

٢٢- وعن علي ﷺ أن مكاتبًا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني. قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ، لو كان عليك مثل جبل دينًا أداه الله عنك؟ قل: « **اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب رقم ١٢١) رقم ٣٥٥٨.

لغة الحديث:

مكاتبًا: أي عبدًا كاتبه سيده على مبلغ من المال ليؤديه مقابل تحريره وإعتاقه،كتابتي: أي الدين اللازم لي بها.

أفاد الحديث:

الدعاء بهذه الكلمات، لأن بركتها تظهر في وفاء الدين، والاستغناء بالله عن الناس.

٢٣- وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ علم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما: «**اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب رقم ٧٠) رقم ٣٤٧٩.

لغة الحديث:

ألهمني رشدي: أي ألهمني الهدى بالتوفيق للأعمال المرضية. أعذني: أجئني واعصمني. من شر نفسي: من شرور نفسي وأهوائها، المؤدية إلى الهلاك في الدنيا والطرد من رحمة الله في الآخرة.

أفاد الحديث:

التحذير من شرور النفس، وطلب الهداية والاستقامة والسداد في جميع الأمور.

٢٤- وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله تعالى. قال: «**سلوا الله العافية**». فمكثت أيامًا، ثم جئت، فقلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسأله الله تعالى. قال لي: «**يا عباس، يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**». رواه

الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب أي الدعاء أفضل) رقم ٣٥٠٩.

لغة الحديث: العافية: اسم مصدر من عافاه الله، أي أبعد عنه ما يؤذيه.

أفاد الحديث: الحث على طلب العافية من الله تعالى في الدنيا والآخرة، لأن فيها السلامة من الأسقام والآثام.

٢٥- وعن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين، ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: كان أكثر دعائه «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في الدعوات (باب يا مقلب القلوب ثبت قلبي) رقم ٣٥١٧.

لغة الحديث:

يا مقلب القلوب: يا مصرف القلوب ومحولها من الضلال إلى الهدى.

أفاد الحديث:

خضوع النبي ﷺ لله تعالى وتواضعه له، وتعليمه هذا الدعاء لأمته، الإشارة إلى أهمية الاستقامة والثبات وأن العبرة بالخاتمة.

٢٦- وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان من دعاء داود ﷺ: اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك. اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي، وأهلي، ومن الماء البارد**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات (باب من دعاء داود ﷺ) رقم ٣٤٨٥.

لغة الحديث:

ومن الماء البارد: خص الماء البارد بالذكر، لشدة ميل النفس إليه زمن

الحر، فهو أحب المستلذات إليها.

أفاد الحديث:

الحض على طلب محبة الله والسعي إليها بالعمل الصالح، واتباع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ٣١].

مجاهدة النفس وتقديم طاعة الله وطاعة رسوله على نفسه وأهله وكل ما تهوى نفسه وتشتهيه.

٢٧- وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام**». رواه الترمذي، ورواه النسائي من رواية ربيعة بن عامر الصحابي. قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد. «**ألظوا**» بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، معناه: الزموا هذه الدعوة، وأكثروا منها.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب رقم ٩٩) رقم ٣٥٣٣. ولم نره في النسائي، وقد ذكر في التعليق على الترمذي أن هذا الحديث مما تفرد به الترمذي.

لغة الحديث:

الجلال والإكرام: صفتان لله تعالى تجمعان الصفات المعتبرة في الألوهية.

وقيل: الجلال والإكرام: اسم الله الأعظم، وهو أحد ما قيل في تعيين الاسم الأعظم.

أفاد الحديث:

الحث على الإكثار من الدعاء، أو بدئه بهذه الكلمات الواردة في الحديث؛ لما فيها من الثناء التام لله تعالى ووصفه بصفات الكمال.

٢٨- وعن أبي أمامة ﷺ قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. قلنا: يا رسول الله، دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا؛ فقال: «**ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما**

سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعود بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات (باب اللهم إنا نسألك بما سألك به نبيك ﷺ) رقم ٣٥١٦.

لغة الحديث:

المستعان: المطلوب منه الإعانة. عليك البلاغ: أي الكفاية أو ما يبلغ الكفاية من خير الدنيا والآخرة.

أفاد الحديث:

المداومة على الدعاء بهذا الدعاء الجامع لكل أدعية النبي ﷺ، وتظهر فائدة هذا الحديث خاصة لمن لا يحفظ من أدعية النبي ﷺ، وهذا من يسر الإسلام وسعة رحمة الله تعالى بعباده.

٢٩- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار**». رواه الحاكم أبو عبد الله، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

الحديث رواه الحاكم في المستدرك. جـ ١/٥٢٥.

لغة الحديث:

موجبات رحمتك: أي ما يوجبها. عزائم مغفرتك: الأمور التي تقتضي غفرانك. السلامة من كل إثم: أي معصية. الغنيمة من كل بر: أي الإكثار من كل خير.

أفاد الحديث:

السعي في أعمال البر والطاعات، والبعد عن الشر والمعاصي.

في ختم الإمام النووي رحمه الله تعالى لهذا الباب بهذا الحديث إشارة إلى

أن المطلوب من الأدعية كغيرها من الأعمال بعد أداء العبودية لحق الله تعالى، طلب النجاة من النار ودخول الجنة بسلام، فإن مدار القبول إلى هذا المقصد العظيم، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فضل الدعاء بظهر الغيب

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩]. وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

٣٠- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل**». **رواه مسلم.**

الحديث: رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب فضل الدعاء بظهر الغيب).

لغة الحديث:

لأخيه: أي الذي آخاه في الإسلام. بظهر الغيب: أي في غيبة المدعو له. ولك بمثل: أي لك مثل ما دعوت له وعديله.

أفاد الحديث:

فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، وتحصل الفضيلة بالدعاء لجماعة من المسلمين، أو لجميع المسلمين.

٣١- وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة: عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء (باب فضل الدعاء

للمسلمين بظهر الغيب).

لغة الحديث:

ملك موكل: أي ملاك مأمور بهذا العمل خاصة. آمين: اسم فعل أمر بمعنى استجب.

أفاد الحديث:

استحباب أن يدعو المسلم لنفسه ولأخيه المسلم، لتستجاب دعوته ويحصل له مثلها.

في مسائل من الدعاء

٣٢- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صنع إليه معروف فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء»**. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الحديث رواه الترمذي في أبواب البر والصلة (باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه) رقم ٢٠٣٦.

لغة الحديث:

أبلغ في الثناء: أي بالغ في ثنائه على فاعله، وجازى المحسن إليه بأحسن مما أسداه إليه.

أفاد الحديث:

قبول الدعاء من المؤمن، وعدم المن بالإحسان، والاعتراف بالجميل لأهله.

٣٣- وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم؛ ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»**. رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في أواخر كتاب الزهد والرقائق (باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر).

أفاد الحديث:

النهي عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو المال بشيء من الضرر، لئلا يصادف هذا الدعاء القبول.

إن للأزمنه خواصًا يتقبل الله فيها الدعاء، فليتخير المؤمن الساعات المباركة بالدعاء، وليكن دعاء خير ورحمة وعافية.

لا دعاء عذاب وهلاك، وأرجى الأوقات في الإجابة في جوف الليل ودبر الصلوات المفروضة كما سيأتي.

٣٤- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**». رواه مسلم.

الحديث رواه مسلم في كتاب الصلاة (باب ما يقال في الركوع والسجود).

لغة الحديث:

أقرب ما يكون العبد من ربه: أي قريبًا قربا معنويًا، مكانة ومنزلة.

أفاد الحديث:

فضل الدعاء في حالة السجود؛ حيث يكون المصلي أقرب ما يكون من ربه وخالقه.

٣٥- وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي**». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطع رحم، ما لم يستعجل**». قيل: يا رسول الله. ما الاستعجال؟ قال: «**يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء**».

الحديث رواه البخاري في كتاب الدعوات (باب يستجاب للعبد ما لم يعجل) ومسلم في الذكر والدعاء (باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل).

لغة الحديث:

بإثم: بمعصية. فيستحسر: أي يتعب من الاستعجال.

أفاد الحديث:

أن يدعو المسلم ربه، وأن يكون دعاؤه بخير.

وأنه يستجاب ما لم يدع بإثم أو يستعجل.

أن الاستعجال المانع من الإجابة هو الذي يؤدي إلى ترك الدعاء.

٣٦- وعن أبي أمامة ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب العزم في المسألة) رقم ٣٤٩٤.

لغة الحديث:

جوف الليل: وسطه. دبر الصلوات المكتوبات: أي عقب الصلوات الخمس المفروضات.

أفاد الحديث:

بيان أرجى الأوقات لإجابة الدعاء.

وعلى المسلم أن يكثر من الدعاء فيها.

٣٧- وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم**» فقال رجل من القوم: إذن نكثر. قال: «**الله أكثر**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد، وزاد فيه: «**أو يدخر له من الأجر مثلها**».

الحديث رواه الترمذي في أبواب الدعوات (باب استجابة الدعاء في غير قطيعة رحم) رقم ٣٦٠٢. والحاكم جـ ٤٩٣/١.

لغة الحديث:

إذًا نكثر: إي إذا كانت الدعوة بغير إثم مستجابة فنحن نكثر من

الدعاء، الله أكثر: أي إحسانًا ونوالاً مما تطلبون. صرف: منع.

أفاد الحديث:

أن الدعاء لا يضيع، فهو إما أن يستجاب ويحصل المطلوب، أو يمنع الله به من السوء بقدره، أو يدخر له من النفع مثله.

أن ما عند الله من الخير أكثر مما يطلب الناس ويسألون.

٣٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم**». متفق عليه.

الحديث: رواه البخاري في كتاب الدعوات (باب الدعاء عند الكرب) ومسلم في كتاب الذكر (باب دعاء الكرب).

لغة الحديث:

الكرب: الشدة.

أفاد الحديث:

أن الدواء عند الشدائد والأزمات هو توحيد الله عز وجل وعدم النظر إلى سواه بعد تعاطي الأسباب، والإكثار من الدعاء وذكر الله سبحانه.

٢ ـ العلاج بالأذكار (١)

قال الله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ

---

(١) رياض الصالحين.

وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس**»(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»، وقال: «**من قال سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حطت خطاياه. وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣).

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات: كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**» متفق عليه.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بأحب الكلام**

---

(١) متفق عليه.
(٢) مسلم.
(٣) متفق عليه.

إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[١].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض**»[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله. قال: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**»، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: «**قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني، وارزقني**»[٣].

وعن ثوبان ﷺ قاله: كان رسول الله ﷺ: «**إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا**»، وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**» قيل للأوزاعي وهو أحد رواة الحديث: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله[٤].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[٥].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول دبر كل صلاة، حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه مسلم.
(٥) متفق عليه.

النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال: يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون. فقال: «**ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم. ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**تسبحون، وتحمدون ، وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**» قال أبو صالح الراوي عن أبي هريرة، لما سئل عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين(٢).

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

«**الدثور**» جمع دثر «**بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة**» وهو المال الكثير.

وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣).

وعن كعب بن عروة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**معقبات لا يخيب**

---

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

قائلهن – أو فاعلهن – دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وثلاثًا وثلاثين تحميدة، وثلاثًا وثلاثين تكبيرة» رواه مسلم(١).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة القبر**»(٢).

وعن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك**» قال: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

عن أبي هريرة ﷺ إن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»(٣).

وعن علي ﷺ قال: كان رسول الله إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**»(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» متفق عليه.

وعنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «**سبوح**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

قدوس رب الملائكة والروح»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**»[٣].

وعنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده «**اللهم اغفر لي ذنبي كله: دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره**» رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة، فتحسست، فإذا هو راكع - أو ساجد - يقول: «**سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت**» وفي رواية: فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت نفسك**»[٤].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة!**» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: «**يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة**»[٥].

قال الحميدى: كذا هو في كتاب مسلم: «**أو يحط**» قال: البرقاني: ورواه شعبة، وأبو عوانة، ويحيى القطان، عن موسى الذي رواه مسلم من جهته فقالوا: «**ويحط**» بغير ألف.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم.

وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة: فلكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(١).

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «**ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟**» قالت: نعم: فقال النبي ﷺ: «**لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**»(٢).

وفي رواية له: «**سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**».

وفي رواية الترمذي: «**ألا أعلمك كلمات تقولينها؟ سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته، سبحان الله مداد كلماته**».

وعن أبي موسى الأشعري، ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره، مثل الحي والميت**»(٣).

ورواه مسلم فقال: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت**».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم**»(١).

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق المفردون**» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»(٢).

روي: «**المفردون**» بتشديد الراء وتخفيفها، والمشهور الذي قاله الجمهور: التشديد.

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أفضل الذكر: لا إله إلا الله**»(٣).

وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به قال: «**لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله**»(٤).

وعن جابر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة**»(٥).

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء،وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(٦).

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن.
(٦) في سنده عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث الواسطي وهو ضعيف، رواه الترمذي.

عن أبي الدرداء، ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى، قال: «**ذكر الله تعالى**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى - أو حصى - تسبح به فقال: «**ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا - أو أفضل**» فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك**»(٢).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**». متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد**»(٣).

وعنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة! قال: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**»(٤).

وعنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: «**اللهم بك أصبحنا وبك**

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) في سنده خزيمة رواية عن عائشة بنت سعد، لا يعرف، وباقي رجاله ثقات ورواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور» وإذا أمسى قال: «اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا وبك نحيا، وبك نموت وإليك المصير»[١].

وعنه أن أبا بكر الصديق، ﷺ، قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه. أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه» قال: «قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»[٢].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له» قال: الراوي: أراه قال فيهن: «له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل، وسوء الكبر، أعوذ بك من عذاب في النار، وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «أصبحنا وأصبح الملك لله»[٣].

وعن عبد الله بن خبيب بضم الخاء المعجمة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا لم يضره

---

(١) حسنه الترمذي وأبو داود.

(٢) رواه أبو داود وصححه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

شيء». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ما يقوله عند النوم

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وعن حذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك اللهم أحيا وأموت**». رواه البخاري[١].

وعن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنهما: «**إذا أويتما إلى فراشكما، أو إذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين**» وفي رواية: «**التسبيح أربعًا وثلاثين**» وفي رواية: «**التكبير أربعًا وثلاثين**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**». متفق عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده، متفق عليه.

وفي رواية لهما: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات متفق عليه.

قال أهل اللغة: «**النفث**» نفخ لطيف بلا ريق.

---

(١) رواه البخاري ١١/٩٦ والترمذي (٣٤١٣) وأبو داود (٥٠٤٩).

وعن البراء بن عازب، رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك. وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت، مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول**». متفق عليه.

وعن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوى**». رواه مسلم.

وعن حذيفة، ﷺ أن الرسول ﷺ كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: «**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ورواه أبو داود من رواية حفص، رضي الله عنهما، وفيه أنه كان يقوله ثلاث مرات.

التوبة والاستغفار في القرآن(١)

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

(١) كتابنا العائدون إلى الله.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [التوبة: ٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ

ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود ٥٢].

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

ذكر التوبة في السنة المطهرة(١)

١ - عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**» [البخاري ومسلم].

٢ - وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبسط يديه بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**». [مسلم].

٣ - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة! انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى، فاعبده معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق (بلغ منتصفه) أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلاً بقلبه إلى الله**

---

(١) كتابنا العائدون إلى الله.

تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، أي حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» [أخرجه البخاري ومسلم].

قال الإمام النووي: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وربه لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط:

١- أن يقلع عن المعصية.

٢- أن يندم على فعلها.

٣- أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

فإذا فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة، هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلها منه، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، ويبقى عليه الباقي، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأئمة على وجوب التوبة. مختصر رياض الصالحين [٤٩ - ٥٠].

فهرس المحتويات

الفصل الثالث: في بيان الرياء وحقيقته، وأقسامه وذمه ونحو ذلك

الفصل الرابع: كتاب الطب الروحاني

الفقير إلى عفو ربه
أحمد أبو زيد كامل